(مؤسسة وقف كركوك للثقافة والابحاث)

رشيد عبد القادر الرشيد

الوجيز في تأريخ تلعفر
من فجر الخليقة حتى العهد الملكي في العراق 1921

1438 هـ / 2017 م

تسلسل النشر: 69
تسلسل الكتب العربية: 11
سلسلة كتاب التركمان: 21

الوجيز في تأريخ تلعفر من فجر الخليقة حتى العهد الملكي في العراق 1921
رشيد عبد القادر الرشيد
ISBN 978-975-6849-68-2

TC
KÜLTÜR VE TURİZM BAKANLIĞI
SERTİFİKA NUMARASI
0907-34-009033

Kerkük Vakfı İktisadi İşletmesi
(İzzettin Kerkük Kültür ve Araştırma Vakfi İktisadi İşletmesi)

العنوان البريدي
Yazışma adresi: P. K. 20 - Cerrahpaşa - İstanbul
Haseki Sultan Mahallesi Kuka Sokağı
Huzur Apt. Nu: 1/1 Fındıkzade
Fatih-İstanbul
Tel: (0212) 584 00 75
web: www.kerkukvakfi.com
e-mail: kardaslik@kardaslik.org

الطبعة الأولى
تشرين الثاني 2017

تصميم الكتاب
Ercan Şimşek

الطباعة والتجليد
Matsis Matbaa Hizmetleri San. ve Tic. Ltd. Şti.
Tevfikbey Mah. Dr. Ali Demir Cad. No:51
Sefaköy / İSTANBUL

استانبول 2017

المحتويات

شكر وتقدير 10
المقدمة 12
الموقع والمساحة 14
أسماء تلعفر 16
عرفت المدينة عبر تأريخها الطويل بأسماء عديدة نذكر منها: 16
لغة سكان تلعفر 21
تلعفر في العصور القديمة 27
يارم تپه 30
تل الرماح 33
تل طاية 34
تل أبو ماريا 35
تلول الثلاثات (اوچ تپه) 36
قرمزدره 36
المغزلية 37
ده م تپه 38
قره تپه (التل الاسود) 38
ملاّ جاسم 38
قرية فقَة 39
تلعفر في العصور الإسلامية الفتح الإسلامي 41
العصر الأموي (32 هـ - 132 هـ / 662 م - 750 م) 41
العصر العباسي 132 - 656 هـ / 750 - 1258 م 43
في عصر السلاجقة الأتراك (447 -521 هـ) (1055 - 1087 م) 45
هل ساهم التلعفريون في الحروب الصليبية ؟ 47
وصف ياقوت الحموي تلعفر في كتابه (معجم البلدان): 49
المغول الايلخانيون (656 - 738 هـ / 1258 - 1338 م) 49
الجلائريون أو الايلخانات (738 -814 هـ / 1338 - 1411 م) 50
تيمور لنگ (795 - 807 هـ / -1393 1405 م) 51
قره قوينلو (813 - 872 هـ / 1410 - 1467 م) 52
آق قوينلو (872 - 914 هـ / 1467 - 1508 م) 53
الصفويون (914 - 941 هـ / 1508 - 1534 م) 53
الدولة العثمانية (920 - 1336 هـ / 1514 - 1918 م) 54
حملة محمد باشا (إينجه بيرقدار) على تلعفر سنة 1257 هـ / 1841 م 60
السلطان عبد الحميد الثاني (1293 - 1327 هـ / 1876 - 1909 م) 64
الاحوال العامة لتلعفر في هذه الفترة: 65
يقول لايارد عند زيارته تلعفر سنة 1897 م: 66
تأسيس المدرسة الابتدائية العثمانية الاولى في تلعفر: 67
الوصف العام لبناية المدرسة: 68
كيفية صنع الطباشير: 68

نظام المدرسة وأوقات الدوام فيها: 69
مفردات الدراسة: 69
معلمو المدرسة: 70
الاتحاد والترقّي (1327 - 1337 هـ / 1909 - 1918 م) 71
خلال الحرب العالمية الأولى (1333 - 1337 هـ / 1914 - 1918). 72
الاحـوال العامة 73
تأسيس أول بلدية في ناحية تلعفر 73
الحملة على الإيزيديين فـي سـنجار 74
قـائممقامية قضـاء تلعفـر 76
التشكيلات العسكرية في تلعفر نهاية الحكم العثماني 76
تلعفر من الناحية الإدارية في العهد العثماني 77
المحلّات السكنية في تلعفر نهاية الحكم العثماني. 81
أولاً - المحلات الفوقانية 81
محلة القلعة (قـه لا محلاسى): 81
محلة حسنكوي: 84
محلـة السـراي: 86
ثانيـاً - المحـلات التحتانيـة. 88
محلة سنجار 88
محلة الـچلبـي 89
محلة الگـرگـري 90
محلة كـرد علـي 91
محلة چـولاق 91
محلة الصـو 92
محلة قـنبر دره 93
الاحـتلال البريطانـي 94
مراسيم توديع القائممقام العثماني 94
الحكام السياسيون في تلعفر وبعض أعمالهم 95
الإدارة في عهد الانكليز 96
وقفات مع ثـورة تلعفـر 1920 م 98
التمهـيد 98
قبل كل شيء علينا إيضاح بعض الامور:. 98
أسباب الثورة 100
ذكر المؤرخون أبرز الاسباب التي ادّت الى وقوع احداث سنة
1920 في تلعفر : 100
بـدء العمليات العسـكرية 102
أبرز أسباب فشل ثورة 1920 في تلعفر. 102
هنا يحق لنا ان نسأل: 104
لمـاذا سـمّيت احداث سنة 1920 بـ (قاچا قاچ) ؟. 105

المحتويات

هل كانت الثورة في صالح تلعفر واهلها ؟ 106
تلعفر قبيل الحكم الملكي 108
مظاهر الحياة الاجتماعية. 110
العلاقات الاجتماعية 110
الجـار الجديد. 110
الـزواج 111
مقدّمات الزواج او الخطبة (نشنّه ماغ): 111
التحضير ليوم الزفاف: 112
تقع على عاتق الشاب واهله المسؤولية كلها - تقريباً -
في التحضير ليوم الزفاف وهـي: 112
إحضار العروس: 113
الدشلك او السنية. 114
الـ (هولّـك) 115
الختان (سنات). 116
المناسبات والاعياد الدينية 116
قدوم رمضـان 116
طقوس العيدين (الفطـر والاضـحى) 116
عمل الكليچة (كولچة) 116
طقوس العيـد الشعبية 117
الاعياد الموسمية 119
خضر الياس (خـديرّاز) 119
الازياء الشعبية. 122
الازياء الرجالية: 123
كان زيّ الرجال في تلعفر زمن الدولة العثمانية يتكون مما يلي : 123
العقال العربي 123
زي المرأة التلعفريـة 124
الاطعمة. 126
البرغل 126
عملية طحن الحنطة. 127
كانت هناك طريقتان لتحضير البرغل واستخراجه من الحنطة المسلوقة: 127
اما اسماء هذه المطاحن واماكنها فهـي: 128
عمل الشعرية (آرشتة) 129
عمل الخـبز (چوره ك يـه پماخ) 129
اطعمة اخرى. 131
مصادر المياه 132
الشـاي. 133
التدخـين. 134
الألعاب الشعبية 135

وهنا نستعرض بعضاً منها: 135
وهي ميزة العنصر التركي عموماً 137
البيت التلعفري 138
ملحقات البيت 139
سطح البيت 140
الباب في البيت التلعفري القديم 141
النشاط الاقتصادي 144
النخيل في تلعفر 144
بساتين التين والرمان 145
زراعة القمح (الحنطة والشعير) 147
طريقة الحراثة (فلحان) 149
عملية الحصاد 149
الثروة الحيوانية 150
الصناعة 150
التجارة 151
الحياة الادبية والثقافية 152
يقول الاستاذ صبحي ساعتجى: 152
الشهاب التلعفري 152
مختارات من شعره: 153
الموفق التلعفري 154
محمد بن جوهر التلعفري 154
البدر ابو محمد حسن بن علي بن حسن بن علي التلعفري 154
الشيخ مراد التلعفري 155
خضر بن عبد الحق التلعفري 155
جمال الدين بن علي بن الحسن التلعفري 155
الماولية 156
الملاحق 158
ملحق رقم (1) 159
ملحق رقم (2) 160
ملحق رقم (3) 161
ملحق رقم (4) 163
المصادر 165
أولاً / الكتب 166
الفهرس 170
هذا الكتاب 174

شـكر وتقديـر

لا يكتمل عمل المرء الاّ بغيره ولا يعدم الانسان في مسيرة حياته رأي حكيم او مشورة خبير او درساً تعلمه بنفسه او اتعظ من غيره ، والله (سبحانه وتعالى) هيأ لنا من اهل العلم والسداد والتجربة العميقة في هذا المضمار ، رجالاً افذاذاً مخلصين منحوا لنا مشكورين عصارة فكرهم وجمال خبرتهم

وفي طليعة هؤلاء العصبة الخيرة عمنا الحاج الشيخ عبد الرحمن حمّو آل وهب (اطال الله في عمره) الذي تقبل برحابة صدرٍ وانشراح قلب اسئلتنا العديدة المتكررة رغم كبر سنه واعتلال صحته ، فمنح لنا دراً مكنونة من تأريخ مدينتنا وسلط الضوء على زوايا الاحداث المعتمة فكان لنا نعم المعين ونعم السند بعد الله

كما اوجّه شكري وامتناني الى الاستاذ فؤاد عمر افندى اوغلو صاحب الخلق الرفيع والهمة العالية والذاكرة الوقّادة المضيئة بحب تلعفر واهلها ، والذي اعطانا الكثير من جهده ووقته وعلمه وخزين معلوماته النفيسة عن تلعفر

والشكر موصول للأخ الغالي والصديق الصدوق محمد سعيد ملاّح اوغلو صاحب الغيرة الحميمة على تلعفر وتأريخها ، ولا انسى فضله وقد اوصل صوتنا الى كبار المؤلفين وعمالقة المؤرخين التركمان في تركيا ، وضحّى بالكثير من جهده ووقته من اجل إتمام طبع الكتاب

ويطيب لنا في هذا المقام ايضاً ان اشكر ابن عمنا الغالي الاستاذ منذر الحاج عبد الرحمن والذي كان وما زال خير وسيط بيننا وبين الوالد (حفظه الله)، ولا انسى كلماته الجميلة التي تحثني على الكتابة وتوثيق تاريخ المدينة قبل ان تنالها يد الضياع وتدخل في طيّ النسيان

كلمات شكر
وحـب
ووفـاء
لكل من مدّ لنا يداً بيضاء
واسدى إلينا النصيحة
وذكّرنا بواجبنا نحو بلدتنا الام

المؤلف

المقدمـة

سنة 1999 م كانت محاولتي الاولى في تدوين تأريخ لمدينة تلعفر وسكانها ، يومها كتبت ما تيسر لي في صفحات قليلة رغم صعوبة الحصول على المصادر الكافية ، ثم عرضت الأمر على احد مثقفي المدينة فنال استحسانه ، لكنه استدرك فقال لي ان الحكومة من المستحيل ان تقبل بطباعة هذه الاوراق ، وعندما استفسرت عن السبب أجابني بوضوح: إنك جعلت من تلعفر واهلها (تركمان) وهذا الشيء مخالف لتوجيهات السلطات الحاكمة ، قلت: هذه هي الحقيقة ولست اول من قال بتركمانية المدينة واهلها ، بل نقلت ما قاله المؤرخون وذكره اصحاب الشأن في ذلك ، لم يقل شيئاً لكنني قرأت في عينيه ما جعلني اغضّ الطرف عن محاولة الطباعة ، لقد كان توقيت كتابتي غير ملائم لتلك الفترة ، فاحتفظت بأوراقي وافكاري الى اجل غير مسمى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا

شغلتني قساوة الحياة ومرارة العيش بعدها عن الكتابة بعد تغير النظام السياسي الحاكم في البلاد ، حتى وقع في يدي كتاب المؤرخ الموصلي أزهر العبيدي (الموصل ايام زمان) الذي وثّق فيه تأريخ الموصل بايجاز سلس ، ثم انتقل الى عادات المجتمع الموصلي العريقة وتقاليده الموروثة التي لا تختلف في جوهرها عن تقاليد مجتمع تلعفر ، ثم شرع يستعرض الحرف والمهن التي كانت شائعة حتى وقت ليس ببعيد بأسلوب ممتع يأسر مجامع القلوب والعقول

بعد ان اتممت قراءة الكتاب والنظر فيه اكثر من مرة ، قلت في نفسي: لماذا لا اكتب نسخة مطابقة من الكتاب عن مدينتي تلعفر ؟ لقد انتهى زمن القيود وانفتحت آفاق المعرفة واصبحت المصادر والمراجع متوافرة بحكم ثورة وسائل الاتصالات والمعلوماتية ، فلم تبقَ الاّ الهمة العالية في جمع المصادر والبحث في الكتب ومن ثم استخراج كل شاردة وواردة عن تلعفر من بين صحائفها

وبعد التوكل على الله بدأت في البحث والتمحيص والتدقيق وإلتقاط كل معلومة او مفردة تتعلق بتلعفر في الكتب والمطبوعات الورقية ومواقع الانترنيت ، مستعيناً بآراء وتوجيهات من سبقني في هذا الميدان من المثقفين والمفكرين وكبار السن ممن عاصروا

بعض الاحداث او وصلت إليهم عن طريق الروايات المتواترة ممن سبقهم

إن اكبر عائق واجهني في هذه الرحلة الممتعة سواءً اثناء الجمع ام الكتابة هو وظيفتي الرسمية في مؤسسة حكومية ، فقد كان العمل فيها طويلاً مرهقاً يستغرق معظم ساعات النهار ، وربما استمر العمل فيها الى ساعات متأخرة من الليل في بعض الأيام

هناك عقبة اخرى واجهتني اثناء الكتابة في احداث سنة 1920 م في تلعفر ، وترددت كثيراً في تفسير احداثها ووقائعها ، لقد خرجت عن اجماع التلعفريين في تمجيدها (الى حدّ التقديس) وسلكت مسلكاً مغايراً لهم ، فليس من المعقول ان اكون نسخة مكررة لمن كتب عنها وقد مضى على وقوعها مائة سنة تقريباً ، دون النظر فيها نظرة الباحث الموضوعي المحايد بعيداً عن العاطفة والحماس

وإنني بهذا ادرك تماماً حجم الانتقاد الذي سيوجّه اليّ ، وسيتحول هذا الانتقاد الى هجوم ناري يستخدم فيه المنتقدون المهاجمون شتى الاتهامات وربما سيتخذون بيني وبين احدى الجهات السياسية علاقة يشوبها الدينار والدولار ، فالخروج عن مألوف الناس وما تعودوا عليه من طبائع وما ترسخ في عقولهم من افكار قاتلوا من اجلها وضحوا في سبيلها ، اشبه بالخروج من الايمان الى الكفرالبواح في مجتمع قبلي لا يقبل المساس بتراث الآباء والاجداد مثل مجتمع تلعفر ، لكن الحقيقة التي اتطلع إليها تستحق المعاناة من اجلها ، وتغيير قناعات المجتمع ومفاهيمه يستوجب من الباحث ان يتحلّى بالصبر الجميل

منهجنا في البحث

تناول الكتاب ابرز الاحداث التي جرت في تلعفر واطرافها منذ فجر التأريخ حتى بداية الحكم الملكي في العراق سنة 1921 م ، وحاولنا قدر الامكان التركيز على الروايات التأريخية التي اهملها كثير من المؤرخين – بقصدٍ او من دون قصدٍ – كي نقدم للقارئ صورة واضحة بلا غموض عن طبيعة المدينة وما مر بها من وقائع عبر العصور

كما حرصنا على تسجيل روايات شفوية منقولة بالتواتر من الاقدمين او من مدونات مخطوطة لم ترَ النور حتى هذا اليوم ، ولم يوثقها احد من المؤلفين او الباحثين او الدارسين ، فكان لنا بفضل الله قدم السبق في تدوينها وتوثيقها ومن ثم ايصالها الى الجمهور ، مع بيان رأينا في كثير من الاحداث التأريخية مراعين في ذلك الجانب الموضوعي قدر المستطاع

ومن الله التوفيق

رشيد عبد القادر الرشيد

ذو الحجة 1438 هـ / أيلول 2017 م

الموقع والمساحة

تشكل مدينة تلعفر نقطة البداية في الشمال الغربي من المناطق التي يسكنها تركمان العراق في المنطقة المعروفة اليوم بـ (توركمن إيلى)، وهي المشار إليها في الخريطة المرفقة

يقول الاستاذ عبد الرزاق الحسني المؤرخ العراقي الشهير: ((وأما الترك فهم في الساحة الضيقة التي تفصل المنطقة الكردية من المنطقة العربية بوجه عام، وتبدأ هذه الساحة الضيقة من تل أعفر و تمر من اربل و آلتون كوپرى وكركوك وخانقين و تنتهي بجوار مندلي ...))[1]

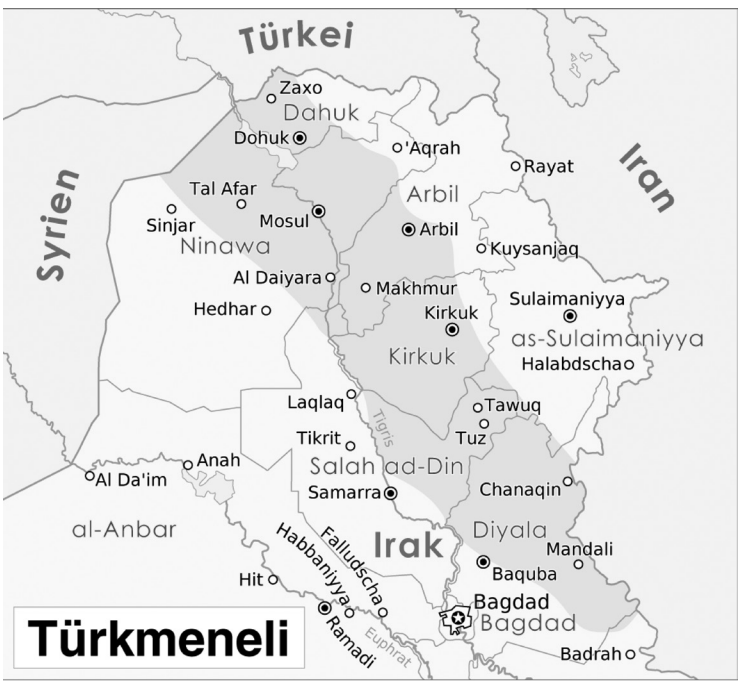

وتقع المدينة تقريباً في منتصف الطريق بين مدينتي الموصل وسنجار، إذ تبعد عن الاولى غرباً (70) كيلومترا وعن الثانية شرقا (53) كيلو متراً في المنطقة المتموجة من العراق، وعلى خط العرض 22 / 36 وخط الطول 27 / 42[2] وترتفع (370 مترا) فوق مستوى سطح البحر عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، ط3، بغداد،

1 عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، ط3، بغداد، 1958، ص8

2 س . موستراس، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، الطبعة الاولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1423 هـ / 2002 م، ص222

8591، ص8 [3]

يحدها من الشرق كل من ناحيتي الحميدات (بـادوش) والمحلبية التابعتين لقضاء الموصل ومن الغرب قضاء سنجار ومن الشمال نهر دجلة الذي يفصله عن محافظة دهوك ومـن الجنوب ناحية تـل عبطة (چبّـان) التابعة لقضاء الحضر . وتبلغ مساحتها ضمن حدود البلدية مـا بين (28 - 30) كيلو متر مربع وهي المساحة التي تتوزع عليها أحياؤها السكنية

3 حميد المطبعي، رحلتي الى شمال العراق، بغداد، 1986، الملحق رقم (1)، ص117

أسمـاء تلعفـر

عرفت المدينة عبر تأريخها الطويل بأسماء عديدة نذكر منها:

- أسماها الآشوريون: (نمت عشتار) ثم (تل عشتار)، وعشتار هي إلهة الخصب والحب والحرب، وتعني اسمها في السومرية (سيدة السماء) في حين يدل اسمها في الاكدية على (الربّة) بصورة عامة وعلى الإلهة الشخصية التي يتخذها الفرد وسيلة للشفاعة عند الآلهة الكبرى) [4]

- وسمّاها الرومان تـلسافاتا [5]

- تل عَـفار، ورد هذا الاسم في المعجم الجغرافي العثماني[6] وفي بعض الخرائط العثمانية، وقد يكون هذا الاسم مرتبطاً بتلقيح النخيل، حيث كانت تلعفر تزدهر بزراعته فيما مضى

- تل أعفر، ذُكر هذا اللفظ كثيراً في كتب المؤرخين القدامى منها: المسالك والممالك لإبن خرداذبه (توفي سنة 300 هـ)، وفي كتاب (الخراج) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب (توفي سنة 310 او 320 هـ)، وذكره الاصطخري المتوفى في القرن الرابع الهجري في كتابه (المسالك والممالك)، والمقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) [7]

وكذا ذكره ابو الفداء (توفي سنة 732 هـ) في تقويم البلدان فقال: (تل أعفر) قلعة بين سنجار والموصل ...، وفي كتاب مراصد الاطلاع لصفي الدين البغدادي (توفي سنة 739 هـ) يقول: تل أعفر بالفاء، هكذا يقول عامة الناس ...، وكذا اورده ابو الفرج ابن العبري (توفي سنة 685 هـ) في كتابه مختصر تاريخ الدول [8] وغيرهم من المؤرخين والرحالة

- تل يعفر، ورد هذا الاسم مراراً في كتاب (الكامل في التاريخ) للمؤرخ الموصلي عزالدين بن الاثير (توفي سنة 630 هـ) من ذلك قوله في حوادث سنة 544 هـ: فلما سمع اتابك قطب الدين وجمال الدين وزين الدين بالموصل بذلك، جمعوا عساكرهم وصاروا نحو سنجار، فوصلوا الى (تل يعفر) وترددت الرسل بينهم بعد ان كانوا

4 مجموعة من المؤلفين، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الاول، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1412 هـ / 1991 م، ص 308، وانظر كذلك كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ص130

5 قحطان احمد عبوش التلعفري، ثورة تلعفر 1920 والحركات الوطنية الاخرى في منطقة الجزيرة، مطبعة الازهر - بغداد، 1388 هـ / 1969 م، ص9

6 س . موستراس، المصدر السابق، ص222 هامش رقم (2)

7 محمد يونس السيد عبد الله السيد وهب، تاريخ تلعفر قديماً وحديثاً، الجزء الاول ، مطبعة الجمهورية - الموصل، 1387 هـ / 1967 م، ص40

8 المصدر السابق، ص47 وراجع ايضا: ليسترنج، المصدر السابق، ص130

عازمين على قصده بسنجار [9]

وذكره ايضاً ياقوت الحموي (توفي سنة 626 هـ) في معجم البلدان بالقول: (تل أعفر) ويقال (تل يعفر)، وقيل إنما أصله تل الاعفر للونه فغيّر بكثرة الاستعمال وطلب الخفة ... [10]

- التل الأعفر، ذكره الشريف الادريسي (توفي سنة 560 هـ/ 1163 م) في مؤلفه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق): دخلتها في رحلتي الى الشام وبتّ بها ليلة، وظني انها كانت (التل الاعفر) فخففوها وقالوا: تلعفر ...[11]

- تل يعفور، ذكر في الحديث عند حصار بدر الدين لؤلؤ لإبن المشطوب سنة 617 هـ: حوصر في شهر ربيع الآخر في (تل يعفور) القلعة بين الموصل وسنجار ... [12]

- تلول العفر: اسم اطلقه الرحالة الحلبي - السوري نيقولا سيوفي عند مروره بتلعفر سنة 1873 م [13]

- طلي فارو، ورد هذا الاسم في كتاب (تلعفر في العهد الملكي) للسيدة يمامة العبيدي وهو لفظ آرامي على ما يبدو [14]

- تلعفر، اسم المدينة الحالي والرسمي، [15] يقول السيد عبد الرزاق الحسني: ((تل أعفر)) ويكتبها بعضهم (تلعفر)، لفظ آرامي مركب من كلمتين هما (تلله) أي (تل) و (عبرة) أي (تراب) فيكون معناها حسب تفسيره (تل التراب) [16]

- اما الاستاذ صبحي ساعتجي فيقول: تستمد اسمها حسب الاعتقاد السائد من اللغة الآرامية بإعتبارها تل أغبر (التراب) وحرّفت فيما بعد الى تل أعفر ثم الى تلعفر، ويلفظها السكان المحليون تلافر [17]

---

9 عزالدين محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بإبن الاثير الجزري، الكامل في التاريخ، المجلد التاسع، الطبعة الرابعة، راجعه وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1423 هـ / 2003، ص360

10 ياقوت الرومي الحموي، معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، ص39

11 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص50

12 ليسترنج، المصدر السابق، ص130 وراجع ايضا: رحلة الرابي بنيامين بن يونة التطيلي، مجلة سومر، العدد الثاني، المجلد الثامن، 1952، ص 258

13 ، رحلة نيقولا سيوفي 1873، نشرها تيسير خلف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2009، ص66

14 ، ص1 يمامة اسماعيل صالح العبيدي، تلعفر في العهد الملكي 1921 - 1958، دراسة تاريخية (رسالة ماجستير)، الموصل، 2012، ص1

15 وقد ذكره من الاقدمين ابو العلاء القلقشندي في صبح الاعشى بالقول: إن (تلعفر) من الجزيرة من الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة ...

16 عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، ص 282

17 صبحي ساعتجى، القبائل والعشائر التركمانية في العراق ومناطق سكناهم، ترجمة: أ . أرشد الهرمزي، مؤسسة وقف كركوك للثقافة والابحاث، الطبعة الاولى، 2010، ص87

واذا كان المؤرخ وعالم الآثار الإنكليزي السير هنري لايارد [18] (1817- 1894 م) يرى أن (تلاسار) او (تلسار) [19] يمكن تعيين موضعهما في تلعفر، حسبما ذكر ذلك في كتابه (نينوى) الذي نشر سنة 1867 م، والتي ذكرت في العهد القديم (التوراة) مرتين في سفر الملوك الثاني (19: 12) وسفر إشعيا (37: 12) والنص كما يلي: ((لعل الأمم التي أهلكتها آبائي أنقذتها آلهتها كجوران وحاران و أبناء عادان وتلاسار))، فإنه رأي يستحق النقاش:

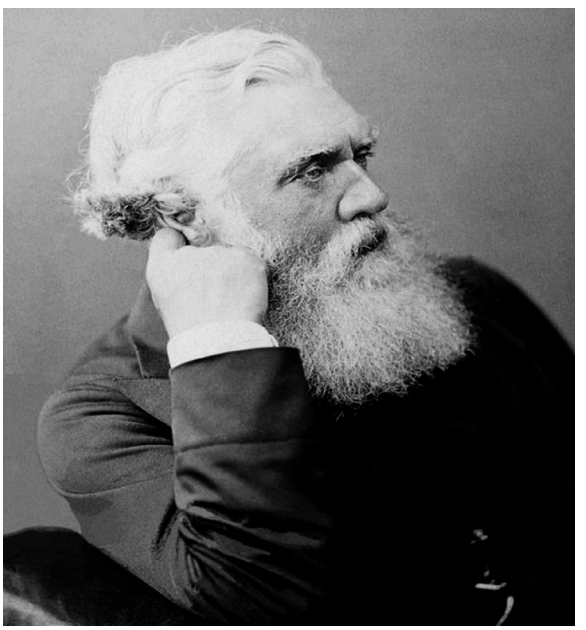

إن سكان تلعفر ينطقون اسم مدينتهم بعامّيتهم العفوية (تلفار) او (طلفار) بتسكين التاء احياناً وفتحها احياناً اخرى، وهو نطق قريب جداً من (تلسار) إذ هم يستبدلون السين في الكلمة بالفاء فقط، وإذا علمنا أن عشرات او مئات الكلمات السومرية حاضرة في لهجة تلعفر اليوم كما نطق بها السومريون او محرفة بعض الشيئ عنها بفعل تطاول الزمن سهل علينا توثيق العلاقة بين (تلفار) و (تلسار)، كما ان اللفظة تقترب اكثر من التسمية الآرامية (طلي فارو) لتلعفر

18 السير هنري لايارد Austen Henry Layard ولد في باريس من عائلة عملت في السلك الدبلوماسي واخذ تعليمه في ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا، وبحكم وظيفة والده نشأ لايارد محباً للسفر والترحال والفنون الجميلة، سافر الى سيلان واستغرقت رحلته الى الشرق عدة سنوات وقضى عدة سنوات في فلسطين وسورية وإيران والعراق، وكانت الموصل المحطة التي توقّف فيها لبناء آماله وتحقيق أحلامه .... (موسوعة الموصل، مج1، ص510، هامش رقم 9) تمكّن في العام 1845 وبمساعدة السير ستارت فورد كننك السفير البريطاني في الأستانة الحصول على سماح (فرمان) من حكومة الباب العالي للتنقيب عن الآثار في المدن الآشورية، وكانت مصادر معلوماته عن آثار هذه المنطقة بالدرجة الرئيسة أسفار العهد القديم (التوراة) وما كتبه الرحّالة الذين زاروا أطلال هذه المدن ودوّنوا ملاحظاتهم عنها ... (موسوعة الموصل الحضارية، مج1، ص492)

19 يعرّف كتّاب قاموس الكتاب المقدّس (تلاسار) بقولهم: إسم آشوري معناه (تل آشور) وهو مكان كان يقطنه بنو عدن وتغلّب عليه الآشوريون ...

وسند كلامنا هذا بقاء العديد من أسماء المدن العراقية اليوم سواءاً منها المجاورة لتلعفر ام البعيدة عنها في الوسط والجنوب كما هي دون تغيير - كما لفظها اسلافنا العراقيون القدماء - او حدث فيها تحوير يسير سعياً إلى سهولة اللفظ كما في الامثلة الآتية:

ت	الاسم القديم	الاسم الحالي	الاصل والمعنى
1	نيناوا	نينوى	اشورية وتعني إلهة السمك والحوت
2	تل كيبا	تلكيف	سريانية وتعني تل الحجارة
3	بارطيلا	برطلة	بيت الاطفال او بيت الظل
4	شنگارا	سنجار	آشورية
5	شروكات	الشرقاط	آشورية تعني الملك قات
6	إربل أو أربع أيل	أربيل	اشورية تعني الآلهة الاربعة
7	شقلا آباد	شقلاوة	اسم لكنيسة قديمة
8	عمكاوا	عنكاوا	اسم لكنيسة قديمة
9	باعشيقا	بعشيقة	آرامية تعني بيت المظالم او المفاسد او العشيق
10	باعقوبا	بعقوبة	آرامية وتعني بيت الحارس او بيت العقوبة
11	تكريتا	تكريت	أكدية تعني القلعة الحصينة
12	دورو	الدور	آشورية وتعني القلعة
13	عانات	عنة	اسم لإحدى الآلهة التي عبدها السومريون (اناتا)
14	سوميرة او سومارتا	سامراء	سومرية وتعني ارض الفخار
15	ايتو او هيتو	هيت	اشورية وتعني القار
16	بگدادو	بغداد	سومرية وتعني قلعة الصقر
17	باب - إيل	بابل	سومرية أو أكدية وتعني بوابة الاله
18	كرب - ايل اوكورو- بعل	كربلاء	اشورية وتعني حرم الله او قرية الاله بعل

وهكذا لكل مدينة أو قرية في العراق جذور تنغرس في طينه ولها قصة مع أرضه التي بقيت شاهدا على أول التجارب الحضرية في الدنيا

و يجدر التنويه هنا الى أن مؤرخي العهود الإسلامية حاولوا تقريب الكثير من التسميات الى اللغة الفارسية لجهلهم بها، وأبتعدوا عن التمحيص في أصولها العراقية القديمة كالسومرية والبابلية والآشورية لإندراسها، أما بالنسبة للآرامية (لغة النبط) كما سموها فلم يكن لهم علم بها لما شهدته من إضمحلال، ناهيك عن العامل الإجتماعي والنفسي لمتداوليها، وهم يقبعون بدرجة أدنى في السلم الإجتماعي، ومكثت الآرامية شحيحة التداول لدى بعض الجماعات المنعزلة، و تبعت حركة إحياء تلك اللغات أو الفقه بها فتوحا من التفاسير والإكتشافات التي دحضت الكثير مما حوته بطون كتب التراث الإسلامي

وهنا نرصد أن كلمة (أعجمي) التي نقصرها اليوم على الإيرانيين، كانت تطلق على الفرس والآراميين (النبط) والأكراد، وكل سكان العراق الأوليين على حد سواء، ولهذا كانت بعض الكلمات يقال عنها أعجمية، وفهمها القوم بأنها فارسية، ولكنها يمكن أن

تكون آرامية الأصول، وقد نفاجأ بين الحين والآخر بكتاب عن رحلة مدونة الى العراق تصف الكثير من المواقع والتواريخ

وأنتقل الأمر في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي الى علماء الحفريات، بعد نشوء علم الحفريات (أركيولوجيا) ثم الباحثين الموسوعيين في العمارة منذ بواكير القرن العشرين مثل الإنكليزي (كرزويل) (1879-1974) و (كرترد بيل) (1869-1926) والألماني (هرشفلد) والفرنسي (لويس ماسينيون) (1889-1961)[20]

20 المدائن العراقية..النشأة والتسميات.. علي ثويني (شبكة الانترنيت)

لغة سكان تلعفر

لا احد يستطيع ان ينكر اللغة التركية التي يتحدث بها جميع سكان مركز قضاء تلعفر بلا استثناء، حتى اولئك الذين تعود اصولهم الى قبائل عربية، يقول مارك سايكس الذي زار تلعفر سنة 1906 م: تلعفر .. قرية صغيرة تسكنها اقوام تتحدث بلغة تركية [21]، فهي مسكونة من قبل الاتراك الذين ظلت لغتهم التركية مثلها كمثل جزيرة في بحر عربي [22]

وتذكر السالنامة[23] العثمانية المؤرخة سنة 1330هـ / 1912 م ان اهالي تلعفر يتكلمون لغة تركية قريبة من لهجة الـچاغتاي التركية، بإعتبار ان جميع اهالي تلعفر هم اتراك ... [24]

ويؤكد الكاتب العراقي رزوق عيسى هذه الحقيقة بقولـه: « إن اهالي البلدة معظمهم من الاتراك ويتكلمون لساناً شبيهاً بالـچغطائي، وهو لسان التركي الشرقي، وتمتاز لهجته عن اللغة التركية الحالية [25]

و ذكرت الدكتورة نيلفر بياتلي في مقال لها بعنوان: (تاريخ مدينة تلعفر التركمانية الجريحة) أن سكان تلعفر يتحدّثون لغة تركمانية غير مشابهة للهجة كركوك بل هي مشابهة للغة التي كان يتكلمها اهالي الاناضول، اي ان لهجة سكان تلعفر بعيدة - نوعاً ما - عن اللهجات التي يتكلمها تركمان العراق في بقية المحافظات مثل كركوك واربيل وطوزخورماتو ...[26]

في الوقت الذي تقترب فيه كثيراً من لهجة سكان المحلبية والعياضية ومنطقة الرشيدية والقرى التركمانية المحيطة بمدينة الموصل، بيد أن التفاهم بين أصحاب هذه اللهجات ولهجة سكان تلعفر ميسور الى حد ما وتحت اي ظرف كان

إذن الـچغتاي او الـچغتائية هي لهجة من لهجات اللغة التركية، ويرجع أصل الكلمة

---

21 مارك سايكس، رحلاتي الثلاثة الى الموصل، 1906 م (شبكة الانترنيت)

22 رحلة اثرية في مناطق الفرات ودجلة، الجزء الاول، فريدريك سارا و آرنست هرتسفيلد، ترجمة الدكتور: صبحي انور رشيد، ص 206 - 207

23 كلمة (سالنامة) مركبة من كلمتين فارسيتين: ''سال'' بمعنى سنة و ''نامة'' بمعنى كتاب وهو مصطلح عثماني كان بمنزلة الكتاب السنوي الذي يلخص ابرز الاحداث السياسية والاقتصادية لولايات الدولة العثمانية، بدات الدولة العلية باصدارها سنة 1263هـ / 1847م حتى سنة 1334هـ / 1915م، وقد بلغ مجموع السالنامات 75 سالنامة

24 حبيب الهرمزي، تلعفر التركمانية وأول ثورة ضد الاحتلال الاجنبي في العراق، مستشار في مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية (أورسام) تحليلات - الشرق الأوسط السنة الأولى - العدد 5، ص18

25 رزوق عيسى، مختصر جغرافية العراق، الطبعة الاولى، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، 1922، ص 258

26 لغة سكان تلعفر في الوثائق العثمانية، قحطان قره باش (شبكة الانترنيت)

إلى چـغتاي بن جنگيز_خان[27]، و هو الابن الثاني له، و مؤسس الخانية الچـغتائية، وقد أسست هذه اللغة بداية في المناطق التي حكم فيها چـغتاي ابن جنگيزخان وأولاده (كانت هذه البلاد تمتد من حدود بلاد الأويغور إلى سمرقند وبخارى، وكانت هذه الأراضي تابعة للدولة القراخانية الأويغورية والإديقوتية الأويغورية)

وبعد القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين استخدمت هذه اللغة الچـغتائية في الشمال الغربي لآسيا في المناطق التي حكم فيها جوجى الابن الأكبر لجنگيزخان، وفى مراعى روسيا الجنوبية، وفى المناطق التي حكم فيها أولاد تيمور (1370 - 1405 م) مثل أفغانستان وشرق إيران وشمال الشرقي لإيران، والقبائل التركية في الهند (شاهد الخريطة) [28]

27 ولد چـغتاي بن جنگيز خان في سنة ١١٨٠م، و أوكل إليه والده شؤون تطبيق اليسا او الياسق، و هو القانون المغولي الذي كانت تسير عليه الإمبراطورية المغولية، و بعد وفاة والده ورث القسم الذي تمثله اليوم الجمهوريات السوفيتية السابقة، و التي حكمها حتى وفاته عام ١٢٤١م. وطد جغتاي ملكه بين نهري سيحون و جيحون، و في المناطق التي حول كاشغر، و جعل عاصمته مدينة ألماليق و التي تقع بجوار مدينة غولجا في تركستان الشرقية اليوم. و رغم أن حكام الدولة هم من المغول الوثنيين، إلا أن رعاياهم كانوا معظمهم من الترك المسلمين، مما سبب بعض التوتر العرقي و الديني بين الحاكم و الرعية. و خانية جغتاي

28 بحوث الكتابات القديمة القومية في الصين- دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية، طـ 1984 بالصينية، ص 114 (شبكة الانترنيت)

تقول الباحثة صفية يلماز في رسالتها للماجستير والتي حصلت عليها من جامعة يلدز تكنيك تحت عنوان (تقييم لمكانة لغة الچاغاتاي من بين اللغات التركية):

((لغة الچاغاتاي هي اللغة المشتقة من اللغة التركية القديمة العائدة الى القرن الثالث والرابع عشر (الميلاديين)، واستخدمت هذه اللغة لفترة طويلة جدا حتى القرن العشرين، استخدمت هذه اللغة في تركستان الشرقية واسيا الوسطى من حدود الصين الى غرب ايران وكانت لغة الچاغاتاي لغة للأدب والثقافة ولغة الدولة الرسمية، وتطورت هذه اللغة تحت الادارة التيمورية بين سنتي 1405 - 1506 م)) [29]

و تأتي أهمية اللغة التركية الجغتائية كونها " لنگوا فرانكا Lingua Franca" لآسيا الوسطى، أو بعبارة أخرى اللغة التركية الفصيحة، و لغة التخاطب الرسمي، و استمر هذا الوضع حتى سنة ١٩٢١ م، إذ تفرعت إلى لهجتين تعدان الوريثتين للغة الچغتائية، هما اللهجتان الأوزبكية و الأويغورية [30]

وما زالت الأويغورية لغة حية للشعوب التركية التي تسكن حوض نهر تاريم، [31]، فمثلاً يذكر الشيخ نصر الله الطرازي - رحمه الله - في ترجمة كتاب (تاريخ بخارى) حينما تحدث عن الشعوب التركستانية وهي (كازاخستان، قرغيزستان، أوزبكستان، تركمنستان، طاجيكستان، و قره قالباق في جمهورية أوزبكستان): وأهالي تركستان مسلمون ... و يتكلم أهلها الچغتائية (التركية القديمة) والفارسية [32]

بقي أن تعلم أنّ اللغة الأويغورية المعاصرة (وهي وريثة الچغتائية) تتألف من 28 - 30 حرفا، وأبجديتها تستخدم الحروف العربية، وتكتب افقياً من اليمين الى اليسار، وهى لغة الأويغور الذين يعيشون فى مهد الأتراك (قلب آسيا)، وترتبط مميزات هذه اللغة إرتباطا وثيقا بالوقائع التاريخية، كما يستطيع التفاهم والتعبير بها قرابة 300 مليون تركى فى العالم بكل فئاتهم، لأن اللغة الأويغورية تعد مفتاح الدخول إلى آسيا وأوربا، فمعرفة اللغة الأويغورية يمهد لتعلم اللغة الأوزبكية والتركمانية والآذرية والقازاقية والقرغيزية[33]

29 لغة سكان تلعفر في الوثائق العثمانية، قحطان قره باش (شبكة الانترنيت)

30 دكتور عبد الرحمن جمال الكاشغري، حول اللغة الاويغورية التركية، مدونة بخاريون (شبكة الانترنيت)

31 الدكتور فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص51، و نهر تاريم: نهر كبير يتكون من مجموعة انهار يبلغ عددها قرابة خمسين نهراً، اهمها نهر ياركند وقيزل صو وآغ صو، لتشكل حوضاً كبيراً تبلغ مساحته اكثر من 900 كم مربع غرب الصين الحالية في الطرف الشمالي من هضبة التبت (الموسوعة الحرة - ويكيبيديا)

32 دكتور عبد الرحمن جمال، المصدر السابق

33 دكتور حسين المجيب المصري، تأريخ الادب التركي، ص12 - 13، نقلاً عن: دكتور عبد الرحمن جمال الكاشغري (مدونة بخاريون)

وهذا جدول يبيّن حروفها وهي ذاتها الموجودة في لهجة تركمان العراق اليوم ومن بينها لهجة سكان تلعفر:

الاحرف التركمانية	ما يقابلها بالعربية	ما يقابلها بالتركية
أ / ئـ	أ	A / E
ب	ب	B
پ	-	P
ت	ت/ط	T
ج	ج	C
چ	-	Ç
ح	ح	H
خ	خ	H
د	د	D
ر	ر	R
ز	ز/ ض/ظ/ذ	Z
س	س/ث	S
ش	ش	Ş
ص	ص	S
ع	ع	A
غ	غ	Ğ
ف	ف	F
ڤ	-	V
ق	ق	K
ك	ك	K
گ	-	G
ل	ل	L
م	م	M
ن	ن	N
هـ	هـ	H
و /وُ / وْ /ئو	و	U /o/ö /ü
و و	-	-
ي	ي	y/i [34]

وتنتمي التركمانية أصلاً إلى مجموعة اللغات الأدرالية ـ الألطائية (نسبة الى جبال ألطاي) السائدة في شمال تركستان الشرقية الصينية وهي اسرة لغوية تتكون من عشرين لغة او لهجة يتحدث بها قرابة 135 مليون نسمة [35] كما أن التركمانية لغة إلتصاقية أي تضاف كلمة جديدة الى الكلمة السابقة من اجل ايجاد معنى وزمن جديد، وهي تحاكي السومرية بنيوياً، بدأت بالانتشار منذ اكثر من 1500 سنة مع ورود المهاجرين التركمان إلى مختلف بقاع العالم[36]

34 سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، معلومات لغوية وادبية عن التركمانية، سلوى البياتي، دار الكلمة الحرة، بيروت، 2009، ص250

35 سليم مطر، المصدر السابق، ص235

36 دكتور علي ثويني، التركمان واللغة التركمانية في الثقافة العراقية (شبكة الانترنيت)

ومن امثلة تشابه الكلمات التي يتداولها سكان تلعفر اليوم مع السومرية نورد ما يلي:

اللفظ السومري	اللفظ بلهجة تلعفر	المعنى العربي
بالطة	بلطه	الطبر
آي	آي	القمر
آگر (كاف فارسية)	آغر	ثقيل
إيپ (باء فارسية)	إيپ	الحبل
كش (بضم الكاف)	قوش	طير
آش	آج	إفتح
دان	دان	قطعة
چالغى	چالغى	العزف
اگاش (كاف فارسية)	آغاج	شجرة
سو	صو	ماء
سيووم	سيوم	محب
سيووم ير	سيوم ير	أرض الحب
قال (مفخّمة)	قال	إبقى
بـى	بـى	هذا
كيشي	كيشي) كاف فارسية)	الذكر او الرجل
اودون	اودون	الحطب
كيس او غيس او قيس	قـز	البنت
كار (مفخّمة)	كار	العمل
وار (مفخّمة)	وار	موجود
دور	دور	قف
آكار	آخار	تقطّر الماء
إله السماء آنا آنا	آنا آنا	الجدة
إله القمر نانا	نانا	الام
إله الشمس بابا	بابا	الاب

وتختلف التركمانية عن التركية الحديثة بعدد حروف الأبجدية وطريقة اللفظ وتصريف الأفعال، وتعود بدايات الاستقلال عن الأصل المشترك الى القرن الثالث عشر الميلادي، وطفق يتكلم بها تركمان العراق وسورية وإيران والأردن وتركيا وتركمانستان وأفغانستان وأوزبكستان، ولغة تركمان العراق لغة وسط بين العثمانية والآذرية [37]

37 دكتور علي ثويني، المصدر السابق

ومن امثلة تشابه الكلمات التي يتداولها سكان تلعفر اليوم مع اذربيجان - مع اختلافات يسيرة - نورد ما يلي:

ت	اللفظ بلهجة تلعفر	اللفظ بلهجة اذربيجان	المعنى العربي
1	مَن (بفتح الميم) او مان	مـن (بفتح الميم)	أنا
2	أپار	أپار	خذ
3	مين	مين	اركب
4	يرپاغ	يرپاغ	ورقة
5	تورپاغ	تورپاغ	تراب [38]

يقول الدكتور عوني عمر لطفي اوغلو في مقالته (بين التركمانية والتركية):

إن اللسان التركي من الألسن الطورانية الشائعة في شمال آسيا، والذي انتشرت شعبة منه إلى الغرب نحو الأناضول وبلاد اوربا، وبه تتكلم الآن بلاد الأناضول، وهي لغة الثقافة فيها وصارت تسمى باللهجة العثمانية أو التركية الشرقية، تقابلها اللهجة الجغتائية أو التركية الغربية التي هي الأصفى نبعاً ومصدراً، والتركمان العراقيون يتكلمون بهذه اللهجة التركية الغربية

وقد تجد تمايزاً في أداء اللهجة التي يتكلم بها تركمان العراق من منطقة إلى أخرى حسب الأصول العشائرية التركية التي ينحدر منها أبناؤها، والمناطق الجغرافية التي نزحوا منها عبر موجات متتالية من الزمن

ومن بعض التمايز أن تجد أسلوباً في تركيب الكلام لا يعمل به في منطقة أخرى، كما في خانقين وشهربان وقزلرباط (السعدية) وآلتون كوبري وطوزخورماتو وأربيل و تلعفر، أوكلمات لا تجدها في غيرها، وبعضها عريق ومرفوع من التداول في الألسن التركية حاليا مع دوام استعماله عندنا، مثل (طوممماق: الإستغراق ويونگول: الخفيف... وغيرهما كثير) [39]

والملاحظ على لهجة سكان تلعفر انها تميل نحو تفخيم الحروف والكلمات وتضخيمها، وربما يعود السبب الى خشونة العيش وقسوة البيئة الجغرافية التي نزح منها التلعفريون المتمثلة بجبال ألطاي وما حولها وصحراء قره قوروم وسط القارة الآسيوية [40]

38 شاكر صابر الضابط، بحث تاريخي حول عشيرة البيات، ترجمة: نجات كوثر اوغلو، الملحق الثاني، دكتور بهجت حيدر البياتي، (عشيرة البيات)، منشورات مجلس التركمان، الطبعة الثانية، كركوك، 1425 هـ / 2004 م، ص94

39 سليم مطر، المصدر السابق، ص266 - 267

40 الاستاذ فؤاد الافندي، باحث في تاريخ تركمان تلعفر والعراق، مقابلات ومراسلات شخصية عبر الانترنيت

تـلعفر في العصور القديمة

للعراق في مسيرة الإنسانية مكان مرموق منذ القدم، يبدأ من انحسار مياه الطوفان واستواء سفينة نـوح (عليه السلام) على الجوديّ[41]، الجبل المطلّ على شمال العراق، وهو أمر سار ذكره عند الأقدمين واخبر به المؤرخون، وأوضحت التنقيبات الأثرية بعض معالمه .

منذ فجر البشرية انتشرت المستوطنات في شمال العراق وانشأت القرى الزراعية في الوديان المنتشرة بين السلاسل الجبلية وعلى الاراضي المتموجة حيث يتوفر المناخ الملائم والامطار الغزيرة والحيوانات والنباتات البرية الصالحة للتدجين، فانتشرت مستوطنات زراعية كثيرة في هذه المناطق على ضفاف الانهار ومصدّاتها وعند العيون والينابيع، وتعد (جرمو) التي تبعد 11 كم شرق جمجمال اقدم تلك المستوطنات الى جانب (تل حسّونة) والتي تقع الآن في قرية حسّونة في ناحية الشورة على بعد 33 كم جنوب مدينة الموصل

فعند نهايات العصر الحجري القديم (30000 - 12000 ق.م) الذي أطلق عليه في العراق العصر البرادوستي (نسبة الى جبال برادوست التي يقع فيها كهف شانيدر) وحين بدأ مناخ العالم بالتغيّر وقارب آخر عصر جليدي على الانتهاء وبدأت مرحلة الدفء والجفاف النسبي تسود العراق والشرق الأوسط، اخذ العراقيون سكنة الكهوف في الأقسام الشمالية يهجرون كهوفهم لفترات طويلة، وخلال أشهر الصيف يختارون فيها مستوطنات وقتية في العراء غير بعيدة عن أماكن كهوفهم قرب الينابيع والجداول ومجاري الأنهار ..... وكانت مناطق المغزلية (شمال غرب تلعفر) وقرمز دره (قرب حي المعلمين حالياً) ويارم تبه الى الجنوب من تلعفر من ابرز هذه المستوطنات الأولى... [42]

وبعد مضي ما يقرب من أربعة آلاف سنة على خروج العراقيين من الكهوف والتمرس في مبادئ الزراعة وتدجين الحيوان التي كشف عنها البحث الآثاري حتى الآن اصبحت هذه المناطق من ابرز منازل الاستيطان الأولى لطلائع فلاحي منطقة الموصل ... [43]

41 يقع ضمن سلسلة جبال ارارات اليوم في تركيا

42 د/ بهنام أبو الصوف، تاريخ منطقة الموصل القديم، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الاول، المصدر السابق، ص28

43 المصدر السابق، ص30

أعقب ذلك بما يقرب من ألف سنة بداية ظهور قرى إقليم الموصل الزراعية الدائمية التي نشاهد بقاياها البنائية والفخارية وأدوات المنزل الخاصة بإعداد الطعام والتنانير والمواقد ومخازن الغلال وأقراص المغازل وثقالات جوم الحياكة وخرز وقلائد الزينة من العظم والحجارة والصدف والأحجار الثمينة وتماثيل صغيرة للأم الإلهة من الطين والحجر ومواد أخرى في قرى الألف السادس قبل الميلاد في أماكن عديدة منها يارم تبه و الثلاثات في تلعفر ... ولقد مارس هؤلاء السكان التجارة فجلبوا حجر الزجاج البركاني من أماكن تواجده وسط بلاد الأناضول وقد سلكوا طريق شمال سورية مروراً بمنطقة سنجار و تلعفر ...

وقد تطور العديد من هذه القرى خلال الألف الرابع قبل الميلاد في شمال ووسط وجنوب العراق الى نواة لعدد كبير من المدن التي اشتهرت في بداية الألف الثالث قبل الميلاد بكونها حواضر مزدهرة للعراق القديم في عصوره التاريخية اللاحقة وكان من بين هذه الحواضر تلعفر .. [44]

نشأت تلعفر الى جانب هذه الحواضر ضمن العالم القديم في العصر الحجري الحديث في حدود سنة 6000 قبل الميلاد، وكانت معبراً مهماً للقوافل التجارية ومحط استراحتها في الجولات المتتابعة لها ضمن الرقعة الجغرافية للدنيا آنذاك ...من ذلك أن الطريق الذي كان بين جبلي مكحول ونجمة كان طريقاً للقوافل حيث كان يمر به طريقان أساسيان الأول كان يمر بالثرثار عبر جبل سنجار الى وادي الخابور، والثاني الى تلعفر ثم الى نصيبين[45]

بقيت تلعفر محطة للقوافل ضمن الدول والإمبراطوريات التي تعاقبت على حكم العراق، ولم يكن لها وجود بارز مستقل بسبب وجود المدن الكبرى المحيطة بها سواءاً في شمال العراق أم شمال سورية، فلم يتح لها وهي بين المدائن العملاقة إلاّ أن تعيش في أفيائها الظليلة

منتصف الألف الثاني قبل الميلاد أصبحت تلعفر مع سنجار جزءاً من الدولة الميتانية، وكانت مراكز الاستيطان الضيقة تجاروهما فنمت واصبحت مجتمعات زراعية واسعة اقام ابناؤها لهم الابراج الحصينة والقلاع المتينة التي كان الناس يهرعون إليها ويحفظون فيها ممتلكاتهم عند نشوب الحروب [46]، وفي العهد الآشوري نمت وتوسعت وبنيت قلعتها الأثرية وكانت المدينة تعرف بإسم (نمت عشتار) ... [47] و (تل عشتار)، وكانت هناك بساتين ومزارع وقفاً للإلهة عشتار التي اصبحت تلعفر

44 المصدر السابق، ص29 - 31
45 المصدر السابق، صq198
46 صديق الدملوجي، اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل - العراق، 1368 هـ / 1949 م، ص473
47 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص9

مركزاً لعبادتها في تلك العصور[48]

وازدادت أهميتها في فترة الألف الأول قبل الميلاد وذلك في عصر الملك الآشوري تجلاتبلاصر الثالث (745 - 727 ق . م)، وكان الآشوريون يعنون بتلعفر عناية كبيرة كونها تمثل

موقعاً مهماً على طريقين: عسكري وتجاري يربطان العراق بكلٍ من سوريا وإيران، أي أنها صلة وصل بين الشرق والغرب

بعد سقوط نينوى سنة 612 ق.م كانت تلعفر ومنطقة الجزيرة عموماً مسرحاً للحروب الطويلة التي جرت بين الحثيين والرومان، فكانت تقع تحت سيطرة الحثيين تارة وتارة تحت سيطرة الرومان الذين جددوا بناء قلعتها، وذكرها احد مؤرخيهم بإسم (تلسافاتا) التي حددها العالم الالماني ريتر كازل في موقع بلدة تلعفر الحالية [49]

ومع سقوط آخر إمبراطورية قوية في العراق القديم وهي الإمبراطورية البابلية - الكلدانية سنة 539 ق . م على يد الاخمينيين (539 - 331 ق.م) اصبحت تلعفر ضمن تلك الدولة التي حكمت أجزاءاً واسعة من غرب آسيا وامتدت حتى الغرب حيث الإغريق والرومان، كما أصبحت لها امتدادات شمال بلاد فارس وخصوصاً في جبال القوقاز على عهد الإمبراطور كورش الثاني (559 - 530 ق.م)، وبعد سقوط الحكم الاخميني في العراق انضوت تلعفر تحت حكم إمبراطورية الاسكندر المقدوني وخلفائه من بعده (323 - 126 ق.م) ثم الفرثيين او الباراثيين (247 ق.م - 226 م) ثم جاءت الدولة الساسانية (226 م - 636 م / 16 هـ)

وعندما بدأت هجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام نحو العراق والشام، سكنت بعض القبائل في منطقة الجزيرة وبجوار الموصل، ومن ضمنها بنو ربيعة التي سميت منطقة تلعفر وسنجار (ديار ربيعة) نسبة إليها [50]، ومع الفتوحات الإسلامية العمرية أصبحت من ممتلكات الدولة الإسلامية

مع الإشارة الى أن منطقة الجزيرة الفراتية - من ضمنها تلعفر - وبحكم موقعها الجغرافي المتماس مع حدود اكبر إمبراطوريتين في العالم القديم كانت مركز صراع مستمر لا يفتر بين الفرس والروم، وربما كان هذا العامل هو السبب الرئيس الذي لم يتح للمدينة أسباب الاستقرار والتقدم، شأنها شأن جاراتها ضمن الرقعة الجغرافية ذاتها، لكن ذلك لم يمنع ظهور مدن وحضارات قديمة فيها او بالقرب منها كانت شاهدة وما

48 عبد الجبار جرجيس، نينوى، ماضيها وحاضرها، الطبعة الاولى، العراق - الموصل، 1433 هـ / 2011 م، ص135، يرى بعض الباحثين ان (نمت عشتار) تعني محبوبة الالهة عشار او جنة الالهة عشتار او بستان الالهة عشتار

49 سالم الآلوسي، طرق القوافل في شمال العراق، مجلة سومر، ج1، مجلد 10، 1954

50 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص9

تزال على عراقتها وانغماس جذورها في ارض الرافدين

إن رابية او تلاً مثل تلعفر يحتضن ما يقارب ثلاثمائة موقع من المواقع الاثرية له عمقه في التأريخ وإسمه المتداول في كل ازمنة الحضارة العراقية [51]، وكانت تعجّ يوماً ما بالبشر وتزدهر بالحياة منذ ازمان سحيقة، حتى ان المؤرخ البريطاني مايكل وود ذهب الى القول،

رغم ما فيه من مبالغة: إن تلعفر العراقية اول مكان انطلقت منه البشرية [52]

وسنتكلم فيما يلي عن ابرز هذه المدن والمستوطنات التاريخية التي سكنها الانسان الاول في تلعفر واطرافها وفي عصور تأريخية مختلفة:

يارم تپه

يارم تپه اسم تركي معناه (نصف تل)، والظاهر أن جدول ماء قطعه الى نصفين وأزال نصفاً آخر منه، وهو واحد من ستة تلول تمتد لمسافة كيلو متر واحد على جانبي نهر صغير يدعى (آبري) [53]، يقع هذا التل في سهل سنجار على مسافة خمسة كيلو مترات تقريباً جنوب غرب تلعفر، ثلاثة من هذه التلول كبيرة الحجم تمّ فيها الحفر من قبل البعثة الآثارية الروسية سنة 1968 م [54]

وصلت الحفريات في التل الأول الى التربة البكر على عمق ستة أمتار بعد أن اخترقت اثنتي عشرة طبقة رقمت بالتسلسل من الأعلى الى الأسفل وظهرت الفخاريات عند الطبقة الأولى وكانت بوجه عام تشبه فخاريات قرية حسونة[55]، إذ وجد النوع القديم والنوع النموذجي بمختلف الأشكال كالأواني والجرار والصحون الكبيرة والصغيرة وأواني فرك قشور الحبوب الغذائية، ووجدت في الطبقات العليا من الموقع فخاريات حسونة المتطورة ...

ولوحظ أن المباني شيدت على تخطيط مستطيل وبنيت الجدران من الطوف والأرضيات من الطين المرصوص وملطت الجدران والأرضيات بالجبس، كما لونت الجدران باللون الأحمر، واحتوت بعض الغرف تنانير و مواقد وألحقت بالبيوت غرف

51 رشيد الخيون، تلعفر عشق التنقل بين الغزاة وهذه العودة العصية، من كتاب: تركمان العراق تاريخهم ومناطقهم وثقافتهم، عمل جماعي من اعداد الباحثة زاهية النجفي، الطبعة الأولى، دار الكلمة الحرة - بيروت، 2009، ص53

52 نقلاً عن تقرير تلفزيوني مصور

53 دكتور تقي الدباغ، حضارة منطقة الموصل في التاريخ القديم، موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص48

54 طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الاول الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، الطبعة الثانية، 2012، ص151

55 طه باقر، المصدر السابق، ص235

صغيرة استخدمت للخزن، وبعض هذه المخازن لم تكن لها أبواب ومن المحتمل أن الدخول إليها كان من السطح

ومن المباني المهمة في القرية بناء يتألف من أربع عشرة غرفة صغيرة بنيت على صفين ويظن أنها استخدمت مخازن عامة لسكان القرية، ويعود تأريخ هذه القرية الأولى الى الألف السادس قبل الميلاد (بحدود سنة 5600 ق.م)

أما التل الثاني فقد بدأت التنقيبات فيه سنة 1969 في داخل خندق مدرج بلغ عرضه عشرة أمتار في أعلى نقطة من التل ونزل الحفر فيه الى عمق ثمانية أمتار رصدت فيها آثار تسع طبقات بنائية تعود جميعها الى عصر حلف، وظهرت في هذه الطبقات مبانٍ مدوّرة ملحقة

بمداخل مستطيلة الشكل من طراز مباني عصر حلف التي وجد مثلها في الاريجية و تپه كورا، كما أن المباني المستطيلة والمربعة الشكل كانت شائعة في هذه القرية الثانية .

أما الأواني الفخارية التي استخرجت فهي إما غير ملونة او ملونة وتشكل الملونة منها نسبة عالية وهي ذات لون واحد او لونين او عدة ألوان، وجميع الفخاريات المكتشفة تمثل صناعة جيدة معمولة باليد ومدلوكة ومطلية .

وقد تم العثور على عدد من القبور كانت الجثث فيها إما مدفونة او محروقة، وظهرت مجموعة من الصناعات الحجرية والأختام المنبسطة ذات المشاهد الهندسية، وظهرت آلات عظمية و دلاية من النحاس محرزة بعدد من الخيوط الأفقية [56]

كما وجد المنقّبون في هذا التل عظام الأغنام والماعز والماشية و الخنازير المدجّنة، ووجدوا مناجل ومجارش وهاونات من حجر الصوّان استخدمت في حصد الحبوب الغذائية وطحنها ويعود تأريخ هذه القرية الى سنة 4550 ق . م، أي الى العصر الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل القرى الزراعية المبكرة في عصور ما قبل التاريخ في العراق . [57]

56 د/ تقي الدباغ، حضارة منطقة الموصل في التاريخ القديم، موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص48

57 د/ تقي الدباغ، المصدر السابق، ص168

أما التل الثالث فهو اكبر التلول بلغ قطره 200 متر وارتفاعه عشرة أمتار عن السهل المجاور، وقد جرت فيه التنقيبات سنة 1978 ووجدت آثار من عصر العبيد الشمالي مع عدد قليل من فخاريات عصر حلف، ويمكن مقارنة طبقات عصر العبيد في هذه القرية الثالثة مع مثيلاتها في تپة كورا، وكلاهما يقع فوق أنقاض عصر حلف، وكان حجم المستوطن العبيدي في هذا التل صغيراً جداً ويقع في قمة التل، ويعود تأريخ هذه القرية الى سنة 4200 ق . م تقريباً [58]

وابرز ما في هذه القرية ميزة، له علاقة بموضوع تخطيط المدن هو القسم الشمالي منها كانت فيه مساكن لحرفيين ومنهم العاملون في صناعة الفخار، حيث عثر في هذا القسم على كورة لفخر الأواني الطينية مكوّنة من طبقتين ربما تكون أقدم مثل لفرن يكشف في منطقة مخصصة للأغراض الصناعية [59]

وقد عثر في هذه القرية على عدد كبير من الهياكل العظمية التي تعود لأطفال رضّع مدفونين تحت أرضيات غرف البيوت ... ربما تكون لها علاقة بالمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك [60]

وفي سنة 1970 م تمّ العثور في احد غرف الطبقة الخامسة على آلة نفخية من الفخار صنعت بشكل أنبوب اسطواني يشبه (السيگاره) ينتهي طرف منه بشكل يمثل رأس خروف، ويحتوي هذا الأثر عدّة ثقوب منتظمة، الأمر الذي يشير الى استعماله كآلة نفخية أي (صفّارة)

وترجع أهمية هذا الأثر الى أنه أقدم آلة موسيقية جاءت من ارض العراق واستعملها العراقيون الأقدمون في عصور ما قبل التأريخ، وعلى وجه التحديد في عصر حسونة (5600 ق.م) في المنطقة الشمالية، كما وان هذا الأثر هو أول اثر في العراق وأقدمه يرينا علاقة الحيوان بالآلة الموسيقية، هذه العلاقة التي ظهرت في العصور التاريخية اللاحقة عند السومريين والأكديين منذ عصر فجر السلالات الثالث (200 - 2320 ق.م) ... [61]

58 دكتور تقي الدباغ، من القرية الى المدينة، موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص49-48

59 المصدر السابق، ص434

60 المصدر السابق، 439

61 المصدر السابق، 470

تل الرماح

يقع على مسافة 12 كيلو متراً جنوب شرق تلعفر، ويعرف عند السكان المحليين بإسم (صوپان او بيوگ صوپان اوصوپان خراباسى) كما عُرف الموقع بإسم (گارانا) Karan الذي ورد في نصوص ماري (تل الحريري)

وقد كان يتمتع بعلاقات متميّزة مع مملكة ماري اثناء العصر البابلي القديم، من خلال المراسلات التي كانت متبادلة بين المدينتين، وقد عثر في احد قصور تل الرماح على نصوص معاصرة لعصر ملك ماري زمري - لم (1775 - 1761 ق.م)، فضلاً عن مجموعة رسائل للملكة إلتاني زوجة حاكم گارانا (تل الرماح) إقب - خمو الذي كان - على الارجح - تابعاً للملك البابلي حمورابي وشقيقه اشگر - ادد حاكم گاارانا

وفي العصر الآشوري الحديث تغيّر اسمه الى (زماخ) zamakhu وشيّد فيه معبد جديد لعبادة الإله (أدد)، ويبدو ان تل الرماح كان تابعاً آنذاك الى حاكم مقاطعة رصاپا rasappa في سورية او resafa مثلما وردت في كتابات علماء الاثار .

وجاءت اهمية تل الرماح في الالف الثاني قبل الميلاد من موقعها على طريق التجارة بالبضائع واهمها القصدير والحبوب، التي كانت تنقل عبرها من الشرق الى الغرب، ولكن تحوّل مسار هذا الطريق في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد، وتحوّلها الى المناطق الشمالية ادّى الى اضمحلال موارد المدينة وتناقص اهميتها، ولم تسترد تل الرماح مكانتها القديمة إلاّ بعد أن اعيد استيطانها في العصر الاشوري الحديث [62]

ويمثل التل بقايا مدينة واسعة مسوّرة بسور غير منتظم طوله نصف كيلو متر تقريباً، وفي وسطه تلولٍ صغيرة تمثل بقايا الأبنية القديمة، من بينها الزقورة التي يصل ارتفاعها إلى 40م تقريباً فوق مستوى السهل المحيط بالموقع

أجريت التنقيبات في الموقع من قبل بعثة بريطانية بين سنتي 1931 - 1932 م وتبيّن انه يرجع الى عصر فجر السلالات والعصر الأكدى حيث استمر السكن في الموقع حتى أواخر العصر الآشوري الحديث، وقد كشف عن معبد الى جانبه زقورة من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وعن قصر للملك شمشي - ادد الأول وعلى رقم طينية ترقى بتأريخها الى القرن الثامن عشر قبل الميلاد [63]

ومن المكتشفات المهمة في معبد تل الرماح الرقم المسمارية من العصر الاشوري الوسيط المؤرخة في عهد الملكين الاشوريين شلمنصر الاول (1274 - 1245 ق.م) وتوكلتي - ننورتا الاول (1244 - 1208 ق.م) وعددها 165 تدور موضوعاتها في

62 د/ نائل حنون، مدن قديمة ومواقع اثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، الطبعة الاولى، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، 2009، ص121 - 122

63 محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، د/عامر سليمان و د/محمد أزهر السماك، ود/توفيق اليوزبكي، و د/ إبراهيم خليل، و د/احمد قاسم الجمعة، و د/سطّام الجبوري، و أ/ عبد الجبار محمد جرجيس، الموصل، 1986، ص47، وينظر: طـه باقر، المصدر السابق، ص151

قروض وفوائد وعقود بيع وشراء ومسائل قضائية ... واكتشفت داخل المعبد مسلّة حجرية للملك الآشوري ادد - نيراري الثالث (810 - 783 ق.م) منقوشة عليها اخبار حملته الحربية في سورية[64]

كما كشفت التنقيبات الحديثة في هذا الموقع عن وجود بقايا قبوة مشيّدة باللبن من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وعدّت من أقدم القبوات التي شيّدت من نوعها وكذلك عدت الهيئة العامة في تل الرماح استناداً الى ذلك أن استخدام هذا العنصر عراقي

ومنذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد عثر في تل الرماح على نماذج لعقود مشيّدة باللبن تدل أساليب بنائها أنها تطورت عن نماذج أقدم منها، كما كشف في تل الرماح ما يؤكد التوصل الى معرفة الانتقال من القاعدة المربعة الى القاعدة الدائرية او القريبة من الدائرة لإقامة القبة[65]

ومن الطرز المعمارية التي ظهرت في تل الرماح ما يعرف ب (بيت خيلاني) الذي نشأ في سورية في العصر الحوري الميتاني منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، ويتميّز هذا الطراز بمدخل تتقدمه سقيفة محمولة على أعمدة... [66]

تل طـاية

يقع الى الجنوب من مدينة تلعفر، ويعد من الناحية التخطيطية أقدم المدن المكتشفة في أعالي العراق سيما المنطقة الواقعة بين نهر دجلة وتل براك على نهر الخابور الذي يعود كما يرى المنقبون الى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد، فقد خطط الآثاريون العاملون في هذا الموقع أثناء عمليات المسح جدران الأبنية المتبقية وأسسها وحدّدوا قطاعات سكنية فيها يحتوي الواحد منها وحدات بنائية موزّعة على كتفي الوادي الذي يخترق هذه المدينة من الشمال الى الجنوب [67]

إن الأقسام المنقّبة من تل طاية أرّخت مكتشفاتها بعصر فجر السلالات او العصر الأكدى على الرغم أنها لاتشبه مباني هذه الفترة في بلاد وادي الرافدين من حيث استخدام الحجارة بديلاً عن اللبن الكثير الاستخدام في البناء آنذاك، وعلى الرغم من أن

64 د/ نائل حنون، المصدر السابق، ص121
65 موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص417-410
66 المصدر السابق، ص402
67 المصدر السابق، ص421

استخدام الحجارة يكون دليلاً على رفاهية سكان تل طاية من جهة ويقدم دليلاً آخر على ما وصلت إليه المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد من الرقي والتقدم من جهة ثانية ...

وألقت المسوحات الآثارية التي جرت على منطقةٍ غرب الموصل لاسيما الواقعة منها بين نهر دجلة وجبل سنجار الضوء على أن مدناً من الفترة التي ازدهرت فيها تل طاية كانت كل واحدة منها محاطة بأسوار محصّنة لا بدّ وأنها كانت دفاعية وتحفظ استقلال الواحدة منها مثل تل أبو ماريا (شرق تلعفر) وتل خوشي وتل هذيل ... وربما إن اكبر هذه المواقع سعة كان أكثرها نفوذاً لقيادة دول المنطقة المتشابهة في الأغلب للنمط المعروف في المدن السومرية في السهل الرسوبي من العراق

ويحيط بتل طاية سور دائري الشكل يعود تاريخه الى عصر فجر السلالات او العصر الأكدى وهو على غرار سور المعابد المكتشفة في منطقة ديالى ومنها المعبد البيضوي في خفاجة وتل العبيد وتل الهبة من الفترة ذاتها، إذ يبلغ سمك ذلك السور مترين مبني من الحجارة غير المنهدمة، وفي ذلك دلالة على الإمكانية الاقتصادية لسكان تل طاية فضلاً عن إمكاناتهم البشرية والفنية [68]

وترينا المسوحات الموقعية لمدينة تل طاية الواسعة المساحة ... أن شوارعها طولية ومستقيمة وعريضة موزّعة على أرجاء الموقع، وبذلك تعطي هذه المدينة الصورة التي كانت عليها المدينة في تلك العصور، ولكون الحفريات في هذا الموقع كانت محدودة فلا يعرف ما إذا كانت في هذه الشوارع أسواق ودكاكين يمارس السكان فيها نشاطاتهم الاقتصادية كما هي الحال في المدن في الوقت الحاضر [69]

تل أبو ماريا

يقع على بعد 17 كم شرق تلعفر على طريق الموصل، وتدل أعمال المسح والتفتيش الأثري فيه انه يعود الى عصر الوركاء وعهد الإمبراطورية الآشورية ثم الرومانية، وفي العصور الاسلامية كانت قلعة عامرة يجاورها قرية تسمى بإسمها، ولم تزل القرية موجودة [70]

ذكر ياقوت الحموي (توفي سنة 626 هـ) (ابو ماريا) في معجم البلدان فقال: بليدة من

نواحي الموصل قرب تل أعفر، وهي قرية صغيرة لا يتجاوز عدد دورها المائتين وهم من

عشيرة الجحيش العربية ...

68 موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص425-421

69 المسدر السابق، ص437

70 ياسين بن خير الله الخطيب العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، ص123 هامش رقم (1)

وقد دلت الكشوفات الاثرية التي قام بها الآثاري البريطاني سيتون لويد في منطقة ابي ماريا اواخرالثلاثينيات من القرن الماضي أنها مطابقة لمدينة أبقو القديمة التي ازدهرت في العصور الآشورية المختلفة وهو الرأي الذي تم التوصل إليه منذ عدة عقود [71]

وفيها شيّد الملك الآشوري ناصرپال (833 - 859 ق . م) قصره السياحي الذي سمي فيما بعد تل مارية[72]، وبالقرب منها عين ماء البيضاء[73] او (آغ صو) كما يسميه سكان تلعفر [74]

تلول الثلاثات (اوچ تپه)

تقع هذه التلول في سهل واسع غرب دجلة على بعد ستين كيلو متراً غرب الموصل (10 كم شرق تلعفر)، وهي أربعة تلول متجاورة وقد تركز تنقيب البعثة اليابانية التي عملت في الموقع عدة مواسم بدءاً من سنة 1956 م على التل رقم 2 ... [75]

عثر في هذا التل على ست عشرة طبقة سكنية تعود اثنتان منها وهما السادسة عشرة والخامسة عشرة الى عصر حسونة، بدليل وجود كثير من الفخار السمج من نوع فخار حسونة القديم فيها، ووجدت في أقدم طبقات الموقع مقاشط وسكاكين حجرية وآنية فخارية تعود الى العصر الحجري الحديث، أما الطبقات الأخرى فتعود الى عصر العبيد [76]، والموقع مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (1041) [77]

قرمزدره

من اقدم المستوطنات البشرية في العالم، يعود تأريخها الى نهايات العصر الحجري القديم (30000 - 12000 ق . م)، حين بدأ مناخ العالم بالتغيّر وقارب آخر عصر

71 د/ نائل حنون، المصدر السابق، ص119
72 دكتور تقي الدباغ، المصدر السابق، ص54
73 عبد الماجود احمد السلمان، الموصل في العهدين الراشدي و الاموي، الطبعة الاولى، منشورات مكتبة بسام ، 1406 هـ / 1985 م، ص161
74 يطلق السكان في تلعفر تسمية قارغوتو تباسى او قارغطى تباسى) على تل ابي ماريا، كما ورد في معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية، وهو سند خاقاني مسجل بإسم عشيرة همّات، وتقع عين الماء (آق صو) عند جهتها الجنوبية الغربية، وقد انشأ عليها رحى مائية (طاحونة) في خمسينيات القرن الماضي ... أنظر: نجات كوثر اوغلو، معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية، تعريب: حسن كوثر، مؤسسة وقف كركوك، 2014، ص31
75 نجات كوثر اوغلو، معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية، ص40، وانظر ايضاً: موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص49
76 موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص49
77 د/ نائل حنون، المصدر السابق، ص148

جليدي على الانتهاء وبدأت مرحلة الدفء والجفاف النسبي تسود العراق والشرق الأوسط، اخذ العراقيون سكنة الكهوف في الأقسام الشمالية يهجرون كهوفهم لفترات طويلة، وخلال أشهر الصيف يختارون فيها مستوطنات وقتية في العراء غير بعيدة عن أماكن كهوفهم قرب الينابيع والجداول ومجاري الأنهار

تقع منطقة قرمز دره الى الغرب من مركز قضاء تلعفر، وتعني التسمية (الوادي الاحمر) بسبب احمرار في لون تربة الوادي، وهي مسجلة في سجلات التسجيل العقاري ضمن المقاطعة رقم (68) ومدونة في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (985)، وقد أسس على جزء منها حي المعلمين الحالي او دار المعلمين حسب التسمية المحلية [78]

المغزلية

موقع اثري يقع الى الشمال الغربي من مدينة تلعفر و (المغزلية) اسم محلي أطلقه السكان هناك (مغزالى كويو)، وقد كشف فيه عن قرية تعود الى العصر الحجري الحديث، استظهرت بقايا مساكنها وتحصيناتها التي تسبق الاستحكامات الدفاعية في تل الصوان الواقع جنوب مدينة سامراء [79]

وفي هذه القرية وغيرها من المستوطنات الزراعية الأولى وضعت الأسس الأولى للبيت العراقي القديم والتي لم تتغيّر في مجال الريف حتى الآن (فناء مكشوف وحوله الغرف أي ما يعرف اليوم بالتصميم الشرقي) [80] للبيوت عند العراقيين

نـه ردان تپه

تل وموقع اثري يقع عند مدخل بساتين تلعفر من جهة المنطقة المعروفة بـ (قصاب خانة) بمسافة 100 - 200 متر تقريباً، وهو من بقايا الآشوريين، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (952) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية في العدد 2553 بتاريخ 25-11-1947 م [81]

78 د/ نائل حنون، المصدر السابق، ص152 و نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص 186
79 موسوعة الموصل الحضارية، المصدر السابق، ص500
80 المصدر السابق، ص401
81 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص240، تعني كلمة (نردان) حبات الرمان المجففة،

ده م تپه

تل وموقع اثري في مركز قضاء تلعفر يقع على بعد ثلاثة كيلومترات تقريباً عن قرية فقة شمال شرق تلعفر، وهو من بقايا الآشوريين، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالرقم (941) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد 2553 في 25/11/1947 [82]

قره تپه (التل الاسود)

يقع هذا التل الى الجنوب من مركز قضاء تلعفر، ويعود تاريخه الى عصور ما بعد عصر فجر السلالات، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (1097)[83]، والتل عبارة عن هضبة واسعة كبيرة تتألف من اثنين من التلال الرئيسة العالية , ويبلغ ارتفاعها قرابة ثلاثين متراً , والتل الواقع في الجانب الجنوبي أصغر حجماً من الجانب الشمالي، لكن ليس له شكل ثابت

ان تراكم الاطلال فيها توحي بانها كانت مدينة مسورة محصنة ومحكمة , واثناء التنقيب عثر على مجموعة من الادوات الفخارية السطحية فيها، حسب ما اكده عالم الآثار الانگليزي سيتون لويد و المستر مالوان اللذان كانا مبعوثين من قبل المتحف البريطاني سنة 1934م[84]

ملاّ جاسم

موقع اثري ومقبرة كبيرة في اطراف تلعفر الغربية على طريق سنجار وبالقرب من قرية ترمي، من بقايا العصر الآشوري والعصور الاسلامية الاولى، مسجّل دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (945) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد (2553)

بتأريخ 25/11/1947 م[85]، ولعل في هذا الموقع قبراً لشخص صالح يدعى (ملاّ جاسم) مما يفسر سبب التسمية، وقد بنت الحكومة على ارض الموقع دائرة للبحوث الزراعية ومرصداً للأحوال الجوية

ويبدو ان عمليات التجفيف كانت تجري على هذا التل، الذي لم يعد له وجود الآن بسبب الاهمال الحكومي من جهة وزحف العمران السكاني إليه من جهة اخرى

82 المصدر السابق، ص116

83 د/ نائل حنون، المصدر السابق، ص152

84 IRAQ, the BISI journal (شبكة الانترنيت)، وهناك تل آخر في الاطراف الشرقية من تلعفر يحمل الاسم ذاته يبعد عنها 15 كم تقريباً، يقع على طريق موصل - تلعفر وهو سند طابو مسجل بإسم ال قبلان من محلة السراي، وهو اقل شهرة من الاول وتأريخه حديث قياساً بالاول

85 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص237

قرية فَقَة

قرية تابعة إدارياً الى ناحية العياضية، وتبعد عن مركز قضاء تلعفر بمسافة 10 كم تقريباً باتجاه الشمال الشرقي، كانت مركزاً من المراكز الدفاعية خلال الفترة الآشورية المتأخرة، وربما نتج الاستيطان القروي فيها عن سياسة الحكام الآشوريين القاضية بإعادة تأهيل الصحراء، وفي أوائل القرن الثاني وأواسط الثالث الميلاديين كانت القرية وسهل الجزيرة الشمالي من ضمن ممتلكات الامبراطورية الرومانية، حيث شيدت لحماية الطرق العسكرية والقوافل التجارية[86]

وهذه مجموعة من المواقع الاثرية التي تقع في مركز قضاء تلعفر والمناطق المحيطة به، شهدت سكنى الانسان العراقي القديم، نذكرها على سبيل المثال لا الحصر وقد نقلناها من كتاب الدكتور نائل حنون (مدن قديمة) وكتاب الاستاذ نجات كوثر اوغلو (معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية) مع بيان شرح موجز لكل موقع:

شيخلر خراباسى (خرائب آل شيخلار): وهي مساحة واسعة من الارض في محيط قرية العبرة الكبيرة (20 كم غرب تلعفر) فيها اثار تعود الى ايام الآشوريين، مسجل دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (1026) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد (2003) في 25/11/1947

ارحال تپه سى (تل ارحال): اسم موقع وتل اثري في محيط قرية ارحال التابعة لناحية العياضية في قضاء تلعفر، وهو من الاثار الباقية من عهد الامبراطورية الاشورية، مدون في سجلات دائرة الآثار والتراث في بغداد رقم (1003) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية ذي العدد 2003 في 25 - 11 - 1947 م

آو تپه سى (تلة الصيد): خربة اثرية في قرية قيزل قويو - البئر الحمراء - التابعة لناحية العياضية، وهي من بقايا الامبراطورية الاشورية ومسجلة في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (1010) ومذكورة في جريدة الوقائع العراقية العدد 2003 في 25 / 11 / 1947 م

تاتار اوغلو (ابن التتار): موقع اثري في مركز قضاء تلعفر، من بقايا الاشوريين، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (954) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

چولاق تپه سى (تل آل چولاق): تل وموقع اثري في مركز قضاء تلعفر، من بقايا الاشوريين والعصر الاسلامي الاول، مسجل بالعدد (942) في دائرة الآثار والتراث في بغداد ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

خزنالى تپه (تلة الكنز): تل وموقع اثري في محيط قرية (جمعة) التابعة لناحية العياضية

86 IRAQ, the BISI journal (شبكة الانترنيت)

في تلعفر، من بقايا الآشوريين، ومسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (1078)

دليك تپه (التل المجوف او المثقوب): تل وموقع اثري في مركز قضاء تلعفر، من بقايا الاشوريين، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (953) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

صارى تپه (التل الاصفر): تل وموقع اثري في مركز قضاء تلعفر، من بقايا الاشوريين، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (939) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

عمر تپه (تلة عمر): تل اثري في محيط قضاء تلعفر من بقايا الآشوريين، ومسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالرقم (947)، ومنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد 2553 في 25 / 11 / 1947 م

قصابلى طوزنغى (هضبة آل قصاب): مساحة من الارض تضم آثاراً قديمة، تقع في محيط قرية البوغة التابعة لناحية العياضية، من بقايا الآشوريين ومسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (1046)، ومنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

كومپتلى (الخيمة او المعسكر): موقع اثري في محيط مركز قضاء تلعفر من بقايا الآشوريين، مسجل في دائرة الآثار والتراث في بغداد بالعدد (949) ومنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

ملالار تپه سى (تل الملالي): تل وموقع اثري في محيط قرية مرزيب التابعة لناحية العياضية من بقايا الآشوريين، ومسجل بالعدد (978) في دائرة الآثار والتراث في بغداد، ومنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

ياشل طوزنغى (الهضبة الخضراء): موقع اثري في محيط قرية خاره له (العبرة الكبيرة)، من بقايا الآشوريين، ومسجل بالعدد (1021) في دائرة الآثار والتراث في بغداد، ومنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد (2553) في 25 / 11 / 1947 م

قره تپة جنوب تلعفر

تـلعفـر في العصور الإسلامية

الفتـح الإسـلامي

اشار الاستاذ قحطان عبوش الى انتشار الديانة المسيحية في منطقة تلعفر والجزيرة في القرن الرابع الميلادي، كما أشار الى وجود كنيسة للنصارى في تلعفر [87] والراجح ان هذا الوضع ظل قائماً حتى الفتوحات الاسلامية[88] فقد كانت النصرانية منتشرة في سنجار وابي ماريا القريبتين من تلعفر، وليس من المستبعد ان تكون تلعفر نفسها تدين بالنصرانية حينها

ومع إشراقة شمس الرسالة التي عمّت المعمورة وصلت جحافل المسلمين الى أطراف تلعفر قادمة من بلاد الشام وعسكرت الى الشمال منها في المنطقة المعروفة اليوم بـ (العياضية) نسبة الى القائد الفاتح الصحابي عيّاض بن غنم الفهري[89] (رضي الله عنه)، الذي فتح المدينة سنة 18 هـ / 639 م [90]

ومع أننا لم نجد نصاً صريحاً بذلك، لكننا نستنتجه من قول البلاذري في كتابه (فتوح البلدان): ((لم يبق بالجزيرة موضع قدم الاّ فتح على عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعلى يد عيّاض بن غُنم)) [91] ومنذ هذا التاريخ دخلت تلعفر ضمن ممتلكات الدولة الاسلامية الناشئة وما بعدها

العصـر الأمـوي (32 هـ - 132 هـ / 662 م - 750 م)

في هذا العصر أصبحت تلعفر موطناً للخوارج ومسرحاً للحروب بينهم وبين الأمويين[92]، و استخدمت اراضيها معبراً للوصول الى شمال العراق حيث الجبال الشاهقة التي كانت توفر لهم حصوناً طبيعية منيعة من بطش السلطة، وبسبب وقوعها على الطريق بين الموصل والشام، وكـما جـاء فـي تاريخ أبـي مخنف لـوط بـن يحيـى الازدي (تـوفي سنة 157 هـ) فقد مـرّ مـن

87 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص9

88 فريدريك سارا و آرنست هرتسفيلد، المصدر السابق، ص 207

89 عيّاض بن غُنم الفهري هو عيّاض بن غُنم بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن وهيب بن ضبّة القُرشي الفهري، ويقال الأشعري وهو ابن عم أبي عبيدة بن الجرّاح (رضي الله عنه)، وكان من أشراف قريش وهو معروف بالفتوح في الشام والجزيرة الفراتية، اسلم رضي الله عنه قبل صلح الحديبية عام 6 هـ وشهدها وتوفي بالشام عام 20 هـ وهو ابن ستين سنة ... قاد عدّة فتوحات وتولّى عدّة ولايات ... وكان احد الأمراء الخمسة يوم اليرموك (محمد بن سعد، الطبقات الكبرى)

90 عبد الجبار جرجيس، المصدر السابق، ص135

91 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص10 هامش رقم (1)

92 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص10

تلعفر مروراً الى الشام رأس الإمام الحسين بن علي (رضي الله عنهما) ومرافقو موكب السبايا من آل بيته بعد أن شعروا بخطورة دخولهم الموصل، فلما تحققوا من ذلك (يقصد اهل الموصل) إجتمعوا في اربعين ألف فارس من الاوس والخزرج وتحالفوا ان يقتلوهم ويأخذوا منهم رأس الحسين (عليه السلام) ويدفنوه عندهم ليكون فخراً لهم يوم القيامة، فلما سمع جند الامويين بذلك لم يدخلوا الموصل واخذوا طريقهم الى تل باعفر (المقصود تلعفر) ثم على جبل سنجار [93]

لقد تميّزت منطقة الجزيرة[94] بالحركات الخارجية حتى اصبحت صفة ملازمة لها، وتشير المصادر الى أماكن متعددة في هذه المنطقة مقرونة بمصطلحي (الشَراة) و (الحَرورية) وهي الأسماء التي تطلق عادة على المنتمين الى هذه الحركات، وتشكّل ديار ربيعة عامة ابرز هذه المناطق لاسيما منطقة سنجار وتلعفر [95]

ولعل من اسباب ظهور هذه الحركات هو بقاء الخوارج منتشرين في هذه المناطق منذ نشوء النزاع في التحكيم بعد معركة صفّين بين جيش العراق بقيادة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وجيش الشام بقيادة معاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنهما)، ثم كثرة القبائل المتباينة اخلاقاً والمتباينة آمالاً بالإضافة الى وجود القبائل البدوية بكثرة فيها[96]

ويحدثنا التاريخ أن أشهر هؤلاء الخوارج الذين إلتجأوا الى تلعفر كانوا من بني شيبان، وتشير مصادر تاريخية أخرى الى أن القائد الأموي زياد بن أبيه كان قد أقام فيها مدة من الزمن، وكان مروان (الثاني) بن محمد والياً على منطقة الجزيرة 126 هـ / 744 م وعندما آلت الخلافة إليه قاد جيشاً للقضاء على فتنة الخوارج، وقيل انه بنى قلعتها فسُميت (قلعة مروان) [97]

93 مقتل الحسين ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء، المشتهر بـ (مقتل ابي مخنف) مطبعة الالفين، الطبعة الثانية، الكويت، 1408 هـ / 1987 م، ص182

94 الجزيرة الفراتية تسمى اختصاراً (الجزيرة) وبالسريانية (كزرتو) إقليم يمتد شمال شرق سورية وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا، وهي الجزء الشمالي من وادي الرافدين، يحدّها من الشرق جبال زاكروس ومن الشمال جبال طوروس ومن الجنوب بادية الشام ومنخفضات الثرثار والحبانية ...وتضم الجزيرة الفراتية حالياً محافظة نينوى في العراق ومحافظة الحسكة بشكل كامل بالإضافة الى مناطق من محافظتي دير الزور والرقّة في سورية، ومحافظات اورفا وماردين وديار بكر في تركيا ... وغالباً ما يطلق اسم الجزيرة على المنطقة الممتدة بين الحسكة والموصل .

95 موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثاني، المصدر السابق، ص37

96 القس سليمان صائغ، تاريخ الموصل، الجزء الاول، المطبعة السلفية بمصر، 1923، ص73

97 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص10، والمقصود انه جدد بناء القلعة لأنها قد بنيت منذ عهد الآشوريين كما اوضحنا

خريطة سير موكب السبايا من الكوفة الى الشام مروراً بتلعفر

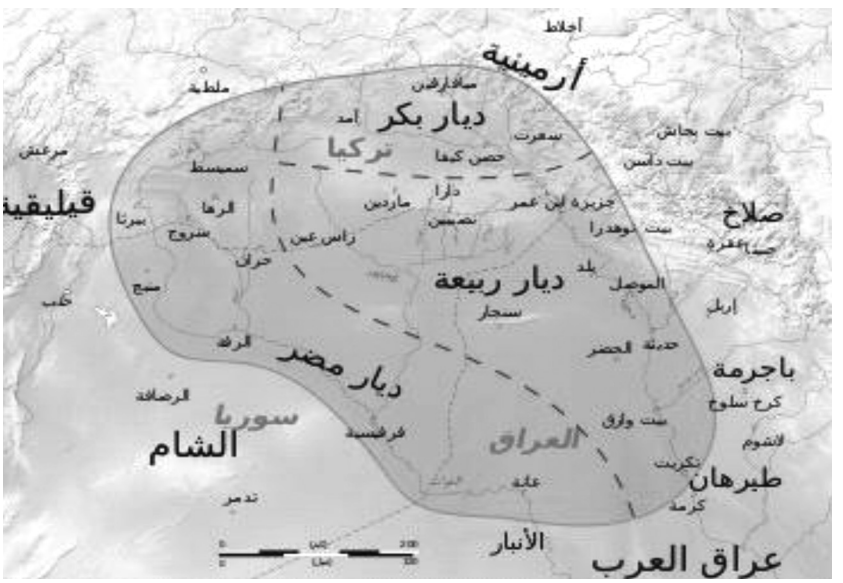

الجزبرة الفراتية

العصر العباسي 132 - 656 هـ / 750 - 1258 م

ذكر المؤرخ الموصلي ياسين العمري تلعفر من ضمن اعمال الموصل (اي من توابعها) في القرن الرابع الهجري[98]

وأصبحت محطة مهمة لمرور الجيوش الإسلامية الزاحفة من العاصمة او الموصل بإتجاه حدود الدولة الرومية نتيجة لقربها من الحزام الفاصل بين الدولتين الإسلامية جنوباً والرومية شمالاً، ومن أشهر تلك الحملات التي عسكرت في تلعفر الجيش الذي قاده الخليفة هارون الرشيد (193-170 هـ/ 809-786 م) أعظم خلفاء بني العباس سنة 187 هـ/ 802 م لتأديب ملك الروم تاكفور الذي نقض الصلح بين الجانبين، كما أن الخليفة المأمون (198 - 218 هـ / 813- 833 م) قد أرسل جيشاً عسكر هو الآخر في منطقة تلعفر سنة215 هـ/ 830 م لمحاربة الروم كما لا ننسى أن المعتصم بالله (218 - 227 هـ / 833 - 842 م) قد اولاها عناية خاصة وازدهرت في عهده بإعتبارها احدى المدن القريبة من ثغور الدولة العباسية مع الروم

لذلك نجد ان تلعفر كانت من ضمن المواقع التي شحنت بالجند - خاصة التركمان - دفاعاً عن المدن الاسلامية من الهجمات الخارجية والحفاظ على الامن الداخلي، يقول الاستاذ شاكر صابر الضابط: ((إن المواطنين التركمان في العراق كان قد عهد إليهم واجب الدفاع عن وطنهم ضد الهجمات الخارجية والمحافظة على الأمن الداخلي ونجدهم لذلك قد اسكنوا في العصر الأموي والعباسي في المدن والثغور والمواقع العسكرية الإستراتيجية في مختلف أنحاء العراق , فقد استوطنوا في البصرة، واسط , بغداد، سامراء، تكريت، الموصل، تلعفر، اربيل، كركوك، مندلي، ومناطق ديالى الأخرى وشهرزور وغيرها من المناطق)) [99]

اثناء التغلغل البويهي في شؤون الدولة العباسية (334 هـ - 447 هـ) (946 - 1055 م) لم يتمكن البويهيون من السيطرة على شمال العراق حيث اصطدمت بإمارات عربية استغلت ضعف الخلافة العباسية ضمن دائرة نفوذها فبسطت سيطرتها عليها، كإمارة بني حمدان (293 - 367 هـ / 905 - 977 م) التي سيطرت على الموصل حتى حدود حلب، وقد إلتجأ بعض امرائهم الى تلعفر اثناء نزاعاتهم المستمرة مع الخلافة العباسية[100]

ثم جاء بعدهم آل عقيل (368 - 486 م / 978 - 1093 م) وبذلك بقيت تلعفر بعيدة عن التأثير البويهي

يقول الاستاذ شاكر صابر الضابط:

---

98 ياسين العمري، المصدر السابق، ص194

99 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان في العراق، الجزء الاول، من 54 هـ / 673 م الى 27 ذي القعدة 1377 هـ / 14 تموز 1958 م، الطبعة الثانية، طبع على نفقة الجبهة التركمانية العراقية، كركوك 2007، ص25

100 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص10، ينظر كذلك: ابن الاثير، المصدر السابق، مج7، ص341

ما إن حطّ التركمان رحالهم في اطراف الموصل وتلعفر، حتى خافهم جلال الدولة البويهي وكان صاحب الكلمة النافذة في بغداد، فكتب الى طغرل بك السلجوقي في ايران يعلمه بأمرهم ... فأجابه ان هؤلاء التركمان كانوا من اتباعه ولا بد ان يردهم الى طاعته ويخضعهم لرايته[101]

في عصر السلاجقة الأتراك (447 -521 هـ) (1055 - 1087 م)

ازدهرت منطقة تلعفر ازدهارا كبيراً - خاصة أيام السلطان طغرل بك الكبير(1038 - 1063 م) نتيجة لعدة عوامل من أبرزها التنافس في انشاء الاقطاعات بين أمراء هذه الدولة، وكانت تلعفر ضمن هذه الاقطاعات التي كانت توهب من قبل السلطان السلجوقي الى أمراء الجند[102]

وربما كان ازدهار تلعفر واستقرارها الامني من الاسباب التي دفعت بالخليفة العباسي القائم بأمر الله (422-467 هـ / 1031 - 1075 م) الى اللجوء إليها سنة 450 هـ / 1058 م أثناء الصراعات المستمرة بين امراء الاقاليم على النفوذ والسلطة، وبقي فيها ثلاثة اشهر قبل ان يسمح له السلطان طغرل بك بالعودة الى بغداد بعد تقديم الاعتذار له[103]

وفي هذه الحقبة وفدت مجاميع تركمانية وعشائر كبيرة مع السلاجقة الى العراق، استوطن قسم منها جنوب تلعفر، وأسسوا هناك مجموعة من القرى الزراعية منها: قزيل قويو (البئر الحمراء)، ترسه آرخ كويو (قرية جدول الماء المعكوس)، خضر الياس كويو، صوپان (قرب آثار مدينة تل الرماح الآشورية)، مارزب وقره تپة (التل الاسود) ... الخ[104]

يقول:Anderson & Stansfield على مدى مائة وخمسين سنة شكل الاتراك السلاجقة مجتمعات كبيرة من التركمان على طول الطرق الاكثر اهمية في شمال العراق، وخاصة تلعفر واربيل وكركوك ومندلي، والتي تعرف الآن من قبل المجتمع الحديث بـ(توركمن ايلى) [105]

يشير الى ذلك الاستاذ شاكر صابر الضابط: هكذا ازدادت كثافة سكان الاتراك في العراق حيث استوطنوا في الوسط والشمال ومناطق شتى في الجنوب مقيمين في المدن والاراضي الزراعية بالإضافة الى تأسيسهم مدناً جديدة، ومن المدن المأهولة بالتركمان خلال تلك الفترة يذكر تلعفر واطرافها ...[106]

101 شاكر صابر الضابط، المصدر السابق، ص28
102 دكتور حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، 1965م، ص206
103 عبد الجبار جرجيس، المصدر السابق، ص136
104 الاستاذ فؤاد الافندي، وما زال اغلب هذه القرى قائمة حتى اليوم
105 Anderson, Liam D. ؛ Stansfield, Gareth R. V. (2009), Crisis in Kirkuk: The Ethnopolitics of Conflict and Compromise, University of Pennsylvania Press, ISBN 0-8122-4176-2 (شبكة الانترنيت)
106 شاكر صابر الضابط، المصدر السابق، ص32

وفي عصر الاتابكة (521 - 617 هـ / 1127 - 1220 م) جرت منازعات بين امرائهم من اجل السلطة، وكانت تلعفر آنذاك تتبع سنجار التي كانت محور النزاع فيما بينهم على الاغلب بسبب موقعها السوقي الذي يربط الموصل ببلاد الشام[107]

تناول المؤرخ عز الدين بن الاثير هذه الفترة بشيء من الاسهاب وقد لاحظنا تكرار اسم تلعفر كثيراً في مواضع كثيرة من كتابه (الكامل في التأريخ) اذ يذكر - مثلاً - مسير السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه سنة 498 هـ / 1104 م لقتال احد ولاة السلاجقة على الموصل وهو شمس الدين جكرمش[108] لإخضاعه، وكيف ان الاخير استخدم تلعفر مركزاً لتجمع بعض جنوده من اجل مباغتة جند السلطان ... [109]

ويبدو ان جكرمش كان يسبب صداعاً مزمناً لبعض الامراء السلاجقة المغامرين، لذلك تراهم يحشدون له مرة اخرى ويتوجهون بجيوشهم نحوه سنة 499 هـ / 1105 م، فما كان منه الاّ ان رحل من الموصل قاصداً الحرب، ولكن عندما بلغ تلعفر أتاه المبشرون بوقوع الخلاف في معسكر اعدائه وانصرافهم عن قتاله[110]

وفي سنة 600 هـ / 1203 م جاءت الانباء لتخبر السلطان نور الدين ارسلان شاه وهو مقيم في بلد (قرب قرية اسكى موصل) بمهاجمة مظفر الدين كوكبرى بعض النواحي في الموصل، فسار بجيشه مسرعاً الى تلعفر وهبّ لصاحب سنجار فحاصرها واخذها ورتب امورها واقام عليها سبعة عشر يوما[111]

وشهدت تلعفر حادثة مأساوية سنة 616 هـ / 1219 م، فبعد وفاة قطب الدين محمد صاحب سنجار تولى الامور بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه ... وبقي مالكاً لسنجار عدة شهور وسار الى تلعفر وهي له، فدخل عليه اخوه عمر بن محمد ومعه جماعة فقتلوه وملك اخوه عمر من بعده[112]

يقي الصراع مستمراً بين الامراء على تلعفر حتى استولى عليها السلطان بدر الدين لؤلؤ[113] سنة 617 هـ / 1220 م بعد ان تغلّب على احمد بن المشطوب فيها، وسكّنها

107 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص 10 - 11

108 كان جَكَرْمِش (-495 500هـ/ -1102 1106م) حاكمًا على جزيرة ابن عمر بإقليم الجزيرة، ثم أتابكًا على الموصل، وكان أهل الموصل يحبونه، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (12/ 206): كان جَكَرْمِش من خيار الأمراء، سيرة وعدلًا وإحسانًا، وقد تربى عماد الدين زنكي في كنفه، راجع: الحافظ ابو الفداء إبن كثير الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، الجزء الثاني عشر، مكتبة المعارف، بيروت، 1412 هـ / 1991 م ص167، وكانت له مساهمات فعالة في حروب الصليبيين منها موقعة البليخ سنة 497 هـ / 1104 م وقام عدة مرات بمهاجمة امارة الرها

109 ابن الاثير، المصدر السابق، المجلد التاسع، ص79

110 المصدر السابق، ص93 - 93

111 المصدر السابق، المجلد العاشر، ص 290

112 المصدر السابق، ص397

113 بدر الدين هو أبو الفضائل لؤلؤ بن عبد الله والي الموصل (630 - 657 هـ) تحوّل الى المذهب

بعض العشائر التركمانية، وهو آخر من جدّد بناء أسوار قلعتها، وقد رمزت الكتابة الموجودة في أعلى باب قلعة تلعفر الى اسمه (الملك الرحيم) [114]

هل ساهم التلعفريون في الحروب الصليبية ؟

في الحقيقة لا يتوافر لدينا نص صريح بذلك، ولم نجد ذكراً لمدينة تلعفر في المصادر التي تتحدث عن الحروب الصليبية بإستثناء إشارة هنا او هناك، وربما يعود السبب الى بعد المدينة الجغرافي عن مسرح الاحداث الحقيقية والفاعلة التي تمثلت في مدن وقلاع بلاد الشام بالدرجة الاساس ثم مصر

لكننا مع ذلك لا نجزم بعدم مساهمتهم في هذه الحروب، اذا علمنا ان التركمان وتحت امرة السلاجقة كانت لهم معارك وصدامات قوية مع الصليبيين نشير الى بعض منها:

في موقعة البليخ الشهيرة سنة 497 هـ / 1104 م كان الجيش الإسلامي المتحد مكوَّناً من عشرة آلاف مقاتل، منهم ثلاثة آلاف من العرب والسلاجقة والأكراد تحت قيادة جكرمش اتابك الموصل، وسبعة آلاف تركماني تحت قيادة سقمان بن أرتق التركماني[115]

اما شرف الدولة مودود بن ألتونتكين (501 - 507 هـ / 1108 - 1113 م) ذلك القائد التركماني الفذ وأتابك الموصل المعين من قبل السلاجقة ... فقد تحرَّكت الجيوش الإسلامية من الموصل تحت قيادته سنة 503 هـ / 1110 م وفي غضونِ أيام قليلة وصلت الحملة العسكرية إلى حصون مدينة الرها فحاصرها ثم قفل عائداً

وبعد شنه عدة حملات عسكرية غير ناجحة على امارة الرها في السنوات التالية، توّج جهوده مطلع سنة 507 هـ / 1113 م بحملة اسلامية كبيرة لقتال الصليبيين في بيت المقدس بناءً على استنجاد طغتكين أتابك دمشق به، بعد أن تعرضت إمارته لهجمات شديدة من صليبيي بيت

المقدس ... وأنضم: تميرك صاحب سنجار، وأياز بن إيلغازي أمير ماردين إلى هذا التحالف [116]

الشيعي كسباً لرضى العلويين من ناحية وترضية لعناصر مهمة في بغداد من ناحية أخرى كالوزير مؤيد الدين بن العلقمي والدويدار الكبير - زوج إبنته - والأمير جمال الدين قشتمر من كبار أمراء بغداد، كما أن عارض الجيش في عهد المستنصر كان من العلويين، لذلك قام بتجديد بعض المشاهد لأبناء آل البيت وأقام قبوراً لبعضهم في المدارس ... كما بنى بعض المشاهد الفخمة واتخذها مراكز للدعوة المذهبية ...(د/ عبد المنعم رشاد، موسوعة الموصل، مج2، المصدر السابق، ص161 - 162)

114 عبد الجبار جرجيس، المصدر السابق، ص136، كذلك ينظر في: ابن الاثير، المصدر السابق، ج10، ص398

115 ابن الاثير، ج9، المصدر السابق، ص73

116 ابن الاثير، المصدر السابق، مج9،ص149

ومن غير المقبول ان لا يشارك ابناء تلعفر في هذه الحملات ونحن نعلم ان مدينتهم كانت تتبع اتابكية سنجار في هذه الفترة والتي كانت احد محاور الصراع آنذاك ومركزاً مهماً من مراكز القوى الفاعلة

واورد ابن خلكان في (وفيات الاعيان) هذه الرواية التي اشار فيها الى تلعفر اشارة عابرة: اتفق عماد الدين بن المشطوب مع الاكراد الهكارية على خلع الملك الكامل وتمليك اخيه الفايز، ولكن المحاولة لم تنجح ودب الاضطراب في معسكر الجيش الذي كان في مواجهة الصليبيين، وانسحب عماد الدين الى قلعة تلعفر بين الموصل وسنجار، وانتهى امره بالقبض عليه واعتقاله في قلعة حران حبث بقي فيها حتى وفاته سنة 610 هـ / 1213 م [117]

وفي التقرير الذي رفعه وزير الخارجية التركي السيد عصمت اينونو الى عصبة الامم بشأن مشكلة ولاية الموصل، ذكر لتلعفر اذ يقول: ((هناك امثلة اخرى عن الدويلات التركية , قاتل بعضها الصليبيين , ودحروهم في تلعفر))[118] وهي حسب وجهة نظري اوضح اشارة الى مساهمة تلعفر في الحروب الصليبية على الرغم من معرفتنا ان المقاتلين الذين تصدوا للصليبيين على اراضيها ليس بالضرورة ان يكون جميعهم من تلعفر وحدها

وربما لم يقصد السيد اينونو في تقريره بلدة تلعفر بالذات، فمن المحتمل ان يكون ميدان الصراع ناحية او قرية تابعة لتلعفر، فهناك في مركز ناحية العياضية (آفگني) على بعد 12 كم شمال تلعفر موقع اثري يطلق عليه (شهيدلار) اي الشهداء، وهو الموقع الذي اصبح ساحة حرب بين جيش الاتابكة وجيش الصليبيين، واصبحت الساحة مدفناً للشهداء الذين سقطوا في المنطقة، ويرجع تأريخ هذه الواقعة الى القرن الرابع الهجري / الثاني عشر الميلادي[119]، وهي الفترة التي كانت الحروب الصليبية فيها على اشدّها

وبالقرب من هذا الموقع تلة يسميها السكان المحليون (شيخ نوري داغى او نورو داغى)[120] اي تلة الشيخ نوري وينسبونها الى السلطان العادل نور الدين محمود (511 - 569 هـ / 1118 - 1174 م) الذي يظن انه مدفون فيها

ولا ننسى ان هناك روايات شعبية كانت منتشرة بين سكان تلعفر - لا ندري مدى دقتها - تقول: ان عماد الدين زنكي مؤسس الامارة الاتابكية وكذلك السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي (532 - 589 هـ / 1138 - 1193 م) كانا يؤمان المسلمين في الصلاة عند جامع القلعة الكبير في فترة الحروب الصليبية [121]

117 د/ ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار القلم للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، الطبعة الثالثة، 1423 هـ / 2002 م، ص322

118 الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل دراسة في الدبلوماسية العراقية - الانكليزية - التركية وفي الرأي العام، رسالة الدكتوراه التي قدمها المؤلف الى جامعة إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1952، الطبعة الثالثة، مطبعة اشبيلية - بغداد، 1977، ص103

119 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص144

120 المصدر السابق، ص146

121 الاستاذ سعيد عباس اوغلو، مراسلات شخصية عبر الانترنيت

وصف ياقوت الحموي تلعفر في كتابه (معجم البلدان):

ألّف ياقوت الرومي الحموي (574 - 626 هـ / 1178 - 1229 م) كتابه معجم البلدان وانتهى منه سنة 1224 م، اي اواخر ايام الخلافة العباسية، ومن خلال وصفه نستطيع رسم بعض الصور عن تلعفر في تلك الفترة الزمنية، يقول الحموي:

((تل أعفر ويقال تل يعفر، وقيل إنما أصله التل الاعفر للونه فغيّر بكثرة الاستعمال وطلب الخفة، وهو اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل، وفي وسطه واد فيه نهر جار وهي على جبل، حصينة ومحكمة، وفي ماء نهرها عذوبة، وهو وبيء ردئ وبها نخل كثير يجلب رطبه إلى الموصل)) [122]، نستنتج ما يلي:

1- اسم المدينة ايام ياقوت الحموي مقارب جداً لإسمها الرسمي، مما يعني ان المدينة احتفظت بإسمها منذ ثمانية قرون على الاقل

2- ان المدينة كانت عبارة عن حصن محكم وعلى تلة منفردة، ولا شك انه يقصد التلة التي عليها قلعتها الآن، والشاخصة لكل من يدخل المدينة من جهتها الشرقية

3- اضافة الى القلعة كان هناك (رَبَض)، والربض عند الجغرافيين القدامى هو البناء الذي يكون خارج سور المدينة، بمعنى آخر ان تلعفر كان فيها في تلك الفترة حي سكني واحد - على الاقل - يمارس فيه الناس حياتهم الطبيعية الى جانب القلعة التي يلجأون إليها ايام المعارك العسكرية والحصار

4- كان في المدينة نهر جار، يجري في وادٍ هو الآن يكاد يقسم المدينة الى شطرين متساويين، وفيه القليل من المِياه، ربما بقي من اثر ذلك النهر الذي وصفه ياقوت بالعذب، وقد اشار بعض الرحالة الى وجوده

5- كانت تلعفر مصدراً لإنتاج التمر او الرطب، وكان يصدر الى الموصل ليباع في اسواقها

المغول الايلخانيون (656 - 738 هـ / 1258 - 1338 م)

سنة 656 هـ / 1258 م دخل هولاكو خان (663 - 736 هـ / 1256 - 1265 م) بغداد ثم وجّه احد قادة جيشه (سميداغو) أو (سنداغو في بعض المصادر)[123]إلى منطقة الموصل ثم تلعفر سنة 659 هـ / 1260 م لإحتلالها، ولتصبح تلعفر بعد ذلك جزءاً من الدولة المغولية الايلخانية[124]

جدير بالذكر أن الموصل قاومت الإحتلال المغولي سنة 659 هـ / 1260 م بعد تسليم بدر الدين لؤلؤ المدينة سلماً في البداية فلم تتعرض لشيء من أعمال التخريب

122 ياقوت الرومي الحموي، المصدر السابق، ص39

123 دكتور صالح محمد عابد و دكتور عماد عبد السلام رؤوف، العراق في التاريخ (عصر الغزاة)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص548

124 عبد الجبار محمد جرجيس، المصدر السابق، ص136

والانتقام المعتادة عند المغول، لكنها قاومت في المرة الثانية ونتيجة لهذه المقاومة تعرضت الموصل لسخط المغول وعانت من همجيتهم الويلات تلو الويلات، اما تلعفر فقد دخلها المغول بلا مقاومة من جانب أهلها لمعرفتهم المسبقة بعدم جدوى المقاومة، لذلك لم تتعرض البلدة للفتك والتخريب

وأصبحت تلعفر ضمن الولاية الثانية المسمّاة الجزيرة الفراتية من بين ثلاث ولايات قسّم المغول العراق بموجبها وهذه الولايات هـي:

1- العراق، وهو القسم الأكبر والاهم ويمتد ما بين الزاب الأعلى الى عبادان طولاً ومن القادسية الى حلوان عرضاً

2- الجزيرة الفراتية، وفيها الموصل وسنجار (كانت تلعفر تابعة لها) والعمادية و أربيل

3- بلاد الجبل، وفيها مدينة شهرزور [125]

وبدخول جيش المغول الى العراق دخل معهم جمع غفير من قبائل الاتراك المختلفة، يقول كارلتون كون: كانت جيوش المغول شبيهة في تنظيمها بجيوش كورش القديمة، اذ تكونت من حرس ومن نبلاء الشعب الحاكم ومن وحدات مختلفة مجندة من الشعوب التي تغلّب عليها، وكان في عداد هذه الوحدات الاجنبية كثير من الاتراك، بل ان الاتراك فاقوا المغول عدداً بمقدار كبير [126]

اثبت الاستاذ عباس العزاوي نزوح قسم من القبائل التركمانية الى العراق امام الجيوش المغولية او معها واستيطانهم واستقرارهم في العراق، فلا غرابة ان يكون لتلعفر نصيب من هذا الاستيطان التركماني القادم مع الفاتحين الجدد

الجلائريون أو الايلخانات (738 -814 هـ / 1338 - 1411 م)

سنة 738 هـ / 1337م جاءت الدولة الجلائرية وحكمت العراق بقيادة تاج الدين حسن بك بن حسين بن آقبوغا الجلائري والشهير بحسن بزرك اي الكبير[127] (-1340 1356 م) بعد استقلاله عن المغول الايلخانيين

وفي سنة 739 هـ / 1339 م احتلت تلعفر، ولقد قام حسن الجلائري بتقسيم حاميته الموجودة في تلعفر الى فئتين: أطلق على الفئة الأولى (قره قول) أي حراس الطرق، ومهمتها حراسة الطرق الداخلية والحفاظ على امن المدينة الداخلي، اما الفئة الثانية فقد انيطت بها مهمة حفظ امن المدينة الخارجي، وقد اتخذت من قمة جبل (قراولى) شمال شرق تلعفر نقطة ارتكاز لها لسهولة مراقبة الطرق نظراً لعلو قمتها وموقعها الستراتيجي، ولا تزال أعلى قمة في تلال تلعفر الواقعة شمالها تحمل اسم (قراولى)

125 دكتور صالح محمد عابد ودكتور عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص549
126 شاكر صابر الضابط، المصدر السابق، ص50
127 دكتور صالح محمد عابد ودكتور عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص552

وعن مدى تأثير هذه الدولة في العراق يقول الدكتور احمد عبد الله حسّو: يمكن أن نعدّ الحقبة بين سنتي (778 - 814 هـ) (1376 - 1411 م) بمثابة نقطة تحوّل اجتماعي في حياة الموصل، ففيها فتح الجلائريون أبوابها لتغلغل حكام إمارة (قره قوينلو) ومن كان ينضوي تحت سلطتهم من قبائل عرفت بأنها اقرب الى حياة التنقل منها الى حياة الاستقرار ... وكانت هذه القوة الجديدة قد تمكنت أن ترسّخ أقدامها في الموصل والمناطق المحيطة بها عبر ست وثلاثين عاماً ثم توسع نفوذها ليشمل أنحاء العراق كافة ... [128]

تيمور لنـگ (795 - 807 هـ / 1393- 1405 م)

سنة 795 هـ / 1393 م أطبقت جيوش المرحلة الثانية من الغزو المغولي بقيادة تيمور لنگ[129] على بغداد واحتلتها ثم انتشرت في سائر أرجاء العراق فاحتلت معظم مدنه الرئيسة، ولم يكن نصيب تلعفر من هذا الاحتلال ذا اثر كبير، إذ اقتصر على طريق خلّفه الغزاة عُرف بـ (تيمور يولى) أي طريق تيمور، الذي سلكوه وهم في طريقهم الـــــى

بلاد الاناضول، [130] وهو الطريق الجنوبي لمدينة تلعفر الذي يسلكه الاهالي للوصول الى القرى والمناطق المحيطة بتلعفر [131] وهو الطريق ذاته الذي يمر عبر الحضر - تلعفر - سنجار - دير الزور - حلب، ثم بلاد الاناضول

وهناك روايات شعبية تقول ان تيمورلنگ بعد احتلاله مدينة الموصل واثناء مسيره الى الشام لم يشأ دخول تلعفر - لأسباب نجهلها - وآثر ان يستريح مع جيشه في منطقة (جگان خرابى) جنوب شرق تلعفر لمدة ثلاثة ايام قبل ان يستأنف مسيره

وهناك رواية شعبية اخرى لا ندري مدى صحتها تقول إن احد أبناء تلعفر ويدعى (نعمت بابا) استطاع بدهائه وحزمه أن يقنع تيمور لنگ بعدم مهاجمة المدينة !!! وهي رواية مشابهة الى حد بعيد لما يرويه القس سليمان صائغ في مؤلّفه تاريخ الموصل

اذ يورد في معرض غزوات تيمور لنگ على الموصل و اطرافها سنة 804 هـ /

128 دكتور احمد عبد الله حسو، الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية، موسوعة الموصل الحضارية، مج2، ص258

129 ولد الأمير تيمور سنة 1336م من أبوين تركيين فى قبيلة بارلاس التركية، وكان تيمور أحد حكام دولة منغولستان (تركستان) وتمرد واستقل عن خانية منغولستان (چغتاي) سنة 1370م فأسس دولة تيمور المستقلة، تسمى دولة تيمور أيضا بخانية جغتاي فى بعض المصادر التاريخية، لأن تيمور لم يستخدم السلطان أو الملك، بل استمر فى لقبه (الأمير) وتوفى تيمور سنة 1404م فى الطريق بمدينة أوترار عند سفره لغزو الصين.، واستمر حكم دولة تيمور من سنة 1370م حتى سنة 1501م

130 صبحي ساعتجى، المصدر السابق، ص87

131 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص85

1401 م ان قرية واحدة فقط قد سلمت من سيفه ويسمّيها (أربو)، وذلك ان تيمورلنگ لما قرب من هذه القرية التي يقول الصائغ انها من قرى الجزيرة، خرج إليه مطرانها واسمه بهنام شتى فتذلل بين يديه وطلب إليه ان يشفق على ابناء قريته، فأجاب طلبه واجتازهم الى ماردين[132]

تمثال الامير تيمورلنك

مهما يكن فإننا نستخلص من هذه الروايات، النوايا الايجابية والسلمية لتيمورلنك تجاه تلعفر وسكانها، وقد يكون الامر متعلقاً بالتركيبة السكانية لها بعد استيطان العديد من التجمعات التركمانية فيها، مما شجّع توافد التركمان - في موجة اخرى - على هيئة تجمعات قبلية الى الاطراف الشرقية من تلعفر، وأنشأوا هناك مجموعة من القرى والمستوطنات الزراعية كـ (بوخور - حمره - جمعة - شيخ ابراهيم - تل شيبا - مسعود مگرود - ممد گولو - قراولى - جگان خرابى - صنبر)، وبعد زيادة اعدادهم اصبحوا عشائر عديدة لم تستوعبهم قراهم فأنتقل الكثير منهم للاستيطان في الاحياء الداخلية لتلعفر[133]

قره قوينلو (813 - 872 هـ / 1410 - 1467 م)

قبيلة رحالة تنتمي الى مجموعة الغز (اوغوز) التركمانية، جاءت من انحاء تركستان الغربية وهاجرت الى اذربيجان وسيواس ثم الى العراق في دور المغول ...

وكان رئيس القبيلة بيرام خواجه بن تورمش قد اتصل بالسلطان اويس الجلائري سنة 775 هـ / 1373 م وقد استعان السلطان به في حروبه، واثر وفاة السلطان الجلائري سنة 776 هـ / 1374 م رأى بيرام خواجه في نفسه قوة فتغلب واستولى على الموصل ثم استولى على الموصل وسنجار وتلعفر وبعض مدن اذربيجان سنة 778 هجرية / 1376 م [134]

132 القس سليمان صائغ، ج1، المصدر السابق، ص253
133 الاستاذ فؤاد الافندي
134 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان، المصدر السابق، ص58 و د/ صالح محمد عابد ود/ عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص558

آق قوينلو (872 - 914 هـ / 1467 - 1508 م)

أمـا قبيلة (آق قوينلو) التركمانية، فقد هاجرت من وطنها الام تركستان امام ضغط المغول والتتر، اواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وقد اقامت اول امرها في ديار بكر، ثم أزاحت دولة (قره قوينلو) من حكم العراق بعد المعركة الحاسمة التي وقعت بين الطرفين في ديار بكر سنة 872 هـ / 1467 م وضمت إليها ممتلكاتها ومـن ضمنها العــراق

وسيطرت علـى تلعفر في عهد الأمير حسن بك بن قره عثمان والشهير بـ (حسن الطويل او اوزون حسن) سنة 872 هـ / 1467 م [135]

يصف الدكتور مصطفى جواد دور هاتين القبيلتين بالقول:

لقد اختلطت قبائل هؤلاء بسكان المناطق الواقعة في الشمال الشرقي من العراق وفي شماله واكثرهم من الترك والكرد، وكان اختلاطهم بالشعب مستمراً قبل التاريخ الاول وبعد التاريخ الثاني بحيث لم يعد من التركمان اليوم من يستطيع ان ينفي انه (قره قوينلو او آق قوينلو) ولا ان يثبت ذلك

وقد كان هؤلاء من التركمان الرحالة وقد سنحت لهم الفرص للاستيلاء على العراق واذربيجان والجزيرة، والمدة التي امضوها في الحكم كانت كافية في امتزاجهم بالشعب وبجماعتهم من التركمان الذين سبقوهم الى اتخاذ العراق والجزيرة وطناً لهم[136]

وفـي تلعفر اليوم هناك تجمعات سكانية وعشائـر ترجع في اصولها الـى هاتين القبيلتين

الصفويون[137] (914 - 941 هـ / 1508 - 1534 م)

دخلت تلعفر سنة 916 هـ / 1510 م تحت حكم الصفويين الذين سيطروا على العراق بعد دخولهم بغداد سنة 914 هـ / 1508 م، وبدخول هؤلاء ازدادت كثافة

135 د/ صالح محمد عابد ود/ عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص561

136 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان، المصدر السابق، ص60، نقلاً عن مجلة الدليل العدد 5، سنة 1947 م

137 يُطلَق هذا الاسم على الدولة التي أسّسها الشاه إسماعيل الصفويّ وعلى أتباعه، وهو من سلالة الشيخ صفيّ الدين الأردبيلي الذي كان يسكن مدينة أردبيل التابعة لإقليم أذربيجان في شماليّ غرب ايران، والشيخ الأردبيلي هو أحد مريدي الشيخ تاج الدين الزاهد الكيلاني صاحب إحدى الطرق الصوفية، وكان ينتمي إلى المذهب الشافعيّ، وقد قام حفيد صفيّ الدين الشيخ إبراهيم بتطوير طريقته الصوفية، ثم باعتناق مذهب الشيعة الامامية، وسار على دربه ابنه الأصغر جنيد الذي قُتِلَ في إحدى حروبه، فخلفه ابنه حيدر الذي لُقِّبَ بلقب سلطان، وأمر أتباعه بأن يضعوا على رؤوسهم قلنسواتٍ من الجوخ الأحمر (قزلباش)، تضم الواحدة منها اثنتي عشرة طيّة، رمزاً للأئمّة الإثني عشر عند الشيعة الإمامية، وقد قتِل حيدر أيضاً في إحدى حروب الثأر لوالده، وخلفه ابنه إسماعيل، الذي أعلن فيما بعد دولته الصفوية سنة 1501 م ... انظر: دكتور محمد بسام يوسف، الصفويون والصفوية (شبكة الانترنيت)

التركمان في العراق، لأن الشعب الذي كان يحكمه اسماعيل الصفوي واولاده كان يتكون من الاتراك والعجم، وجيشه الذي كان يسمى (قزلباشية) كان قسمه الاعظم يتكون من الاتراك المتشيعين[138] وكان هؤلاء القزلباشية (اصحاب الرؤوس الحمر) في مقدمة الفرسان الذين توجهوا لاحتلال بغداد بقيادة حسين لاله[139]

واتسمت فترة حكمهم بالغطرسة وحب الدماء وإتباع سياسة خبيثة في تفريق صفوف الأمة الواحدة، فتظاهر بالاهتمام ببعض المراقد الدينية المقدسة، بينما كان في الوقت نفسه يقوم بضرب القبائل وسلب اموالها، وبإضطهاد قسم من السكان وتخريب مزاراتهم[140]، مما انعكست آثارها السلبية فيما بعد على المجتمع العراقي

وربما كان دخول الصفويين الى تلعفر بداية وجود المذهب الشيعي فيها عن طريق الوافدين الجدد كونهم (شيعة تركمان) او الذين اعتنقوه فيما بعد من السكان المحليين

الدولة العثمانية (920 - 1336 هـ / 1514 - 1918 م)

سنة 920هـ /1514 م تمكنت الدولة العثمانية من القضاء على جيش اسماعيل شاه الصفوي في واقعة چالديران بقيادة السلطان سليم خان الاول (1512 - 1520 م) كما استطاع السلطان سليم من طرد الصفويين من ديار بكر سنة 922 هـ / 1516 م بعد موقعة قرة غين ددة الشهيرة على بعد 17 كم جنوب غرب ماردين بين اورفا ونصيبين[141]

وبذلك تم لقائد القوة العثمانية بيقلي محمد باشا[142] وبالتعاون مع العالم ادريس بدليسي[143]، نزح نفوذ الصفوية من (الموصل، عانة، الحديثة، سنجار، تلعفر، جزيرة

138 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان، المصدر السابق، ص60

139 د/ صالح محمد عابد ود/ عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص565

140 المصدر السابق، ص565 - 566

141 أ.د / علي شاكر علي، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر، دراسة في اوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان - الاردن، 1431 هـ / 2011 م ص55 هامش رقم

142 محمد باشا بيغلي اي ابو الشوارب: كان مسؤولاً عن اسطبل الخيول في بداية امره (ميراهور)، ثم حلّ محل سليم الاول (1512 - 1520 م) في حكم طرابزون 1512، وعيّن بعدها والياً على ازرنجان ثم اصبح والياً على ديار بكر، راجع: ولاية الموصل العثمانية، ص55 هامش رقم (2)

143 إدريس البدليسي (1452 - 1521) م: احد المؤرخين الاكراد الذي نال شهرة كبيرة في ادارة الصراع بين العثمانيين والصفويين، ومهندس الادارة العثمانية في المنطقة الكردية، وتشير المصادر إنه ولد ونشأ في مدينة بدليس، وقصد تبريز حيث خدم في بلاط آق قوينلو إذ شغل منصب كاتب الانشاء، ثم رحل الى الاناضول والتحق في خدمة السلطان بايزيد الثاني سنة 1501 م، ووضع كتاباً سماه (هشت بهشت) اي الجنائن الثمانية، وهو تاريخ عام للدولة العثمانية في عهد ثمانية سلاطين ، سنة 1511 م قصد مكة لأداء فريضة الحج، ويروى ان السلطان سليم استدعاه من الحجاز ليرافقه في حملاته العسكرية في ايران والشام ومصر، توفي سنة 1521

رسم خيالي يمثل السلطان سليم خان الاول

ابن عمر، العمادية، اربيل، كركوك) واستلام ادارتها سلما[144]

في الواقع ليست لدينا معلومات كافية عن مصير القوات الصفوية التي كانت مرابطة في الموصل، ويظن باحث متمرس في تاريخ الدولة العثمانية ان هذه القوات انسحبت برمتها من المنطقة بعد ان اخلت القلاع والمراكز، وقد تبع هذا الاجراء العسكري دخول قلاع سنجار وتلعفر تحت الادارة العثمانية[145]

وهكذا مدّ العثمانيون سيطرتهم على أجزاء العراق الشمالية ومن ضمنها تلعفر التي اصبحت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني سنة 941 هـ 1534 م وحتى انسحاب الجيش العثماني منها في عهد الوالي خليل باشا

وتدل الوثائق العائدة الى القرن السادس عشر الميلادي ان تلعفر كانت مركزاً مهماً للاستيطان وكانت سنة 1526 م مكونة من 112 منزلاً و26 عازباً ... وفي عهد السلطان مراد الثالث (1574 - 1595 م) اصبحت تضم 298 منزلاً ...[146]

كما قام العثمانيون بتأسيس مجموعة من القرى في اطراف تلعفر الغربية لعل من ابرزها قرية خاره له (العبرة الكبيرة) على بعد 20 كم تقريباً الى الغرب من تلعفر، ويقال ان قسماً من عساكر السلطان سليمان القانوني استقروا في هذا الموقع واسسوا القرية سنة 1534 م تقريباً ... وهناك مصادر تأريخية تقول ان السكان الحاليين للقرية تعود جذورهم الى منطقة الاناضول في تركيا . ... [147]

استرجع السلطان مراد الرابع (1623 - 1640 م) مدينة الموصل واطرافها عن طريق قائده (كوچك احمد باشا) سنة 1035 هـ / 1625 م بعد فترة احتلال وجيزة

م (هامش رقم 2)، ويعتقد ان البدليسي احاط السلطان سليم علماً بأوضاع منطقة جنوب شرق الاناضول وشمال العراق، فعينه السلطان سليم بمنصب باش مشاور اي رئيس المستشارين، وطلب منه التعاون مع القوى السياسية المحلية لتصفية النفوذ الصفوي في المناطق التي لم تصلها الجيوش العثمانية ولاية الموصل العثمانية، ص52

144 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان، المصدر السابق، ص60، كذلك: د/ صالح محمد عابد ود/ عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص568

145 أ.د / علي شاكر علي، المصدر السابق، ص57

146 صبحي ساعتجي، المصدر السابق، ص89

147 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص103

من قبل الصفويين عليها[148] إثر حركة بكر صوباشى الانقلابية (1031 - 1033 هـ / 1621 - 1932 م)[149]

وقدم سكان تلعفر بزعامة رئيسهم آنذاك السيد احمد آغا بن السيد مرتضى خدمات جليلة للسلطان مراد الرابع وجيشه في حربه على الصفويين، فقد حرسوا له الطرق ومدوه بالفرسان والمؤن، واحتسب لهم هذا في تسليم حكومة تلعفر لهم لمدة مائتي سنة حتى جاء محمد باشا بيرقدار وانتزعها منهم بالقوة سنة 1841 م [150]

يعدّ عصر السلطان مراد الرابع البداية الحقيقية لنشوء تلعفر من خلال إيجاد صور ومظاهر الحياة الفعلية فيها، إذ نجد السلطان بعد ان استرجع بغداد من الصفويين سنة 1047 هـ / 1638 م ابقى في العراق قبل رجوعه الى عاصمة ملكه في الاستانة

(إسطنبول) حاميات قوية للمحافظة على خط الاتصال بينه وبين بغداد والدفاع عنها وقت الحاجة، وقد وزّع هذه الحاميات على طول خط وهمي يمر بين المنطقة الكرديةٍ والعربية من العراق، يبدأ هذا الخط من بدرة متجهاً نحو الشمال الغربي ماراً بمندلي وقزلرباط (السعدية) وخانقين وقره تبة وكفري و طوزخورماتو وداقوق وتازة خورماتو وكركوك وآلتون كوبرى واربيل والموصل حتى ينتهي في تلعفر...[151]

هنا يأتي اكبر موجة من موجات الهجرة والاستيطان التركماني في العراق عموماً وفي تلعفر بشكل خاص على هيئة حاميات عسكرية من جنود الدولة العثمانية مع اسرهم في فترات متفاوتة من الحكم العثماني العثماني بدءً من عهد السلطان سليم خان الاول (1521 م) والسلطان سليمان القانوني (1534 م) والسلطان مراد الرابع (1639 م) خلال فترة الصراع العثماني - الصفوي، وقد شجع العثمانيون الهجرة من الأناضول وتوطين التركمان المهاجرين على طول شمال العراق، كما تم جلب علماء الدين أيضا لنشر المذهب السنى الحنفي مع التركمان الموالين الذين يسكنون المنطقة، تمكن العثمانيين من الحفاظ على طريق آمن إلى المقاطعات الجنوبية لبلاد الرافدين[152]

والقصبات يتعاطى التجارة فيها او يمارس الحرف التي كان يمتهنها، وقد سهل وجود السلطة في ايديهم عملية توطنهم واستحواذهم على الاراضي الزراعية او ممارسة

148 د/ صالح محمد عابد ود/ عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص579 و ص588
149 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان، المصدر السابق، ص62
150 رشيد خيون، المصدر السابق، ص55 و محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص145
151 د/ نوري طالباني، منطقة كركوك ومحاولة تغيير واقعها القومي، ط3، اربيل، ص131 نقلاً عن: د/ احمد نجم الدين، احوال السكان في العراق، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1970
152 Fattah, Hala; Caso, Frank (2009), "Turkish Tribal Migrations and the Early Ottoman State", A Brief History of Iraq, Infobase Publishing, ISBN 0-8160-5767-2 شبكة الانترنيت

رسم خيالي لصورة السلطان مراد الرابع

صنوف التجارة او الحرف اليدوية، وادّى استقرارهم في تلك البقاع الى اختلاطهم بالسكان واقتباس عاداتهم وتقاليدهم فتأثروا و اثّروا فيها خاصة بعد نشوء علاقات المصاهرة بين السكان الاصليين واخذ البعض من افراد هذه الحاميات العسكرية الذين استقروا نهائياً مع أسرهم في تلك المدن والوافدين الجدد [153]

حتى ان الدكتور قحطان عبوش يذكر ان أصل عشيرة (همتلي) وكذلك سكان محلة حسنكوي هم من بقايا جيوش السلطان مراد الرابع[154] اضافة الى اجداد العشائر الاخرى كالفرهاد (الفرحات) و البيرنزار (الافندية) وغيرهم من الذين كانوا قادة وجنوداً في هذا الجيش الذي استرد العراق من الصفويين

وربما كانت المعارك المستمرة بين العثمانيين والصفويين خلال هذه الفترة، وكذلك الخشية من هجمات الاعراب وغارات البدو سبباً من اسباب اقتصار سكن التلعفريين داخل اسوار القلعة باستثناء بيوت متناثرة هنا وهناك وخاصة في منطقة البساتين، ويشير الأستاذ عبد الجبار محمد جرجيس الى أن أوضاع تلعفر كانت متدهورة في هذه الفترة من الحكم العثماني الى درجة لم يكن هناك احد من سكانها يسكن خارج أسوار قلعتها قبل سنة 1184 هـ / 1770 م

وبعد ذلك قام الشيخ فارس بن الحاج محمد الطائي (نهاية القرن الثامن عشر الميلادي) ببناء مضارب له جنوب قرية تلعفر وبنى فيها الجامع المعروف بـــ (جامع الحاج محمد) نسبة الى والده[155] وهو الجامع الذي عرف فيما بعد بـ (الجامع الكبير)

يبدو ان تلعفر استخدمت في هذه الفترة قاعدة متقدمة لجيوش الدولة العثمانية لضرب عصيان الايزيدية وتمردهم المستمر على السلطات، نظرا لقرب المسافة بينها وبين سنجار، تمثلت هذه القاعدة بانتشار حاميات عثمانية من الجيش النظامي وفرق الانكشارية المتطوعة، عماد الجيش العثماني آنذاك، اذ برز اسمها للمرة الاولى في هذا العهد سنة 1113 هـ / 1700 م عندما بدأت جموع الايزيدية الساكنة في سنجار بالتمرد على السلطة العثمانية التي تمثل الإسلام

153 نوري الطالباني، المصدر السابق، ص24
154 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص12
155 عبد الجبار محمد جرجيس، المصدر السابق، ص136

وقد تكرر تمرد الايزيدية على مدى الحكم العثماني للعراق، ومن ذلك سنة 1249 هـ / 1833 م انطلق الجيش العثماني من ديار بكر بقيادة محمد رشيد باشا ... فتوجّه نحـو سنجار ضارباً الايزيدية فيها وأوقع فيهم خسائر جسيمة ثـم انتقل الـى تلعفر فأخمد التمردات القائمة فيهـا ...[156]

مع اواخر القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر الميلادي، اصيحت تلعفر نتيجة لإهمالها قاعدة وأرضاً خصبة لحركات التمرد والشغب على السلطة العثمانية، اذ يشير الدكتور عماد عبد السلام رؤوف الى أن الفتنة عندما وقعت في قرية تلعفر أرسل والي الموصل محمد باشا الجليلي (1221-1204 هـ/1806-1789 م) جيشاً مـع أمير طي للقضاء عليها[157]

وربما كانت هذه الفتنة هي التي قضى عليها امير طي فارس بن محمد سنة 1207 هـ / 1792 م والتي نتجت عن تمرد مجاميع الماولية على السلطة الحاكمة في تلعفر فما كان من امير طي الا مهاجمة تلعفر واخراجه الماولية منها بعد اخذ اموالهم وهدم دورهم، فحملوا نساءهم و اولادهم وقدموا الى الموصل وسكنوها[158]

ولكننا نجد في حوادث سنة 1218 هـ / 1803 م ان الشيخ فارس الطائي نفسه إنضم الى جانب الشيخ سليمان بك الشاوي احد شيوخ العبيد في سنجار في التمرد على العثمانيين، وتمكن الشيخ فارس بالتعاون مع القوة التي أرسلها سليمان الشاوي من السيطرة على تلعفر لفترة قصيرة وإجلاء المتعاونين مع السلطات العثمانية الى خارج البلدة اذ تمكنت من محاصرة القلعة وقطع الامدادات عنها ومصادرة المواشي والاغنام ومزروعات اهالي تلعفر ومن ثم اخراج اعداد كبيرة من سكانها وخاصة من الماولية والصارلية[159] الى منطقة علي رش وشاقولي في شرق الموصل، بعدها استطاع الوالي علي باشا استرداد تلعفر واعدم فيها الشيخين محمد بك الشاوي و أخوه عبد العزيز[160] التلعفريون ينصّبون قاسم العمري والياً على الموصل[161]

156 موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص80

157 دكتور عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي)، النجف، مطبعة الآداب، 1975، ص252

158 ياسين افندي العمري، غرائب الاثر في حوادث الموصل في القرن الثالث عشر، الموصل، 1359 هـ / 1940 م، ص29

159 يعرف عباس العزاوي الصارلية بقوله: قبيلة تركمانية كان لها موقع خاص والان يسكنون اكثر من خمس عشرة قرية تركمانية بين الموصل و اربيل على الجانبين الايمن و الايسر من الزاب الاعلى تابعة لناحية الكوير مثل قرية تل اللبن - بساطلية - كبرلي - خرابة السلطان ... راجع: المحامي عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، ج3، بغداد، 1353 هـ / 1935 م ص373، اما الماولية فيقول عنهم الاستاذ صبحي ساعتجي: تجمع مذهبي كبير في تلعفر، وهو اسم يدل على معتنقي الطريقة البكتاشية، ينحدرون من العرق التركي، وهذا التجمع موجود بوضوح ويتسمون بطابع ثقافي تركي صرف، وما زالوا محتفظين بأهداب ادب الغزل والموسيقا الشعبية، وبعاداتهم الاجتماعية المتميزة، انظر: صبحي ساعتجي، المصدر السابق، ص35

160 عبد الجبار محمد جرجيس، المصدر السابق، ص136

161 دكتور عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ص186

بعد مقتل والي الموصل عبد الرحمن باشا الجليلي في الـ 15/ نيسان / 1828 م الموافق لشوّال /1244 هـ، نصّب من بعده ابن عمه محمد امين باشا الجليلي، والذي قام بنفي الثائرين وقتلة الوالي السابق الى بلدة تلعفر، ونزل المنفيون ضيوفا على عشيرة السادة وعشيرة آلاي بك كما نزل قسم منهم في (عرب كويو) ضيوفا على الشيخ عبد الرحمن خضر الامين (آمن) رئيس عشيرة الجبلية

فمنح لهم بذلك الفرصة لأن يعيدوا تنظيم قواهم وأن يجمعوا شملهم بحرية ودون أي رقيب، ولم يمكث المنفيون في منفاهم إلاّ شهراً واحداً حتى استطاعوا خلاله تجريد حملة عسكرية من سكان تلعفر نفسها قدّر عددها بألف وأربعمائة رجل من بينهم أربعمائة فارس من عشيرة البو حمد العربية

وصلت الحملة الى أبواب الموصل في تشرين الثاني 1829 م / جمادى الاولى 1245 هـ ... فنشبٍ قتال عنيف بين المهاجمين والمدافعين في شوارع الموصل لمدة واحد وعشرين يوماً قتل خلاله عثمان بك الجليلي أبو الوالي وعدد من الأعيان والعامة، أما الوالي محمد امين باشا فقد تمكن من الاختفاء والنجاة بنفسه ... ثم غادر الموصل نهائياً الى بغداد

وهكذا نجح الثائرون في تصفية رجال الحكومة السابقة وامسكوا هم بمقاليد الحكم ... وبرزت على الساحة شخصيات الانقلاب المهمة، فكان على رأس الجناح المدني قاسم أفندي بن حسن أفندي العمري الذي عين متسلماً للولاية (1831-1830 م / -1246 1247 هـ)، ومحمد سعيد أفندي آل ياسين أفندي المفتي كتخدا له (نائب او مدير مكتب في المصطلحات الحديثة)، وعلى رأس الجناح العسكري خالد آغا بن صالح آغا آل شويخ ومحمد آغا وسعيد آغا ولدا ملاّ عبد الله السعرتي من قادة الجيش[162]

ولكن الغريب في الامر ان التلعفريين الذين كانت لهم اليد الطولى في ازاحة حكم الجليليين[163] وتنصيب والٍ من الاسرة العمرية[164] المنافسة لهم، لم يظفروا بأي منصب

162 عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ص186 - 187 ، وانظر كذلك: د/ سيّار الجميل، زعماء وافندية، الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب، الطبعة العربية الاولى، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، 1999 م، ص88

163 يقول الجليليون أنهم أسرة عربية تنتمي إلى قبيلة تغلب التي كانت تقيم في بلاد الجزيرة العربية، بينما يرى آخرون انهم من العرق التركي، وذهب فريق ثالث ان جد الاسرة عبد الملك او ملكو كان يعتنق الديانة المسيحية، اما جدهم عبد الجليل آغا بن عبد الملك (1681-1620 م / 1092-1030 هـ) فقد كان تاجراً نزح من ديار بكر الى الموصل في أوائل القرن السابع عشر الميلادي / الحادي عشر الهجري، واستطاع خلال فترة وجيزة ان يؤلف له سلطة ونفوذاً في المجتمع الموصلي حتى تمكنت من الوصول الى منصب الولاية، وحكمت هذه الأسرة مائة وثمان سنوات، أثناء الحكم العثماني في العراق استطاعت فيها التصدي للحملة الكبيرة التي قادها نادر قلي شاه سنة 1156 هـ / 1743 م على الموصل، راجع: د/ عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص41 هامش رقم 1

164 العمريون يرتفع نسبهم الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) وقد استقدمتهم الدولة العثمانية الى الموصل بعد فتحها في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي لتهدئة

يذكر، كما لا تتوفر لدينا معلومات عن استلامهم اية مكافأة او هدية من العمريين، ولم نستطع الوصول الى الاسباب التي دعتهم للقيام بهذا العمل، ولم يحدثنا التأريخ انهم تعرضوا الى اي نوع من انواع العقوبة من قبل السلطات العثمانية على الرغم من خطورة العمل الذي قاموا به، فهل كانت تلعفر منطقة عصيّة ام مهملة ؟!

حملة محمد باشا (إينجه بيرقدار) على تلعفر سنة 1257 هـ / 1841 م

حتى سنة 1257 هـ / 1841 م اتسم الحكم العثماني في تلعفر بالضعف، إذ كان يحكمها زعماء العشائر الموجودين في المدينة، وفشلت عدة حملات عثمانية متعاقبة لإخضاعها والاستيلاء على قلعتها الحصينة، فقد فشل والي بغداد علي باشا اللاز سنة 1238 هـ / 1823 م في إخضاعها، ولقيت حملة الملا حسين باشا سنة 1239 هـ / 1824 م المصير ذاته، ولم تكن حملة حافظ باشا سنة 1252 هـ / 1836 م بأحسن حالاً من سابقتيها

غير أن الفاجعة الحقيقية حلّت بتلعفر بعد الحملة التي قادها والي الموصل الشهير محمد باشا (اينجه بيرقدار) [165] سنة 1257 هـ / 1841 م في عهد السلطان محمود الثاني (1808 - 1839 م)، يشير احد الباحثين الى ان الكثير من المناطق بما فيها مدينة الموصل نفسها بالإضافة الى تلعفر و سنجار ... قد ثارت ضد السياسة الجديدة لوالي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار، مما حمل الوالـي ان يتعامل مع المنتفضين بشدة بسبب امتناع الاهالي عن ارسال شبابهم الى الخدمة العسكرية بموجب (قانون القرعة)

الأوضاع والقضاء على ما تركه الفرس من آثار ثقافية واجتماعية، وذلك بنشر المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وكان قاسم العمري (ت 1590 م / 1000 هـ) هو أول من قدم الموصل من مكة....انظر: (القس سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ج1، ص270 و عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص49) وبعدها تكاثرت ذريته وازداد ثراؤها ... وبلغت هذه الأسرة مكانة رفيعة حتى نافست سلطات والي الموصل السياسية صراحة وأصبحت من الأسر صاحبة النفوذ المعدودة في الموصل، راجع: د/ عماد عبد السلام، المصدر السابق، ص50

165 محمد باشا إينجه بيرقدار (1249 - 1259 هـ / 1833 - 1843 م)، يقول عنه القس سليمان صائغ: تركي الأصل من مدينة (بارطين) من ولاية قسطموني، وكان قد خدم في السلك العسكري العثماني في مصر وغيرها، ثم رحل الى الشام حيث مكث مدة طويلة حتى جمع له عدداً من التابعين والمناصرين، فشخص بهم الى ديار بكر ثم الى الموصل ونزل بظاهرها قريباً من باب سنجار، فخرج عليه الأهالي وطردوه من الحدود، ولمّا انتهى خبره الى والي بغداد (علي رضا باشا اللاز) استقدمه إليه سنة 1833 م/ 1249 هـ وولاّه متصرفية كركوك حيث بقي زهاء سنتين وشيّد فيها قصراً منيفاً لدار الحكومة على نهر شاطرلو ... (سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ج1، ص310) وفي سنة 1835 م أصبح والياً على الموصل وقام بعدة إصلاحات فيها الى أن توفي عام 1843 م ودفن في جامع النبي شيث (عليه السلام) ... يعد محمد باشا من الولاة الأتراك القساة الحازمين كما كان مـن الإصلاحيين ...(موسوعة الموصل الحضارية، مج4، ص79)

الذي اصدره سنة 1251 هـ / 1835 م[166] ودفع الضرائب فحاربهم خمسة عشر يوماً[167] و اقتحم القلعة وهدم سورها واعدم بعض رجال العشائر فيها...

واتخذ قراراً يلزم أهاليها السكن خارج أسوارها، فأعيد بناء المدينة عند اسفل التل، وبعدها أصبحت تلعفر قاعدة للقوات العثمانية التي كانت تنطلق منها لضرب أية حركة مناوئة للعثمانيين وخاصة تمرد الايزيديين في جبال سنجار [168]

يقول هرمز رسام المؤرخ الموصلي عن هذه الواقعة وما آلت إليه احوال تلعفر: منذ اربعين سنة كان احد ولاة الموصل محمد باشا إينجه بيرقدار هاجمهم بقوة عظيمة وكسر شوكتهم بقسوة ولم يغادر تلك البقعة إلاّ وقد آلت الى اكوام من الخرائب، وتكاد البلدة اليوم

(يقصد سنة 1897 م) تكون قرية من الدرجة الثانية رغم انها تدار من قبل حاكم عثماني بدرجة مدير

إن كل المياه في داخل البلدة وخارجها من نوع الاجاج (المالح) حتى ان الدوابّ تشيح برؤوسها عنها حينما تذوقه[169]

وقبل مغادرة بيرقدار تلعفر شكّل فيها ناحية ربطها مباشرة بولاية الموصل حتى سنة 1288 هـ / 1872 م [170] وعيّن خالد آغا هلاي بك حاكماً للمدينة الى جانب إبراهيم محو علي دولت الذين تعاونا في القضاء

يذكر ان محمد باشا اينجه بيرقدار قام بتأسيس ما يعرف بـ (قاووش او قاويش)[171] عند الاطراف الغربية من محلة السراي مقابل القلعة مباشرة عند حافة الوادي، فبعد تطبيقه نظام القرعة (الخدمة الالزامية) امر بإنشاء بناية لها باحة واسعة تضم اروقة وغرفاً اعدت مركز تدريب للملتحقين الجدد بالخدمة العسكرية، وادخال الترتيبات المتطورة لتكوين قوات نظامية بأسلوب حديث في تلعفر، وقد استفاد بيرقدار من القائد الالماني الشهير فون مولتكه الذي كان ماراً بمدينة الموصل، فاستقبله وطلب منه ان يضع له مخططاً لأجهزة الحكومة ومنشآتها الخاصة، فتمّ له ما اراد ...[172]

إن استيلاء محمد باشا بيرقدار على قلعة تلعفر حسب وجهة نظرنا، يعدّ انعطافة تأريخية مهمة في حياة التلعفريين وطريقة معيشتهم، وانطلاق السكان الى عالم اوسع

166 دكتور سيّار الجميل، المصدر السابق، ص159
167 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص13
168 عبد الجبار محمد جرجيس، المصدر السابق، ص136، كذلك: قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص13، راجع: محمد يونس السيد وهب، المصدر السابق، ص201
169 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص 203 نقلاً عن: Asshur and the land of Nimrod . New York. 1897 . p 309 ترجمة كوركيس عواد
170 محمد يونس السيد وهب، المصدر السابق، ص226، وفي هذه السنة ألحقت ناحية تلعفر بسنجار
171 ورد اسم الموقع في معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية، ص183 دون ذكر تفاصيل اخرى
172 دكتور سيار الجميل، المصدر السابق، ص 158

وارحب، فقد كانوا قبل ذلك منكفئين خلف اسوار قلعتهم المنيعة ولم تكن لهم مساكن خارجها الاّ ما ندر - خاصة قرب البساتين - يعيشون في ما يشبه بالعزلة عن العالم الخارجي المحيط بهم

امّا وقد تحولت القلعة الى موقع عسكري وثكنة لجنود البيرقدار، وبعد ان أجبروا على مغادرتها، فلم يجد الاهالي بدّاً من النزوح الى المناطق المجاورة لها وإنشاء مساكنهم في المناطق الجديدة، ومن ثم التحرر من ربقة اسوارها والتعوّد تدريجياً على نمط جديد من الحياة لم يألفوه من قبل، ولكن القلعة ظلت شاخصة في عيونهم وافئدتهم، فتراهم كلما اسسوا محلة جديدة نسبوها الى القلعة او احد اجزائها وفاءً وعرفاناً، فمحلة السراي مثلاً اقتبست اسمها من سكن اهاليها قرب مقر الحكم داخل القلعة والتي كانت تسمى السراي

كما برزت في هذه الفترة تسمية مرتبطة بذكريات سكن التلعفريين في القلعة وهي (أشاغ قه لا) اي جنوب القلعة، وهم الذين كانوا يشغلون الجزء الجنوبي من قلعة تلعفر قبل استيلاء جنود بيرقدار عليها، وعندما نقلوا مساكنهم خارج اسوارها نقلوا معهم هذه التسمية التي ما زالت ملتصقة بهم حتى اليوم

ولا ننسى ان محلة القلعة نفسها احتفظت بانتسابها الابدي الى القلعة حتى بعد ان امتدت مساكن التلعفريين خارج نطاق حدودها المعروفة

خلاصة القول .. ان ما حدث في تلعفر على يد الوالي محمد باشا اينجة بيرقدار وان كان في ظاهره وبالاً على التلعفريين وتخريباً لديارهم داخل القلعة، فهو من ناحية اخرى كان امراً لا بدّ منه وقدراً محتوماً، اخرجهم من عزلتهم الخانقة الى دنيا واسعة رحيبة، وحولتهم من اناس شرسين متمردين الى رعايا صالحين يأنسون لحياة الاستقرار ويميلون شيئاً فشيئاً الى موادعة السلطات وممارسة حياة طبيعية اكثر، فلولا هذه الحملة لربما لم نشاهد ظهور محلات تلعفر الحالية الى الوجود والله أعلم

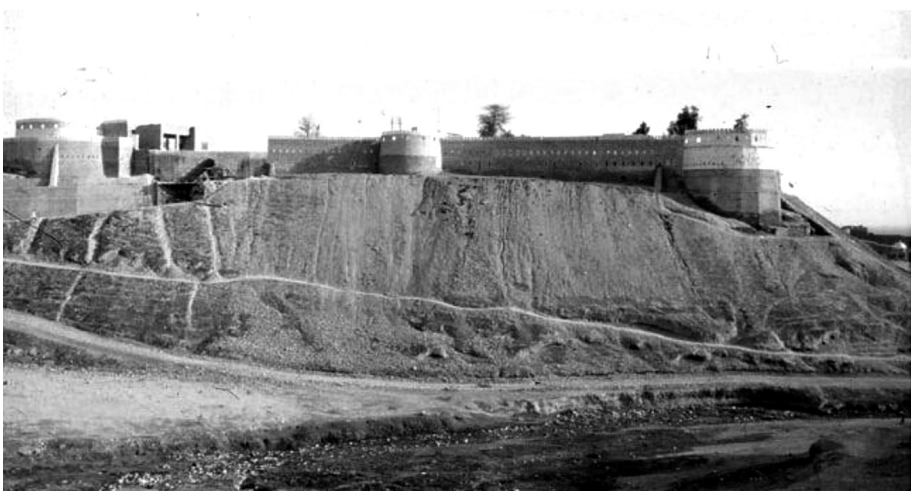

وعلى الرغم من كل القسوة والصرامة التي عامل بها بيرقدار تلعفر، فأن ذلك لم يمنع من إلتجاء رؤوساء القبائل إليها، اثر معاركهم التي ما كانت تنقطع فيما بينهم طلباً للسطوة والنفوذ، بعد انتهاء حكمه على ولاية الموصل بقليل

إذ حدث سنة 1260 هـ / 1844 م ان تعرضت مدينة الموصل الى غارات عشائر عنـزة، وقد جاءت هذه الغارات في أعقاب حريق مدمر أتى على ديارها (أي عنـزة) فوقف كل من والي بغداد محمد نجيب باشا وحاكم الموصل محمد شريف باشا (1260 - 1261 هـ / 1844 - 1845 م) عاجزين عن صدّ غاراتها، فلجأ الى صفوك بن فارس شيخ شمّر الجربا، فاندفع هذا ومعه ألف من أتباعه لمواجهة عنـزة بقيادة الشيخ ادهام بن غهيس العنـزي، فدارت الدائرة على العنـزيين (شمال غرب الموصل) فانسحبوا نحـو تلعفر وقريـة أسكي موصـل[173]

مدحت باشـا

يبدو ان انعطافاً ملحوظاً طرأ على الحالة الادارية في ولاية الموصل اثر تسلم مدحت باشا منصبه والياً على بغداد سنة 1286 هـ / 1869 م بعد منحه السلطان صلاحيات استثنائية في ادارة الاقاليم العراقية، فقد ادخلت تحديثات تنظيمية في ادارة الحكومة العثمانية على يديه والذي يعد رائداً في اصلاح الادارة العثمانية ويعد نظام الطابو، أهم ما يلفت النظر في أعمال مدحت باشا الاقتصادية، وكان الهدف الرئيس من هذا النظام محاولة إيجاد حل لمشكلة العشائر ووضع حد لتمرداتها المستمرة وتحويل أفرادها إلى مواطنين مستقرين وذلك بتوفير سبل العيش وتحسين وسائل الري [174]

وحالما تم شمول الموصل بنظام الطابو سنة 1287 هـ / 1871 م في فترة ولايته ... قام الأغـوات فـي تلعفـر والمتنفذون فيها بتسجيل القـرى المحيطـة بالمدينة بأسمائهم[175]

173 موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 4، المصدر السابق، ص177
مدحت باشا (1286 - 1288 هـ / 1869 - 1872 م)
174 دكتور سيار الجميل، المصدر السابق، ص164
175 موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 4، المصدر السابق، ص 243

وضمن حملة الإصلاحات التي قام بها هذا الوالي في تلعفر تجديد بناء (سراي الحكومة) أي دار الحكم في القلعة، التي حوّلت فيما بعد الى قائممقامية، ووضع فيها قوة عسكرية[176]

ومع ذلك لم تتوقف المشاغبات والمشاحنات بين العشائر في تلعفر، وغالباً ما كان سببها التنازع على النفوذ وعلى الاراضي الزراعية وعائدية ملكيتها، يقول خورشيد باشا[177] الذي كُلّف من قبل السلطات العثمانية بعمل رحلة الى هذه المناطق (شمال العراق والمناطق الحدودية مع ايران):

تقع ناحية تلعفر على بعد اربع ساعات من جبل سنجار بين الموصل والجبل المذكور، وعلى الرغم انها في حكم القصبة لإحتوائها على ثلاث محلات وقلعة، فإن تلك الاماكن تعد من القرى، يشتهر اهلها بالشغب منذ وقت طويل ... وكثيراً ما تشتعل نار الحرب بينهم، ويضيّعون اعمارهم هباءً في سبيل ذلك، ولكنهم الان استقاموا على الطريق ودخلوا دائرة الطاعة[178]

السلطان عبد الحميد الثاني (1293 - 1327 هـ / 1876 - 1909 م)

السلطان عبد الحميد الثاني

176 يمامة العبيدي، المصدر السابق، ص 27

177 ان السلطان العثماني كلّف صاحب الكتاب بعمل دراسة لهذه المناطق (شمال العراق) والمناطق التي تحاذي ايران، وقد شغل المؤلف منصب والي الحجاز سنة 1287 هـ / 1870 م، ووزيراً للاوقاف ومستشاراً للصدر الاعظم سنة 1295 هـ / 1878 م

178 خورشيد باشا، رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وايران، ترجمة وتقديم: مصطفى زهران، 2009، ص362

عادت تلعفر في عهد هذا السلطان وأصبحت مرة أخرى ناحية تابعة للواء الموصل بعد أن فصلت عن سنجار سنة 1300 هـ / 1882 م[179]، وفي عهده وتحديداً عام 1310 هـ / 1892 م أرسل جيشاً بقيادة عمر وهبي باشا للقضاء على عصيان الايزيدية في سنجار وكانت تلعفر قاعدة متقدمة لهذه الحملة الناجحة

ارسل السلطان عبد الحميد الثاني هذه الحملة الى نواحي الموصل بقيادة الفريق عمر وهبي باشا لثلاثة اسباب:

1-تحسين احوال الجنود وتحصيل ما بقي من الضرائب من الاهالي

2- اخضاع عشائر شمّر العاصية وتوطينهم في قسم من اراضي ما بين النهرين الزراعية

3- تهذيب القبائل الايزيدية واقناعهم لإعتناق الدين الاسلامي[180]

ثم أرسلت الدولة العثمانية حملة اخرى بقيادة مصطفى بك سنة 1316 هـ / 1898 م بعد امتناع التلعفريين عن اداء الخدمة العسكرية ودفع الضرائب

وفي سنة 1327 هـ / 1909 م ارسلت الدولة العثمانية جيشاً بقيادة محمد فاضل باشا الداغستاني لتأديب عشائر الدليم المتمردة في منطقة الجزيرة، واقام الجيش معسكره جنوب تلعفر قرب البساتين ومكث هناك قرابة شهر قبل الانطلاق الى مناطق التمرد

رافق هذه الحملة خمسمائة فارس من فرسان تلعفر تحت امرة جمع كبير من رؤوساء العشائر في تلعفر نذكر منهم: عبد الله السيد وهب، الحاج يونس افندى آل عزير، الحاج علي عبد الكريم آغا، الحاج خلف آل حسين، السيد كلش آل سيد ابراهيم، السيد رضا السيد حسين، وخضر هابش ... وآخرون

وعند وصول الحملة قرب بلدة عنة، امر الداغستاني فرسان تلعفر بالعودة الى ديارهم بعد ان جاءتهم الاخبار برحيل زعيم المتمردين الشيخ نجرس الگعود عن المنطقة [181]

الاحوال العامة لتلعفر في هذه الفترة:

من خلال اطلاعنا على كتابات البلدانيين والرحالة والمستشرقين الذين مروا بتلعفر ووصفوها أثناء زياراتهم المتكررة في هذه الفترة، نستطيع ان نكوّن صورة قريبة عن احوالها العامة في تلك الفترة:

179 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص226 - 227
180 القس سليمان صائغ، ج2، المصدر السابق، ص315
181 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص237 و 248

يقول لايارد عند زيارته تلعفر سنة 1897 م:

تسلقت التل وزرت القلعة التي كانت مأهولة بجماعة من الجيوش غير النظاميين، اما البيوت التي كانت الاسر تسكنها في السابق (قبل حملة محمد باشا بيرقدار) ثم شيدت مساكنها اسفل التل الصناعي، فقد اضحت خراباً ما عدا التي يحتلها آمر الحامية

ولا ينسى لايارد الاشارة الى الحضارة الآشورية التي قامت هنا ويتحسر على زوالها فيقول: نا للاطا نىدملا ىرقلاو ةميدقلا موقت يف لك بناج، امنيحو تذخا سمشلا ردحنت وحذ بيغملا

ينكما نا ي صحا رثكا نم ةئام لت دتمت اهلالظ ةليوطلا ةمئاقلا قوف لهسلا، دقو تناك هذه اياقب ةراضحلا ةيروشلآا ءاخرو اهتايح، دقلو تضقنا نورق ذنم نا تناك هذه ةعقبلا ةلوهأم ناكسلاب نيذلا اهونطوتسا، اما نلآا كنإف دجتلا اهيف ىتح ةميخ ودبلل، لكف ي ضارلاا ةلحاق ءادرج [182]ةرفقم

وعند زيارة كل من فريدريك سارا و آرنست هرتسفيلد تلعفر سنة 1903 م ذكرا:

إن تلعفر هي المدينة العصرية لهذه المنطقة ... ويبلغ عدد سكانها بضعة الاف نسمة وهي مسكونة من قبل الاتراك ... ثم يذكران:

نأ ةنيدملا عقت ىلع ي بناج رهنلا قوف ةدع تاعفترم، ىلعو ةفضلا ةيبرغلا عقت ىلا لامشلا ةعلقلا ي هو ىلعا ةطقن ي ف ةنيدملا، ةعلقلاو اهسفن ي تلاو لمحت مسا (ةعلق نارم) عقت قوف ةيانب مدقا ادهعً اهنم ... مسقلاو ي لخادلا نم ةعلقلا وه ب رخم ةياغلل هنكلو نوكسم نلاا نم ض عب الاهالي

ويمضيان في الوصف: ىلاو لفسا كلت ةعلقلا دجوي عوبنيء امم ريزغ ذغيّي دفاورلا ةئيملا ي ف ةنيدملا، رهنلاو وه رذق لثم ةنيدملا اهلك هؤامو ي وتحي تيربكلا حلملاو اذهلو ب بسلا لقنيناكسا ةنيدملا مهمايم نم مستودع للماء وغدير شمال المدينة

ولقد اسميا الجانب الشرقي من تلعفر بأسم (الخان)، اما الجانب الغربي فقد ذكرا انه قديم وقد اصبح اطلالاً الآن [183]

والملفت للنظر ان الرحالتين اشارا الى وجود نهر في تلعفر يقسمها الى قسمين: شرقي وغربي، فهل كان من الانهار الصغيرة ام مجرد امتداد لمياه العين (صوباشى) وجريانه في الوادي الكبير الذي يقسم المدينة الى نصفين متساويين تقريباً ؟!

اما كرام [184]سكياس ي ذلا راز رفعلت ةنس 1906 م انيطعيف ةروصة مناق نع ةدلبلا ذا لوقي:

182 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص، نقلاً عن:
Asshur and the land of Nimrod , New York , 1897 , p 207
آشور و ارض النمرود، السير اوستن لايارد، ترجمة: كوركيس عواد، نيويورك، 1897
183 فريدريك سارا و آرنست هرتسفيلد، المصدر السابق، ص 206 - 207
184 هو السياسي البريطاني الذي اقترن اسمه بالمعاهدة الشهيرة سايكس - بيكو

تلوحتو رفعلتا اهسفنن م ةنيدم ةريبك ىلا ةيرق ةسئاب، م ثاهحاتجا عابو اريلوكلا ذنم ةرتف ةريصق حبصأف لكا ام هدهاشي ةلاحرلا يف رفعلتا ددعً لايلقً نم تويبلا ةشمكنملا ىلع اهسفن، اروسوً امدهمً هيلع اياقبتانسم ةميدق، مضي اريدمً شيعي يف ةتفكش (خوك) ةريغص يف بئارخلا

ويمضي بالقول: والطريق من تلعفر الى الموصل حزين وبائس، خرائب حديثة العهد واراض معطلة هي كل ما يلقى العين ... فالحكومة دمرت النظام الإقطاعي القديم ولم تحل محلّه اي نظام آخر [185]

لاامجاً عيطتسن لوقلا نا رفعلتا تناك ينا عتا اعاضواً ةيعامتجا ةيشيعمو ةئيس لا ىقرتا ىلا ىوتسم زكرم ةيحاذم ضتم عستا تلاحم ةينكس رئاودو ةموكحلل ةيلحملا اهيف، عم تلاامتحا اهضرعتا رمتسملا ىلا تاراغ ودبلا عاطقو قرطلا امك عقو ةنس 1886 م امدنع راغا اهيلع ةسكارشلا اهوبهنو امم ىدا ىلا ثودح ةحش يف نؤملا داوملاو ةيئاذغلا[186]

وعن السلطان عبد الحميد الثاني ينتشر الكثير من القصص الشعبية بين أهالي تلعفر، مما يعكس مدى شعبيته لديهم وتمكن محبته من قلوبهم، ومن ذلك ما يروى انه كان يجلس في عاصمة ملكه في الأستانة (اسطنبول) كل صباح فيرى من مجلسه هناك مكة المكرمة وكعبتها المعظمة

ومن طريف الحكايات التي تتناقلها الأجيال عنه في تلعفر انه اجبر الناس على الصلاة وكان يعد المصلين برواتب وأموال مغرية إن هم إلتزموا بأدائها في مواقيتها المكتوبة، وفرض على كل رئيس عشيرة أن يأتي بسبعة أشخاص على الأقل للصلاة في الجامع، فكثرت أعداد المصلين نتيجة لذلك حتى أن بعض المصلين كانوا يقيمون الصلاة - بلا وضوء - طلباً للمغنم والجائزة

تأسيس المدرسة الابتدائية العثمانية الاولى في تلعفر:

أسست هذه المدرسة على عهد السلطان عبد الحميد الثاني، اذ تشير السالنامة العثمانية المؤرخة سنة 1325 هـ / 1907 م الى وجود مدرسة للصبيان (الذكور) في تلعفر، ويبدو انها كانت المدرسة الوحيدة آنذاك

موقع المدرسة:

افتتحت المدرسة الابتدائية العثمانية ابتداءً في غرفة ملحقة بجامع دره كويو (جامع العين) تحت مسمى (تلعفر صبيان مكتبى - برنجى) [187]، وبعد اربع سنوات من الدراسة

185 مارك سايكس، المصدر السابق

186 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص89 نقلا عن: Budge by Nile and Tigris (London) 1920)لكن نفى وقوع هذه الغارة وذكر انه لم يسمع بها من احد من المعمرين

187 تعني كلمة (مكتب) المدرسة في الوثائق العثمانية، وما زال التلعفريون يتداولون هذه الكلمة

في الجامع المذكور انتقلت الى بناية كانت تقع جنوب شرقي القلعة مكان نادي الموظفين سابقا، ومكان مديرية مكافحة الجريمة

الوصف العـام لبنـاية المدرسة:

كانت البناية تتكون من طبقتين، في الطبقة الأرضية ست غرف مع الطارمات والاواوين وفوقها أربع غرف (كوشك) مبنية مع شرفاتها من جص الملدران والحجر

وكانت المدرسة تضم ستة صفوف، يدرس في الصف الواحد 15 - 20 طالباً، باستثناء الصفين الاول والثاني فقد كان فيهما اكثر من عشرين طالباً، واحياناً كان يتم دمج الصفين الثاني والثالث في صف واحد

هناك في كل صف لوحة او سبورة، ولم تكن هناك مقاعد او رحلات لجلوس الطلاب في الصفوف، بل كان هناك ما يعرف عندنا بـ (سكّو) وهي مساند كانت تبنى من الطين والحجر مغلفة بالجص والقرميد، وتوضع قريبة من جدران الصف (تشبه في أيامنا القنفات الطويلة في الغرف)

اضافة الى هذه الصفوف خصصت ادارة المدرسة غرفة لتعليم الصلاة وتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، والى جانبها زاوية صغيرة او ملحق فيه اباريق من الطين المفخور لتعليم الطلاب كيفية الوضوء

اما غرفة المدير والمعلمين فقد كانت غرقة مشتركة وكانوا يضعون سجلاتهم الخاصة بهم على رفوف مصنوعة من الخشب

وكانت إرضية فناء المدرسة (حوش) مكسوة بالمرمر، وتبلغ مساحتها 300 متر مربع تقريباً، وفي وسط الفناء جابية ماء، منحوتة من المرمر يسع لـ 2 متر مكعب تقريباً من الماء وفيها صنبور (حنفية)، وكانت المياه تجلب إليها من عين ماء صوباشى بواسطة احد السقائين يوميا

كيفية صنع الطباشير:

استخدم نوع خاص من الطباشير للكتابة على السبورة ومن صناعة محلية بإمتياز، اذ كان طلاب المدرسة مكلفون بجلب نوعية خاصة من انواع الصخور تشتهر بها تلعفر وهي احجار الكلس الزجاجية والمعروف محلياً بـ (چچـى قايا)، يحضرونها من وادي العين القريب ويجمعونها عند حارس المدرسة الذي بدوره يضعها في النار ثم يقوم بطحنها بواسطة آلة الـ (دباگ) حتى تتحول الى مادة جصية ناعمة، وبعد خلطها بكمية من المياه تجري عملية تجفيفها ثم تقطع على هيئة طباشير بعد صبها في قوالب خاصة، علماً ان حجم الطباشير آنذاك كان يختلف عن حجم الطباشير الآن[188]

للدلالة على المدرسة بدل كلمة (Okul) المستخدمة في اللغة التركية الحديثة

188 الاستاذ فؤاد الافندي، نقلاً عن رواية والده (رحمه الله) الذي درس في هذه المدرسة

نظام المدرسة وأوقات الدوام فيها:

كانت المدرسة تتبع نظام المعارف العثماني الذي كان معمولاً به في سائر ولايات الدولة العثمانية، فمدة الدراسة كانت لا تتجاوز الأربع سنوات تقويمية، والتدريس كان باللغة التركية

العثمانية، اما الطلبة المقبولون فيها فكانوا من الذكور (حصراً) ممن تتراوح اعمارهم بين (6 - 11 سنة)، على شرط ان يتمّوا الدراسة اولاً في الكتاتيب [189]

اما اوقات الدوام فكانت تتم على وجبتين (صباحاً ومساءً)، اذ كانت الدروس الاساسية والمنهجية المهمة تلقى عند اوقات الصباح، اما الدروس الثانوية الاقل اهمية والعملية كالرسم والخط والنشيد والموسيقا والرياضة (النشاط اللامنهجي) فكانت تلقى بعد فترة الظهيرة وتمتد حتى وقت المغيب [190]

مفردات الدراسة:

كانت المناهج المقررة للتعليم هي: الالفباء (مبادئ القراءة)، القرآن الكريم، علم التجويد، علم الحال، الاخلاق، اللغة التركية العثمانية (الصرف العثماني)، الاملاء، ملخص التاريخ العثماني، مختصر الجغرافية العثمانية، الحساب، الرسم، الرياضة البدنية والكشافة، وكان هناك اهتمام خاص بتعليم خط الرقعة والخط الديواني العثماني[191]

وفي ايام الخميس كانت الجوقة الموسيقية العسكرية تحضر إلى ساحة المدرسة لتعليم النشئ الجديد الأناشيد والمارشات العسكرية العثمانية، التي من ابرزها:

- بيز وطن عسكرييز دوشمانناان قورقمازييز (نحن جنود الوطن لا نهاب االعدو)

- گنج اوصمان، الذي يتحدث عن بطل اسطوري في الجيوش العثمانية هو الفتى عثمان

- قره طاش ألطنناان عسكر قاينادى اي يتدفق الجنود من تحت الصخرة السوداء

اضافة الى الاناشيد التي كانت تمجد السلطان العثماني وتمدحه وكان يتغنى بها الطلاب اثناء مراسيم تحية العلم، نذكر منها على سبيل المثال: التركية (تاج حريتله دوغمش، بير گونش شكلنده سن، بين ياشا، سلطان، دولتنله بين ياشا، دولتنله، ملتنله، بين ياشا)، وتعني: طلعت علينا متوجاً، كالشمس، بتاج الحرية، لتعش، أيها السلطان ، مع دولتك، ألف مرة، مع دولتك، ومع شعبك، الف مرة ، ثم يختمون الانشودة بالهتاف ثلاثاً لحياة السلطان (پادشاهم چوق ياشا) اي عش طويلاً يا مليكي

وكان معلم النشيد يبث في الطلبة روح الحمية وحب الوطن ويقول لهم بالتركية: (وطنن سيوميان ايمانى اولماز) اي ان الذي لا يحب وطنه لا ايمان له [192]

189 د/ عروبة جميل محمود، التعليم في الموصل في اواخر العهد العثماني (شبكة الانترنيت)
190 الاستاذ سعيد عباس اوعلو
191 د/ عروبة جميل، المصدر السابق
192 الاستاذ فؤاد الافندي والاستاذ سعيد عباس اوغلو

معلمو المدرسة:

كانت المدرسة تدار من قبل (معلم أول) يكون بمثابة مدير للمدرسة، يليه (معلم ثاني), وفي احسن الاحوال لم يكن عدد المعلمين في المدرسة يزيد على اثنين الاّ ما ندر بسبب ضعف التعليم في تلك الفترة وقلة الافراد القادرين على التعليم، وقد اختلفت المستويات العلمية للمعلمين , فكان منهم الاكاديمي الذي تخرج في دار المعلمين , ومنهم خريجوالمدارس العسكرية , وربما كانوا من خريجي المدارس الابتدائية (سداً للشواغر)، والجدير بالذكر ان اغلبهم كانوا من المتطوعين[193]، نذكر منهم:

السيد يحيى افندي بن مصطفى، مدير المدرسة من اهل الموصل وكان حافظاً للقرآن الكريم

السيد عبد القادر (قدو عبدي) بن عبد الله افندى بير نزار

السيد محمد جميل افندى چلبلار

السيد إلياس علي إلياس آل مراد

السيد عبد الحميد افندى بن عبد المجيد (رحمهم الله جميعاً) [194]

ولأنها كانت مدرسة علم وادب، فقد تخرج فيها العديد من العلماء والاعلام والادباء والمثقفين وكبار العسكريين في تلعفر وغيرهم عبر مراحلها المختلفة نذكر منهم عالم تلعفر الجليل الشيخ محمد سعيد افندى چلبلار امام وخطيب الجامع الكبير واحد رموز ثورة تلعفر سنة 1920 م، والسيد محمد يونس السيد عبد الله السيد وهب (اول تلعفري يدخل الحياة النيابية سنة 1947) ومؤلف كتاب (تاريخ تلعفر قديماً وحديثاً)، والعلامة الملا محمود افندى الذي حصل على الشهادة العالمية من الموصل وحفظ القرآن الكريم وصحيحي البخاري ومسلم، وهو والد الدكتور احمد محمود افندى المقيم حالياً في تركيا[195]

دونو قراشلا ىلا نا ميلعتلا لبق حاتتفا هذه ةسردملا يف رفعلت، نا كدمتعي ىلع ماظن (بيتاتكلا) وا (لاملا) بسح ريبعتلا جرادلا، تناكو هذه بيتاتكلا ةرشتنم يف عيمج تلاحم رفعلت ابيرقتً، تناكو اهسورد ةرصتقم ىلع نآرقلا ميركلا ةءارقً اظفحوً، ةفاضا ىلا ةيسلا ةيوبنلا

193 الاستاذ سعيد عباس اوغلو والحاج عبد الرحمن حمّو صالح قّلي آل وهب
194 الاستاذ فؤاد الافندي والاستاذ سعيد عباس اوغلو
195 الاستاذ فؤاد الافندي

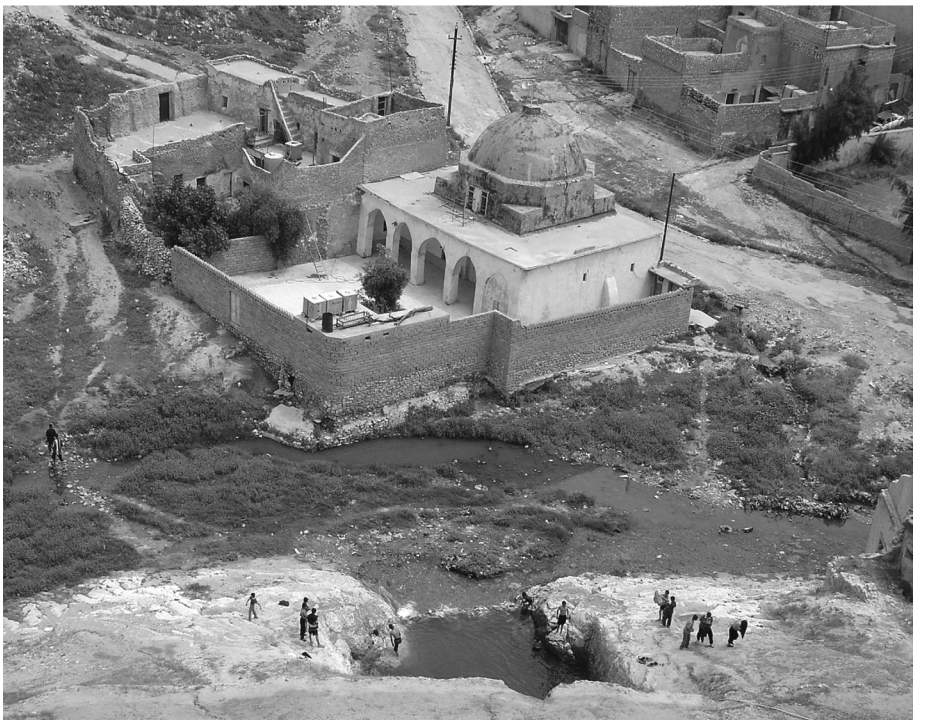

جامع دره كويـو سنة 2005 م الذي افتتحت فيه اول مدرسة في تلعفر

الاتحاد والترقّي (1327 - 1337 هـ / 1909 - 1918 م)

سنة 1326 هـ / 1908 م وقع الانقلاب التركي بقيادة جماعة الاتحاد والترقي ومن ثم اجبروا السلطان عبد الحميد الثاني على التنازل عن السلطة سنة 1327 هـ / 1909 م، وبذلك آلت ممتلكات هذه الإمبراطورية الضخمة إليهم

تجددت في هذه الفترة نزاعات عشائرية مسلّحة مدمّرة بين سكان تلعفر نتيجة لإزدياد نفوذ العشائر وضعف سلطات حكومة الاتحاد والترقي الجديدة، وقد أشار الأستاذ عبد الرزاق الحسني الى هذه المنازعات بالقول ((وبين سكانِ المحلات الفوقانية والمحلات التحتانية أحقاد دفينة تؤول الى مخاصمات ومعارك كثيراً ما تذهب بعشرات النفوس ...))[196]

بل ان عشائر تلعفر اعلنت عصيانها وتمردها على سلطات الدولة العثمانية (حكومة الاتحاد والترقي) سنة 1331 هـ / 1913 م بعد صراع مسلح مرير بين عشيرتي ألاي بك والسادة، وازاء هذا الوضع الخطير ارسلت السلطات العثمانية قائد الفيلق

196 عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص262

الثاني عشر في الموصل أسعد باشا وضابط الركن ياسين الهاشمي الى تلعفر، فأجريا اصلاحات واسعة وتمكنا من اعادة الامن والاستقرار الى المدينة

ومن جملة الاجراءات التي تم اتخاذها عاقلإ ضبقلا ىلع نينامثا اصخشً نم مهنيب عاسؤر رفعلت مهنمو ديسلا دبع الله ديسلا بهو خيشلاو سنوي زيزع (ريزع) ديسلاو دمحم ميهاربا دبع الله بقلملا بـ (شلكم)، نامرعسو ام نيع نويداحتلاا دحا باطقا تيعمج داحتلاا و يقرتلا وهو نامليس فيظن ايلاوً ىلع لصوملا، دقو حنم تايحلاصـ تعساو اهنمو رادصا وفع ماع نم تناتسلاا (لوبنطسا) نع نيمهتملا نم خويش و عاسؤر رفعلت، تلازلاو بابسا فلاخلا نيب نيتريشعلا ررق يلاولا عارجا ترهاصم امهنيب مهحنمو تئامسمخ تيقدنب عم داتعلا اوكراشيل يف بحرلا تيملاعلا ىلولاا، دقو تقلأ تاطلسلا تيلوؤسم ام ىرجى لع قتاع ديسلا قيدصي جولمدلا ريدم تيحان رفعلت تمهتاو تدابإ تنفح نم عانبا ناروط نامعجشلا نيذلا اوظفاح ىلع مهنايك تليط روصع طسو هذه تيدابلا نيب لئابق بحرلا تيوقلا تشحوتملا [197]

خلال الحرب العالمية الأولى (1333 - 1337 هـ / 1914 - 1918)

كان التلعفريون يسببون حرجاً للدولة العثمانية بسبب امتناعهم عن أداء الخدمة العسكرية في الوقت التي كانت الدولة بأمسّ الحاجة الى المقاتلين في مختلف الجبهات، حتى ان بعضاً منهم بالغوا في الرفض وقالوا ان كل من يشارك في الحرب مع العثمانيين لا تعطى له إمرأة من تلعفر[198]

وبعد مفاوضات مطوّلة بين رؤوساء العشائر والسلطات العثمانية وصل الطرفان الى حلٍ وسط سنة 1335 هـ / 1916 م، تقرر بموجبه إعفاء التلعفريين من أداء الخدمة العسكرية لقاء تقديمهم المؤن والذخائر للجيش العثماني ودفع الضرائب المستحقة عليهم[199]

يسرد السيد محمد يونس السيد عبد الله جملة من الكوارث والظواهر الطبيعية التي وقعت في تلعفر مع نهاية الحكم العثماني منها:

حدوث موجة برد قارصة سنة 1315 هـ / 1898 م ادت الى تيبس الاشجار وجفافها، مما اضطر السكان الى قطعها وغرس اشجار غيرها، كما يشير في السنة ذاتها الى اصابة المحصولات الشتوية بآفات زراعية بسبب انتشار نوع من الديدان القاتلة فيها

ويذكر ضمن احداث سنة 1322 هـ / 1904 م وقوع وباء الطاعون في تلعفر وانتشاره فيها الامر الذي ادى الى وفاة كثير من الناس، ومن شدة الوباء لم يكن في وسع المرء ان يزور اخاه او احداً من ذوي قرابته

197 يمامة العبيدي، المصدر السابق، ص8 - 10
198 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص250
199 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص22 هامش رقم (1)

ويسرد من ضمن احداث سنة 1328 هـ / 1910 م تعرّض المدينة الى موجة عنيفة من الثلوج والرياح الباردة حتى ان آثار الثلوج بقيت قرابة شهر ونصف الشهر على طرقات المدينة، ومن شدتها ايضا مات خلق من البدو الرحل ونفق الكثير من المواشي، ومن طرائف ما ذكر إلتجاء قطعان من الغزلان وبأعداد كبيرة الى بلدة تلعفر توقياً من البرد والجوع، وكانت الاهالي تصطادها بسهولة[200]

الاحـوال العامة

تعطينا السالنامة العثمانية الصادرة سنة 1330 هـ / 1912 م صورة واضحة موجزة عن اوضاع تلعفر خلال هذه الفترة من اواخر الحكم العثماني، إذ ورد فيها:

أن ناحية تلعفر تتألف من تسع محلات سكنية[201]، ويلغ عدد الدور فيها ألف وخمسمائة دار، وتوجد في داخل قلعة هذه المدينة بناية حكومية كبيرة، الى جانب أربعة او خمسة من البيوت العائدة الى الأهالي، وان فيها جدول ماء يصب من الشمال نحو الجنوب ويكفي لتلبية احتياجات السكان من الماء

وتشير السالنامة الى ان أهالي البلدة مستقرون وليسوا رحالة، يعمل معظمهم في الزراعة وتربية الحيوانات، وتذكر السالنامة من صفاتهم: أنهم يشتهرون بالشجاعة والكرم بدرجة كبيرة وهم في نفس الوقت يتعايشون مع العشائر المجاورة والقريبة منهم بسلام ومحبة

ولا تنسى هذه السالنامة في معرضٍ حديثها عن تلعفر التذكير بالاصل التركي لسكانها، وانهم يتحدثون لهجة قريبة جداً من لغة الـ (چـاغتاي) التركية [202]

تأسيس أول بلدية في ناحية تلعفر

سنة 1334 هـ / 1915 م قررت السلطات العثمانية تأسيس بلدية في تلعفر وعيّن أول رئيس لها هو الحاج قدّو خليل عاصي فرحات، وقد صادق على تعيينه مدير الناحية السيد مصطفى افندي، وقائممقامٍ قضاء سنجار إذ كانت تلعفر تابعة لسنجار آنذاك، وعين محمد افندي بن عباس كاتباً

200 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص314

201 قسم المؤرخون هذه المحلات الى قسمين: الاول اسموها المحلات الفوقانية وهي: القلعة وحسنكوي والسراي، اما القسم الثاني فأطلقوا عليها اسم المحلات التحتانية وهي: صـو، كـركـري، كـرد علـي، جـولاق، سـنجار، وجـلبي ، وكانت هـناك محلـة جـديدة فـي طـور النمـو انشأت سـنة 1318 هـ / 1900 م نتيجة التوسع العمراني للمدينة اطلق عليها محة قنبردره (سنذكرها لاحقاً بشيء من التفصيل)

202 حبيب الهرمزي، المصدر السابق، ص18

بناية بلدية تلعفر

وبعد استقالة الحاج قدو عاصي سنة 1336 هـ / 1917 م عيّن السيد ملكو مجدل آغا مكانه، ولما توفي محمد عباس افندي كاتب البلدية عين بدلاً عنه الملا محمد الطحان ثم ألغيت رئاسة بلدية تلعفر سنة 1918 م بإحتلال الانكليز لتلعفر بأمر من الحاكم السياسي البريطاني الذي تولى هو منصب رئيس البلدية[203]

وفي سنة 1341 هـ / 1922 م اعيدت وظيفة رئيس البلدية وتم تعيين السيد يونس افندي آل عزير آغا رئيساً لها [204]

الحملة على الإيزيديين في سنجار

ذكرنا فيما مضى ان السلطات العثمانية اتخذت من تلعفر قاعدة متقدمة للقضاء على اي عصيان او تمرد للإيزيدية في سنجار، وقد تجدد تمردهم في كانون الثاني 1917 م فأمتنعوا عن دفع الضرائب واداء التكاليف الاميرية، واشتد تمردهم شيئاً فشيئاً حتى وصل الى تعاونهم مع القوات البريطانية التي كانت في حالة حرب مع الدولة العثمانية،

203 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص286
204 المصدر السابق، ص328

مما اضطر والي الموصل ممدوح بك الى طلب قوة من الجيش للقضاء عليهم

وفي شهر كانون الاول 1917 م ارسلت الدولة العثمانية لواءً كاملاً بقيادة الاي بك (عقيد) مصطفى بك لإخماد الثورة، وعسكرت الحملة في تلعفر - كونها آخر خطوط التماس مع الايزيديين - لمدة شهرين ريثما ينقضي الشتاء المصحوب غالباً بالبرد والامطار الغزيرة .

اجتمع قائد الحملة مصطفى بك مع رؤوساء عشائر تلعفر في بناية مدرسة تلعفر الاولى بحضور والي الموصل ممدوح بك وقائممقام سنجار منير بك ومدير ناحية تلعفر مصطفى افندي، وقد طلبوا من زعماء العشائر اسناد الحملة بالمال والرجال والمؤن وكان له ما اراد وقد انضم إليها قرابة ألف فارس من فرسان عشائر تلعفر

يوم الـ 26 آذار 1918 م انطلقت الحملة من تلعفر ومعهم الالف فارس وكانوا تحت إمرة كل من: ابراهيم الحاج يونس، الحاج علي آغا عبد الكريم، سليمان السيد وهب، عبد الرحمن بن عثمان افندى، سيد محمد بن السيد ابراهيم (كلش)، عبد الرحمن آمن، خضر هابش وآخرون

اصطدمت الحملة في طريقها الى سنجار بالمقاتلين الايزيديين قرب عين الغزال ونشب قتال عنيف بين الطرفين مدة يوم كامل، اسفر عن استيلاء العثمانيين على قريتي (تپه) و (ميركان)، بعدها حاصر العثمانيون معظم القرى المحيطة بسنجار منعاً من وصول الامدادات الى الايزيديين الذين لم يجدوا بدّاً من الانسحاب امام القوة الهائلة للجيش العثماني تاركين كل شيء وراءهم، وبذلك تمّ احتلال سنجار احتلالاً تاماً

لم تكتفِ الحملة باحتلال سنجار بل توجهت الى القرى التي تقع الى الجنوب منها حيث كان المقاتلون الايزيديون يترقبون وصولها، وقد وقع صدام عنيف أخر بين الطرفين في قرية (قزل كاند) تحطمت فيها قوة الايزيديين منسحبين الى قرية (جدالة) الحصينة حيث يوجد زعيمهم حمّو شرّو هناك قد اعدّ العدّة لمنازلة الحملة العثمانية، لكنه ما لبث ان انسحب الى قرية (كرسي) الجبلية بعد يومين كاملين من القتال

ولم يمكث حمو شرّو في كرسي الاّ قليلاً حتى داهمته العساكر العثمانية فانطلق طريداً شريداً مع اتباعه الى الكهوف وقمم الجبال ملاذهم المعتاد عند اشتداد الكروب عليهم، ومع حلول صباح يوم الـ 26نيسان 1918 م كانت الحملة العثمانية قد انجزت مهامها وبسطت سيطرتها على جميع معاقل الايزيدية، حتى اضطر حمّو شرو وجنوده الى طلب الامان هاتفين بأعلى اصواتهم: (أمان أمان، دخيل دخيل) ... واثر انتهاء هذه الحملة عاد مقاتلو عشائر تلعفر وفرسانها مع زعمائهم الى تلعفر [205]

205 المصدر السابق، ص266 وما بعدها

قائممقامية قضاء تلعفر

أواخر سنة 1336 هـ / 1917 م صدر فرمان عثماني يقضي بتشكيل قائممقامية جديدة بإسم (قائممقامية قضاء تلعفر) على أن ينفذ الفرمان بدءاً من 1/ كانون الثاني / 1918 م وبذلك أصبحت تلعفر قضاءاً مستقلاً عن سنجار وتابعاً للواء الموصل

صدرت الأوامر إلى منير بك (وهو تركي الأصل) قائممقام سنجار بالتوجّه الى تلعفر ليكون قائممقاماً فيها، وكان منير بك يدير قضاء تلعفر وكالة الى جانب كونه قائممقاماً لقضاء سنجار، ثم عيّن السيد محي الدين بك ليتولى منصب القائممقام

ويعد السيد محي الدين بك أول وآخر قائممقام عثماني شغل هذا المنصب في تلعفر، اذ لم يستمر في منصبه إلاّ عدة اشهر قبل ان يحتل الإنكليز المدينة

التشكيلات العسكرية في تلعفر نهاية الحكم العثماني

وفق السالنامة العثمانية لسنة 1330 هـ / 1912 م كان في ولاية الموصل لواء من الدرك العثماني (الجندرمة)[206] منظم في أربعة أفواج، كانت حصة تلعفر منها مفرزة

206 الدرك أو الجندرمة: هي القوات الخاصة لحفظ الأمن والنظام، أسست سنة1321 هـ / 1903 م ووضعت تحت السيطرة المباشرة للولاة وكانت تعزّز احياناً بـ (الهايتة) وعدّ الدرك صنفاً من صنوف الجيش وربط بإحدى دوائر وزارة الحرب في استانبول، ويؤمّن ضباط الدرك من الجيش النظامي عن طريق الانتداب ... وقد استمر العمل بنظام الدرك او الجندرمة حتى

تابعة الى الفوج الأول[207]، مكونة من بعض الافراد المحليين وكانوا تحت قيادة شاكر افندي البغدادي[208]

اما قوات الجيش في تلعفر اواخر الحكم العثماني فكانت مؤلفة من سريتين: سرية الخيّالة (صوارى طاقمى)، وسرية المشاة (پيادة طاقمى)، ومجموع افراد السريتين كانوا مائتين (200) تقريباً من الجنود والضباط تحت قيادة البكباشي (مقدّم) محي الدين بك الشامي، وكانت تعسكر شرق محلة السراي[209]

وكانت للسلطات الحكومية عدة مخازن للحنطة والشعير موزعة في المحلات، وكان مأمورها السيد عبد القادر بن عبد الله افندى من عشيرة بير نزار (قدو افندى)، الذي كان مسؤلاً عن جباية الاعشار من السكان

وكان الملازم بكر افندى ضابط التموين والسوقيات، يشرف على ارسال الحبوب من هذه المخازن الى قرية حكنة شمال تلعفر لتموين الجيش العثماني في اواخر ايام الحرب العالمية الاولى[210]

تلعفر من الناحية الإدارية في العهد العثماني

مثلت تلعفر في هذا العهد آخر حدود ثابتة لولاية الموصل العثمانية من جهة الغرب حيث تبدأ من ورائها مباشرة منطقة جبل سنجار الذي يقطنه الايزيديون ... وبسبب عدم اعتراف السلطات العثمانية بهؤلاء فقد كان نفوذ الموصل السياسي لا يفرض عليهم إلا بالقوة العسكرية فقط [211]

كما أن الحدود الغربية لتلعفر كانت تشكل بداية أراضي ولاية بغداد وتوابعها، مما دفع ببعض المؤرخين المحليين الى القول بأنها (أي تلعفر) كانت من توابع ولاية بغداد...[212]

سنة 1343 هـ / 1924 م حيث استبدلت التسمية بـ (الشرطة) ... راجع: موسوعة الموصل الحضارية، مـج4، ص231-230

207 : موسوعة الموصل الحضارية، مج4، ص230

208 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص15

209 المصدر السابق، ص15

210 المصدر السابق، ص15 - 16

211 دكتور عماد عبد السلام رؤوف، المصدر السابق، ص19 - 20

212 المصدر السابق، ص24

منطقة عرب كويو (قرية العرب)

مع بدايات القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي برزت تقسيمات ثلاثة لمناطق تلعفر وهـي:

- منطقة القلعة الرئيسية
- منطقة جامع الحاج محمد، او منطقة الجامع الكبير واطرافها جنوب القلعة
- منطقة عرب كويو (قرية العرب)

ويعود سبب هذه التسمية الى سنة 1218 هـ / 1803 م عندما ارسل سليمان بك الشاوي قوة عسكرية مؤلفة من رجال البو سيف وبعض رجال قبيلة الجحيش الزبيدية الى تلعفر لمساعدة امير طيء (فارس بن محمد) الذي انضم الى ثورة الشاوي على السلطات العثمانية واستقرت هذه القوة في شرق تلعفر على مرتفع يشرف على عين ماء المدينة (صـوباشى) عرف في ما بعد من قبل سكان تلعفر بأسم (عرب كويو) أي (قرية العرب) ولازالت التسمية باقية الى يومنا هذا، وتعرف ايضاً بـ (آسكي حسنكوي) اي (حسنكوي القديمة) وهي الآن جزء من محلة حسنكوي الكبرى

وبعد ان استولى عليها محمد باشا اينجه بيرقدار سنة 1257 هـ / 1841 م أسس فيها ناحية ربطها مباشرة بولاية الموصل حتى سنة 1288 هـ / 1872 م [213] وهي السنة التي أصبحت فيها تلعفر مركزاً لناحية تابعة لقضاء سنجار حتى أواخر سنة 1336 هـ / 1917

213 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص226، بينما يرى آخرون ان تلعفر اصبحت ناحية تابعة لسنجار سنة 1297 هـ / 1880 م

م، وعندما أصبحت قضاءاً مستقلاً، ألحقت به ناحية زمار، بينما ذكر السيد مصطفى بك العمري أن تلعفر أصبحت ناحية مرتبطة بالموصل سنة 1270 هـ / 1853 م، وبعد تشكيل لواء دير الزور ألحقت به ناحية تلعفر التي كانت تابعة لقضاء سنجار [214]

سنة 1296 هـ / 1879 م كان لواء الموصل يضم ستة أقضية هي: الموصل والعمادية وزاخو ودهوك وعقرة وسنجار [215] فلم تكن تلعفر من ضمن هذه الاقضية، فقد أعيد ارتباطها بالموصل بصورة ناحية مرتبطة بقضاء سنجار

وعندما نلاحظ التقسيمات الإدارية لولاية الموصل كما ورد في سالنامــة 1909 م / 1327 هـ نجد أن تلعفر كانت مركز ناحية تابع لقضاء سنجار دون أن ترتبط به أية قرية[216] استناداً الى النظام الإداري الذي أصدره الوالي مدحت باشا في 29 / شوّال /1287 هـ / 1871 م [217]

كان الجهاز الاداري لناحية تلعفر يتكون من: مدير الناحية، وكاتب مدير الناحية، ومسؤول المخزن او ما كان يعرف بـ (انبار مأمورو)، اضافة الى اعضاء مجلس الناحية المنتخبين من قبل السكان المحليين

وقد شغل منصب مدير ناحية تلعفر موظفون اداريون عثمانيون للمدة من سنة 1308 هـ / 1890 م وحتى سنة 1330 هـ / 1912 م، اما اعضاء مجلس الناحية فكانوا من سكان تلعفر وبالتحديد من رؤوساء العشائر والوجهاء فيها، حسبما وردت اسماؤهم في سالنامات الدولة العثمانية للفترة المذكورة اعلاه، وكما مبين في الجدول التالي:

مدير الناحية	كاتب الناحية	اعضاء مجلس الناحية	مأمور المخزن	سنة التعيين
فكري افندي	امين افندي	----------	عبدالله افندي	1890
مصطفى افندي	امين افندي	----------	عبدالرحمن آغا	1892
مصطفى افندي	اسماعيل افندي	عبدالرحمن افندي	نجيب افندي	1894
توفيق افندي	-------	سيد حسين آغا، سيد احمد آغا، حسين فارس افندي، محمد آغا	-------	1907
صديق الدملوجي	رفعت افندي	----------	---------	1912 [218]

اما عمل مجلس الناحية فكان محصوراً في مناقشة كل ما يخص الناحية من مشاريع عامة وإبداء الآراء والمشورة فيما يتعلق بالضرائب الحكومية التي كانت تشمل الضرائب على المزروعات والمواشي (طمغة وباج)، وكذلك الاشراف على صرف المبالغ التي تخصصها الحكومة للأمور العامة، والمبالغ التي كانت تخصص

214 د/ إبراهيم العلاف، تقرير السيد مصطفى بك العمري قائممقام تلعفر (1923 - 1926)، أرشيف دائرة اوراق متصرفية لواء الموصل، رقم 2/3/4/7

215 موسوعة الموصل الحضارية، مج4، ص177 - 178

216 المصدر السابق، ص166

217 المصدر السابق، ص181

218 يمامة العبيدي، المصدر السابق، ص26 - 27

عن طريق الاعانات والتبرعات من قبل الاهالي، وكذلك الامور المتعلقة بالمراعي والمشاتي ... الخ [219]

خريطة ولاية الموصل العثمانية وفيها تلعفر وقد كتبت تل عفار

ناحية تلعفر 1917

219 الاستاذ سعيد عباس اوغلو، نقلاً عن دائرة الارشيف العثماني في اسطنبول

المحلاّت السكنية في تلعفر نهاية الحكم العثماني

المحلة تعبير إداري يرجع إلى العصر العثماني , معناه الحي , ولا يزال مستعملا بهذا المعنى في العراق وتركيا، ويتولى رئاسته شخص يسمى (المختار) لأن أهل المحلة هم الذين يختارونه , ويطلق هذا الاسم أيضا على رؤساء القرى , كما هو الحال في فلسطين

ورد ذكر محلات تلعفر السكنية في السالنامة العثمانية سنة 1325 هـ / 1907 م بالشكل الآتي: «تتألف ناحية تلعفر من تسع محلات"... اما السالنامة المؤرخة سنة 1330 هـ/1912 م، فقد ورد فيها ان تلعفر تتألف من تسع محلات، وان عدد الدور فيها يبلغ ألف وخمسمائة دار

ويورد الاستاذ عبد الرزاق الحسني ذكراً لأسماء هذه المحلات ومواقعها من المدينة فيقول: ((وتتقوم بلدة (تل أعفر) من تسع محلات: ثلاث منها فوقانية وهي محلة السراي ومحلة القلعة ومحلة حسنكوي، والست الباقية تحتانية وهي: سنجار وصو و گرگري وچلبي وكرد علي وچولاق، وقد أنشئت في القسم التحتاني في السنوات الاخيرة محلة جديدة بإسم قنبر دره (أي وادي قنبر) عندما اخذ عمران البلدان بالإتساع))[220]

أولاً ـ المحلات الفوقانية

محلة القلعة (قـه لا محلاسى):

ربما كانت هذه المحلة اقدم محلة في تلعفر كلها فقد وجدت مع قلعتها واستمدت اسمها من اسمها إذ كانت احدى مناطق تلعفر الرئيسية الثلاث اثناء الحكم العثماني الى جانب حسنكوي القديمة ومنطقة جامع الحاج محمد (الجامع الكبير حالياً)، وتتوسط هذه المحلة مدينة تلعفر تقريباً وتتميز ببيوتها التراثية العريقة اضافة الى مجاورتها القلعة التي تزخر بالعديد من الآثار فيها والتي يتجاوز عمرها خمسة آلاف سنة تقريباً وتنتظر أيادٍ امينة لإستخراج كنوزها، وكانت المحلة موطن سكن جميع ابناء العشائر في تلعفر - تقريباً - حتى سنة 1257 هـ / 1841 م عندما استولى عليها والي الموصل الشهير محمد باشا إينجه بيرقدار والذي اجبر معظم ساكنيها على النزوح الى الاراضي والمناطق المجاورة للقلعة وبناء مساكنهم فيها بعد حملته الشهيرة

تضم المحلة أقدم جامع في تلعفر هو جامع القلعة، ومن المحتمل ان تأسيسه تم بعد دخول الجيش الإسلامي الى تلعفر سنة 18 هـ / 639 م، وقد تمت مصادرة ملكيته من قبل محمد باشا سنة 1257 هـ / 1841 م، ثم اعيدت ملكية وقفه الى عشيرة السادة سنة 1279 هـ / 1864 م [221]

كما تضم المحلة مشهداً ينسب الى الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)، وقد تمَّ بناؤه بعد أن شُوهد الإمام علي (كرم الله وجهه) والصحابي الجليل سلمان الفارسي (رضي الله عنه) وخادم الإمام (قنبر بن حمدان) مراراً في هذا المكان (حسب الروايات

220 عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص262
221 محمد يونس السيد وهب، المصدر السابق، ص102

الشعبية)، مع أننا نجزم قطعاً بعدم دقتها

لكن هناك صرحاً تأريخياً عريقاً وموقعاً اثرياً يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من القلعة، يعرف عند الاهالي بـ (خلّو قولاّسى) اي قلعة خليل، وقد سمّي بهذا الاسم نسبة الى (خلو او خليل همّات) وهو احد ابناء يوزباشى خيّال همّت دده رأس عشيرة همّات في تلعفر الذي سكن في هذا الموضع اثر قدومه مع جيش السلطان مراد الرابع سنة 1048 هـ / 1639 م واصله من مدينة قيسارية (قيصرية) التركية [222]

خلّو قولاّسى

وهناك من اسفل القلعة تتدفق مياه اشهر عين في تلعفر (صوباشى) بتصريف (1م مكعب / ثا) اي ما يعادل 25 مليون متر مكعب في السنة لتمتد في وادٍ طويل وتروي ما مساحته 500 دونم من اشجار الفاكهة بالاضافة الى اروائها البساتين والخضراوات الصيفية والشتوية وفق مواعيد شبه ثابتة في السنة حسب العرف السائد في تلعفر [223]

لقد بلغت العين من الشهرة بحيث جاء ذكرها لدى الجغرافيين والمؤرخين والساسة الذين زاروا تلعفر .. فهذا السير اوستن لايارد يبهجه منظر العين سنة 1849 م فيقول: ((وهناك عين غزيرة الماء تتدفق من بين الصخور اسفل القلعة، وهي تزوّد السكان

222 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص108

223 تمتد مياه عين صوباشى وتمر بتجمعات مائية صغيرة (سواقي) تسمى بأسماء محلية تركمانية، تبدأ من سراي باندى (قلوز باندى) - صو باندى - كومشلى كولو - صو قيراغى - ديش ييرى، ثم تدخل هذه المياه بساتين تلعفر وتلتقي بتجمعات مائية اخرى على التوالي: خالل بك - قانه - حيّو كولو - سلمى دره - فطّو كولو حتى تصب في بحيرة الثرثار

بالمياه وتروي بساتينهم وتدير ارحيتهم)) [224] وتذكر المس بيل: ((ان الماء الوحيد الموجود في الجزيرة هو ماء تلعفر والينابيع التي تتفجر من اسفل جبل سنجار ...)) [225]

ويشير مؤرخ العراق الكبير السيد عبد الرزاق الحسني الى العين فيقول: ((ينبوع ماء فيه ملوحة ظاهرة لكنه صحي مستساغ ... وتسيل مياه هذا الينبوع في وادٍ يقسم تلعفر الى قسمين فتحوله الى مزارع من التين والرمان واسعةٍ)) [226]، ويشير الدكتور قحطان عبوش الى وجود درج يربط العين بالقلعة باعتباره ممراً سرياً يستخدم اوقات الطوارئ إلّا ان تراكم الاوساخ فيه واهمال الحكومات المتعاقبة ادى الى انسداده وطمره[227]

صـوباشى سنة 1964 م

224 Nineveh and Its remains . New York , 1849 , p: 257-259

225 المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، الطبعة الاولى، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1431 هـ / 2010 م، ص69

226 عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص261

227 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص22

محلة حسنكوي:

تشغل هذه المحلة معظم مساحة الجهة الشرقية من تلعفر، وكلمة حسنكوي تركية تتألف من مقطعين (حسن) و(كوي) وتعني (قرية حسن) نسبة الى حسن همّات جد عشيرة همّات الحالية الذي سكن المنطقة اثر مجيئه من مدينة قيساري التركية مع جيوش السلطان العثماني مراد الرابع سنة 1639 م / 1048 هـ

ويضيف الاستاذ نجات كوثر اوغلو في كتابه (معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية): ان جنود الانكشارية حينما تمّ إلغاء مراتبهم وفكّ ارتباطهم من الجيش العثماني في زمن السلطان محمود الثاني (1808 - 1839 م)، إلتجأت مجموعات صغيرة منهم الى حسنكوي سنة 1826 م تقريباً واقاموا مساكنهم هناك[228]

شهدت المحلة العديد من الاحداث التأريخية المهمة منها ضيافتهم العمريين ومناصريهم بعد نفيهم اليها من قبل والي الموصل محمد امين الجليلي سنة 1244 هـ / 1828 م ومن ثم انطلاق حملة قوامها 1400 رجل لمهاجمة الموصل وتنصيب قاسم العمري واليا عليها، كما شهدت سنة 1218 هـ / 1803 م وجود اعداد كبيرة من عشيرة العبيد والجحيش اثناء ثورة الشيخ سليمان الشاوي على السلطات المحلية العثمانية في تلعفر، كما لجأت الى هذه المحلة احدى عشائر تلعفر الكبرى وهي ألاي بك (هلاي بگ) سنة 1331 هـ / 1913 م نتيجة للصراعات التي كانت تحدث بين ابناء العشائر في المدينة [229]

تضم هذه المحلة ضمناً مناطق مشهورة لدى سكان تلعفر، مثل منطقة عرب كويو (قرية العرب) [230] وقد اشرنا إليها سابقا، ومنطقة الحمام او حمّام محلاسى وهي منطقة صغيرة في الاطراف الجنوبية من محلة حسنكوي القديمة بالقرب من عين الماء (صوباشى)، كان فيها حمام عام أنشأ ايام الدولة العثمانية وقد اشارت الى وجوده السالنامة العثمانية المؤرخة سنة 1325 هـ / 1907 م

وهناك بخه جاخ تپاسي او (المرصد) وهي التله التي اقيم عليها خزان ماء تلعفر في منطقة حسنكوي هذه التلة التي كانت تشرف على طريق الموصل / تلعفر بسبب ارتفاعها، لرصد ومراقبة المارين منه، والاسم مشتق من (بقماق او بخماخ) اي النظر ذات اليمين وذات الشمال[231]

228 نجات كوثر اوغلو، المصدر السلبق، ص100

229 ذكرنا هذه الوقائع فيما مضى من صفحات

230 والراجح عندي - والله اعلم - ان سكان تلعفر التركمان قد اطلقوا على هذه المنطقة تسمية (عرب كويو) تمييزاً لها عن باقي مناطق تلعفر التركمانية، والى جوار عرب كويو تقع مقبرة آل كلش عند التلة المشرفة على وادي عين صوباشى، تضم رفات سبعين من زعماء العشائر والمشتركين في احداث ثورة 1920 م في تلعفر

231 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص60

وهناك ما يعرف بـ (سارج) وهو صهريج شيده الانكليز بعد احتلالهم تلعفر شمال حسنكوي قرب منطقة بخه جاخ (سنتكلم عنه لاحقاً)

كما ان هناك منطقة شهيرة فيها تسمى (قپلان تباسى)[232] اي تلة قپلان، ترتفع قليلاً عما يجاورها من الاراضي، سمي بهذا الاسم نسبة الى عشيرة قبلان (المولى) التي كانت تملك هذه المنطقة قبل قرار الاطفاء الصادر من المحكمة وتم توزيعها على منتسبي التربية في وقتها، ثم اعطت الحكومة لهم حق التصرف فيها فبنوا مساكنهم في هذه المنطقة[233]

حسنكوي (منطقة بخه جاخ سابقاً)

232 المصدر السابق، ص184

233 تعد محلة حسنكوي اليوم وجه تلعفر المشرق فبالاضافة الى كثافتها السكانية العالية تعد المركز التجاري والاقتصادي الاول في تلعفر دون منافس .. كما تضم العديد من الدوائر الخدمية والحكومية والمدارس وعيادات الاطباء ... وفيها روضة للأطفال أسست سنة 1975 م في رأس الجادة ثم انتقلت بنايتها الى حسنكوي سنة 1982 م

محلـة السـراي:

السراي كلمة تركية تطلق على دار الحكومة والقصر والمنزل الفخم، وقد اخذت المحلة تسميتها منها بسبب قرب مساكنهم من سراي الحكومة العثمانية اثناء سكنهم داخل القلعة قبل حملة بيرقدار، ويرى آخرون ان التسمية اشتقت من كلمة (سرايلية) وهي عشيرة من قبيلة البيات التركمانية قدمت قبل مئات السنين من مناطق أذربيجان وسكنت المنطقة، وسبب تسمية هذه العشيرة بهذا الاسم هو نسبة الى جد العشيرة الذي كان يشغل وظيفة في قوات الجندرمة في سراي الدولة العثمانية، ولازال ابناء هذه العشيرة يتكلمون اللهجة التركمانية المحلية بدون استثناء [234]

تقع محلة السراي في الجانب الشرقي من تلعفر وهي من المحلات العريقة، اذ يرجح بعض الباحثين وجود بعض البيوت فيها منذ سنة 1650 م تقريبا كان يسكنها افراد من عشيرة علي الدولة [235]، وتزخر بالعديد من البيوت التراثية القديمة والمساجد العريقة، كما تتميز بعادات اجتماعية اصيلة موروثة من الاجداد، كما يمتاز موقعها الجغرافي بالقرب من عين ماء المدينة صوباشى، وعند اطرافها الغربية المطلة على وادي العين تقع المنطقة المعروفة بـ (قـاووش او قـاويش) [236] وقد تكلمنا عنها عند حديثنا عن حملة الوالي محمد باشا اينجه بيرقدار

وكان في هذه المحلة خان قديم يديره السيد خليل عبوش الملقب بـ (خانچـى) [237] كانت تنزل فيه القوافل التجارية الذاهبة و العائدة من الموصل الى الشام، وقد نزل فيه الحاكم السياسي البريطاني لولاية الموصل الكولونيل لچمن ومساعده الكولونيل نولدر يرافقهما اسماعيل بك جول احد شيوخ الايزيدية بعد الاحتلال الانكليزي لتلعفر سنة 1339 هـ / 1918 م واجروا فيه مفاوضات مع القائممقام السيد محي انيدلكيب ميلستا [238]ةنيدملا كما سنرى لاحقاً

234 شاكر صابر الضابط، بحث تاريخي حول عشيرة البيات، المصدر السابق، ص76 - 77
235 د/ قحطان احمد سليمان، قبيلة بني حمدان، دار العباد للطباعة والنشر، بغداد، 2015 م، ص245
236 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص183
237 كلمة تركية بمعنى صاحب الخان
238 قحطان احمد عبوش، ثورة تلعفر، المصدر السابق، ص19

منطقة (قاووش) وقد استملكته اسرة (طوپـال) احد فروع آل عبد الله (على دولة) وبنت عليه مساكنها

ثانياً ـ المحلات التحتانية

محلة سنجار

سنجارلى محلاسى، تقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة , تحدها من الجنوب بساتين تلعفر ومن الشمال منطقة طوب تپه[239] ومن الغرب محلة قنبر دره ومن الشرق محلة الچلبي وللمحلة موقع تجاري مهم اذ تحتضن السوق الشهيرة بسوق الايزيدية

يذكر الاستاذ صدّيق الدملوجي (مدير ناحية تلعفر في العهد العثماني) في سبب تسمية المحلة أن العشائر الساكنة فيها جاءت من جبل سنجار , ونزحت منه الى هذه المنطقة بسبب صعوبة تكيفها مع الايزيدية بعد ان وجدوا انفسهم غير قادرين على التعايش معهم بسبب اختلاف ديانة الطرفين[240]، تعرف المحلة اليوم بـ (حي النداء) حسب التنظيمات الادارية الجديدة

قرانوخ قه نطرمه ويظهر محل العطار ابن بيغوش الموصلي (بيغوش اوغلو)

239 طوب تپه، كلمة الطوب تعني في اللغة العثمانية القديمة المدفع وكلمة (تبة) تعني التل، فيكون المعنى (تل المدفع)، واظن ان هذا التل الواقع على مرتفع من الارض شمال غرب تلعفر، كانت المدافع تنصب عليه ايام الحكم العثماني لقمع اي ثورة يقوم بها سكان تلعفر، نظراً لموقعه الستراتيجي المطل والمسيطر على المدينة، كما اشتهرت المنطقة بوجود اكوار الجص فيها (مخطر)، والذي كان يستخدم مادةً اساسية في بناء البيوت التلعفرية، يقع التل اليوم في حي الربيع اوكما يعرف عند العامة بـ (7 نيسان)

240 صديق الدملوجي، المصدر السابق، ص484

محلة الـچلبـي

چلبـلار محلاسـى، احدى محلات تلعفر القديمة والعريقة، اخذت تسميتها من عشيرة چلبلار، وهي من اوائل العشائر التركمانية التي سكنت تلعفر خارج اسوار قلعتها، اذ يشير الاستاذ والمؤرخ التركي الكبير سليمان چلبي في كتاب (بيوك تورك تاريخى) ان ثلاثة اسر من آل چلبي نزحت من مدينة قونية السلجوقية سنة 1277 م الى العراق وتفرقت لتسكن احداها في تلعفر واقتطعت لهم السلطات آنذاك اراضٍ زراعية خصبة في المنطقة المعروفة بـ (صـو آلـتى)، وهي الاراضي الزراعية الخصَبة الواقعة الى الجنوب من بساتين تلعفر، حيث نمت هناك وتوسعت حتى اصبحت من كبرى عشائر تلعفر[241]

وبما انهم كانوا رؤوساء التصوف في تلعفر، فقد أسسوا احد اقدم المساجد فيها وهو المعروف بـ (جامع آل چلبي) وقد عثر فيه على مصحف شريف مخطوط يرجع تأريخه إلى ألف سنة مما استدل بعض الباحثين بذلك على كونه أقدم جامع في المدينة وذكر بعض الباحثين أن تأريخ بنائه يعود إلى سنة 1246هـ / 1830م وقيل ان الذي شيّده هو فارس آغا[242]

تقع المحلة في الجزء الجنوبي من المدينة , يحفه من الشرق جدول (امتداد لمياه صوباشى) ومن الجنوب بساتين تلعفر ومن الغرب محلة الچولاق ومن الشمال محلة الصو، وتعرف اليوم بـ (حي النداء) حسب التنظيمات الادارية الجديدة [243]

جامع آل چـلبي بالقرب من ديش ييرى

241 نقلنا الرواية عن الاستاذ فؤاد الافندي الذي اطلع على مضمون الكتاب
242 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص103
243 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص92

محلة الگرگري

گرگرى محلاسى، يعود سبب التسمية الى سكن افراد من عشيرة الگرگرية او الجرجرية[244] فيها , وللمحلة موقع سوقي وتجاري مهم حيث يضم مجموعة من المحلات الصناعية، وتعرف اليوم بـ (حي الطليعة) وفق التقسيمات الادارية الجديدة

يحدّ المحلة من الشمال جزء من محلة القلعة، ومن الشمال الغربي محلة سنجار، ومن الجنوب بساتين تلعفر، ومن الشرق والجنوب الشرقي محلة كرد علي، وتتميز بوجود منطقة (قصابخانة) فيها او السوق العصري، والتي أسست على ارضها صالة السينما الوحيدة في تلعفر (سينما النصر) سنة 1956 م في عهد القائممقام السيد عبد القادر بابان اواخر الحكم الملكي في العراق، وما زالت المنطقة تسمى حتى يومنا (سينما محلاسى) اي محلة السينما او منطقة السينما[245]

محلة الگرگري (منطقة السينما) سنة 1966

244 اقوام مختلطة من القوميتين العربية والكردية وهناك من يقول بأن اصولهم تركية، ولذلك منحتهم السلطات العثمانية اراض زراعية وبساتين جنوب تلعفر استناداً الى اصلهم التركي

245 كانت سينما النصر في تلعفر حتى أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي معلماً من معالم المدينة ومنبراً من منابر الثقافة يوم كان المثقفون يرتادنها، وتقام فيها الحفلات والندوات وتعرض فيها الافلام العربية والعالمية الذائعة الصيت ، وقد تلاشت اهميتها تدريجياً في التسعينيات بعد ظهور تجارة الأقراص الليزرية (سي دي)، ومع بدء القرن الحادي والعشرين وانتشار ثورة الاتصالات والمعلوماتية بدأت تعاني من الإهمال والتهميش حتى تحولت إلى قاعة خاوية على عروشها

محلة كـرد علـي

كـردعلـي محلاسـى، مـن محلات تلعفر القديمة، والبعض يسميها (قورت علي) او (قورت عليلار)، اما تسميتها الاقدم فهي (قارتاللار) وهي كلمة تركية قديمة تعني الصقور،[246] حرفت مع تقادم الزمن على ألسنة العامة

وتقع المحلة في الجزء الجنوبي من تلعفر , ضمن المحلات التحتانية وفق تعبير مؤرخ العراق الكبير الاستاذ عبد الررزاق الحسني، تحفها من الشرق محلة الچلبي ومن الجنوب بساتين تلعفر ومن الغرب محلة الگرگري اما من الشمال فتحدها محلة القلعة، وتتمتع بموقع سـوقي وتجاري مهم حيث تحتضن جزءً كبيراً من السوق الرئيسي للمدينة، وهي اليوم جزء من حـي الطليعة حسب التقسيمات الادارية الجديدة لأحياء مدينة تلعفر

محلة چـولاق

چـولاق محلاسـى[247] وتلفظ ايضاً (چـولاخ)، احدى محلات مركز قضاء تلعفر، وهي من المحلات التحتانية القديمة حسب تصنيف الاستاذ عبد الرزاق الحسني، اخذت المحلة تسميتها من سكن عشيرة چـولاق المعروفة فيها منذ القدم، وتعني كلمة (چـولاق) في اللغات التركية القديمة مقطوع اليد او الاعرج، تقع المحلة الى الجنوب من تلعفر وتعرف اليوم بـ(حي الطليعة)

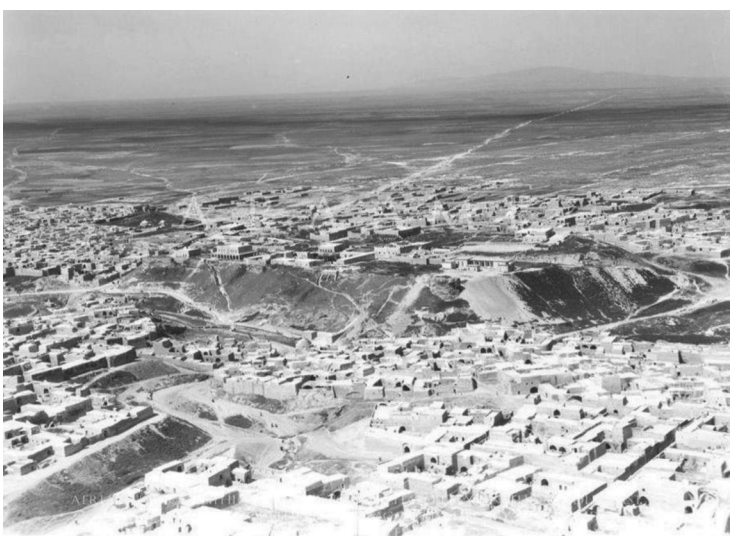

صورة من الجو لتلعفر سنة 1938

246 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص 178
247 راجع: المصدر السابق، ص94

محلة الصو

صو محلاسى [248]، اي محلة الماء من المحلات القديمة والعريقة والمحافظة على الأصالة والقيم والتقاليد العريقة، تقع في جنوب مركز قضاء تلعفر، سميت بالـ (صو) بسبب قرب المحلة من عين المدينة (صوباشى) مما جعل مناسيب المياه ترتفع طول ايام السنة وتغطي مساحات واسعة من المحلة قبل انشاء شبكات الاسالة الحديثة، وتعرف المحلة اليوم بـ(حي الخضراء) و (اشاغ قه لا)

جانب من محلة صو (حي الخضراء)

248 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص153

محلة قنبر دره

قنبرِ دره محلاسى أي (وادي قنبر)[249]، اسست المحلة سنة 1317 هـ / 1900 م تقريباً، نتيجة للتوسع السكاني والعمراني في تلعفر، حسب ما ذكره الاستاذ حميد المطبعي في كتابه (رحلتي الى شمال العراق)، والاستاذ عبد الرزاق الحسني، لذا تعد من المحلات الحديثة قياساً الى المحلات التسع التي ذكرناها

يعود أصل التسمية الى رواية شعبية لم تثبت تأريخياً، مفادها أن الإمام علي (رضي الله عنه) وصل إلى تلعفر أثناء حملة المسلمين لفتح العراق وكان هدفه فتح قلعة تلعفر فأمر خادمه الشهير قنبر بن حمدان بالتمركز على الوادي الواقع غرب المدينة، فسمي (قنبر دره)، ابدلت تسميتها فيما بعد الى حي الوحدة

قنبردره (حي الوحدة)

249 ورد ذكرها في معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية، ص200 تارة باسم (قنبردره) وتارة (قنبردره سى)، والمعنى واحد

الاحتلال البريطاني

سنة 1336 هـ /1917 م احتل الانكليز العراق ثم سيطروا على الموصل، ولم تأت نهاية شهر تشرين الثاني 1918 م حتى اتمّ الانكليز احتلال بقية المدن الأخرى في ولاية الموصل ومن بينها تلعفر[250] التي دخلوها سلماً بعد انسحاب الحامية العثمانية منها ونائب الوالي علي إحسان باشا

وكان الكولونيل ليچمن اول الداخلين مع ثلة من جنده سراي الموصل يوم 8 تشرين الثاني 1918 ورفع العلم البريطاني فوقه، وتسلّم البلد كأول حاكم سياسي لإقليم الموصل ... وهكذا ايضاً كان ليجمن مع بعض افراد جنده قد ذهب الى بعض اقضية الموصل ليرفع العلم البريطاني فوق دوائرها الادارية، وعلى الاخص سنجار وتلعفر ... [251]

امر الحاكم العسكري الكولونيل ليچمن بإنزال العلم العثماني ورفع العلم البريطاني فوق سراي الحكومة، فأنزلت بذلك تلك الراية التي خفقت في سماء تلعفر عدة قرون، ثم حلّقت طائرة انكليزية فوق البلدة دليلاً على احتلال الانكليز لها[252]

وقد سبقت دخول الانكليز سمعة سيئة ... فلم يكن الاهالي لينسوا بأن جل مفقوديهم في الحرب العالمية الاولى انما كان بسبب الانكليز وحلفائهم، لذلك كانت نظرة السكان اليهم موضع شك وريبة لم يمحها استياؤهم من الاتراك[253]

يقول الاستاذ حميد المطبعي: ان علائم الحزن كانت ترتسم على وجوه القسم الاكبر من اهالي تلعفر عند دخول الانگليز الى المدينة، لزوال الحكم العثماني وبداية الحكم الاجنبي الذي يختلف عنهم في كل شيئ ديناً ولغة وتقاليداً وحضارة ...[254]

مراسيم توديع القائممقام العثماني

في ايام الاحتلال الاولى نزل الحاكم السياسي البريطاني لولاية الموصل الكولونيل ليچمن ومساعدوه في الخان الذي كان يديره السيد خليل عبوش الملقب (خانچي)، في محلة السراي واجروا فيه مفاوضات مطولة مع القائممقام السيد محي الدين بيك لتسليم المدينة، انتهت بخضوع الاخير للأمر الواقع ومن ثم قرر الرحيل عن تلعفر [255]

تجمهر بعض رؤساء العشائر واهالي تلعفر في القلعة لتوديع السيد محي الدين بيك قائممقام تلعفر العثماني وقد اغرورقت عيونهم بالدموع، وألقى عليهم السلام مع نظرات اللقاء الأخير، ولشدة حزنه على فراق تلعفر واهلها النجباء الكرماء كان يتلعثم

250 موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الرابع، المصدر السابق، ص126
251 سيار الجميل، المصدر السابق، ص260
252 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص20
253 المصدر السابق، ص22
254 حميد المطبعي، المصدر السابق، ص112
255 قحطان عبوش، المصدر السابق، ص19

في كلامه وقد شاركه في حزنه كل من حضر من الشيوخ والعامة

عانق محي الدين بك مودعيه بحرارة ودموعه لا تكف عن الجريان من هول الواقعة، وقد تسابق الشيوخ في تكريمه بهدايا ثمينة، فقد اهدى له العلامة الحاج محمد سعيد افندى چلبلار، امام الجامع الكبير مصحفاً مكتوباً بخط اليد، كتبه احد الخطاطين التلعفريين آنذاك، وقد طعّم ارقام آياته بماء الذهب وجعل غلافه من جلد غزال

واهداه السيد يونس آغا ألاي بك سجادة منسوجة من صوف الخروف الناعم، كما اهداه السيد عبد المطلب دواة قهوة برونزية، اما السيد عبد الرحمن بن عثمان افندى فقد وهبه فرسه (الابقع) ليسافر عليها

وبعد إتمام مراسيم التوديع عُزف النشيد العثماني للمرة الاخيرة في قلعة تلعفر يوم الـ 15 / تشرين الثاني / 1918 م، فكان هذا اليوم يوما حزيناً مشهوداً في تاريخ التلعفريين

سار موكب القائممقام برفقة الاهالي حتى وصل موقعاً في شمال تلعفر كان يعرف بـ (عباس اوغلو) [256] وهناك ودعوه الوداع الاخير، وكان آخر كلمة قالها لمودعيه وهو في طريقه الى نصيبين :لا تأمنوا هؤلاء الانكليز[257]

بقيت في معية موكب القائممقام ثلة خيرة وفية من رؤوساء العشائر، اوصلوه الى قرية (حكنة)[258] على بعد ثلاثين كم شمال تلعفر، نذكر منهم العلامة محمد سعيد افندى چلبلار فقد كان من اقرب المقربين لمحي الدين بك، وكان القائممقام يقوم بأداء الصلوات الخمس في مسجده الجامع الكبير ويستشيره في المسائل الشرعية

كما رافق الموكب الى (حكنة) السيد عبد الرحمن آمن رئيس عشيرة جبلاّر، والسيد عبد المطلب احد وجهاء عشيرة السادة، والسيد عبد الرحمن بن عثمان افندى رئيس عشيرة بير نزار وآخرون [259]

وهكذا اسدل الستار على حقبة زمنية طويلة دامت قرابة اربعة قرون كانت حافلة بالكثير من الاحداث في تأريخ تلعفر

الحكام السياسيون في تلعفر وبعض أعمالهم

عمل الكولونيل ليچمن بسرعة على انتظام الادارة البريطانية في ولاية الموصل، فشرع بإستخدام الموظفين الاتراك العاطلين عن العمل ... وقبل نهاية شهر تشرين الثاني سنة 1918 م كان قد اتمّ تعيين معاونين له في الاقضية، فتم تعيين السيد عبد

256 يعرف هذا الموقع اليوم بالحي العسكري
257 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص20
258 تتبع هذه القرية اليوم ناحية العياضية وسكانها مسلمون من القومية الگرگرية
259 رواية الاستاذ فؤاد الافندي نقلاً عن والده (رحمه الله) الذي عاشر شخصيات تلك الاحداث

الحميد بن صالح افندي الدبوني في منصب (وكيل الحكومة)[260] في تلعفر

ثم خلفه في هذا المنصب السيد حسن فائق، الذي كان مديراً للأملاك السنية الخاصة بالسلطان عبد الحميد في ولاية الموصل، ثم تعاقب ضباط انكليز بمنصب (معاون الحاكم العسكري) حتى تعيين اول قائممقام عراقي في تلعفر وهو السيد ابراهيم بكر افندي في 9 / ايار / 1921 م [261]

وقد قامت سلطات الاحتلال البريطاني بإنشاء بعض المباني الحكومية لموظفيها في القلعة ومنها بناية دائرة الحاكم السياسي - اصبحت فيما بعد دائرة القائممقامية - وبناية للدرك (الشرطة) واخرى للمدرسة الابتدائية[262] التي اتخذت في ذلك الوقت داراً للحاكم السياسي، كما قام الانگليز بفتح مستوصف واستحداث دائرة للبريد و البرق

وقام الانكليز برفع باب القلعة الرئيسي من جهة السوق، ومهدوا الطريق لصعود سياراتهم الى القلعة مباشرة، ووضعوا هذا البابِ الاثري على الوادي الذي يجري فيه ماء العين (صوباشى) لإستخدامه جسراً صغيراً تعبر عليه المارّة

يقول الدكتور قحطان احمد عبوش: وقد رأيت الاخشاب الباقية من هذا الجسر التي كنا نعبر عليها حتى سنة 1955 م، حيث شيد الجسر الحالي

كما شيد الانكليز صهريجاً شمال حسنكوي قرب خزانات الماء الحالية، لغرض الاستفادة من مياه الامطار وخزنها فيه، بسبب عدم استساغتهم ماء تلعفر المر [263] وكان هذا الصهريج معروفاً لدى سكان تلعفر بإسم (سارج) [264]

الإدارة في عهد الانكليز

في الـ 15 أذار 1919 م ألحقت بقضاء تلعفر ناحيتا الشورة والشرقاط، لكن الانكليز عندما ادركوا اتساع الرقعة الجغرافية للقضاء، الامر الذي يعرقل سير الادارة ويسبب مشاكل عديدة للأهالي، قاموا بفكّ ارتباط الناحيتين المذكورتين عن قضاء تلعفر في

260 كان هذا المنصب يعادل منصب القائممقام ايام الحكم العثماني، وقد اراد الانكليز من استحداث هذه التسمية التخلص من الاسماء والمسميات العثمانية، وان كانت كلها تؤدي نفس الغرض

261 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص23

262 كانت هناك مدرستان في تلعفر نهاية الحكم العثماني: نجم الترقي والنقيض، ادمجت في مدرسة واحدة على ايام الانكليز وعرفت فيما بعد بـ (مدرسة تلعفر الاولى)

263 المصدر السابق، ص32

264 كان مبنياً بالحجر والقرميد وارضيته مكسوة بالحجر المسطح، وتم لبخ جدرانه بمادة القير مخلوطاً مع لية الاغنام (دهن) لمنع نضوح وتسرب مياهه، وكانت الأسر التلعفرية تتزود من مائه في فصل الصيف للشرب لنظافته وبرودته، ولكن اليوم لاوجود لأي اثر له بعد ان اصبح ضمن المناطق السكنية، نقلاً عن الاستاذ عادل عيد القادر هزو، مراسلات عبر الانترنيت، وورد ذكر (سارج) في كتاب الاستاذ نجات كوثر اوغلو (معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية)، ص130 بما نصه: برك ماء لجمع مياه المطر وهو موقع في تلعفر

أذار 1920 م، و الملاحظ ان إدارة قضاء سنجار اصبحت تابعة لتلعفر في هذه الفترة[265]

ان (معاون الحاكم السياسي) كان يتولى الاشراف على شؤون القضاء جميعها، يساعده في ذلك ضباط الدرك (الشرطة) ... ومجلس استشاري من اغوات تلعفر المحليين يعاونه في شؤون البلدية، وكان هذا المجلس يتألف من السيد عبد الله السيد وهب، والحاج يونس آل عزيز ألاي بك، والشيخ سليمان آغا السعدون الگرگري، والسيد نجم الصباغ الذي كان ممثلاً عن سنجار [266]، اما هيئة الإدارة فتألفت من الموظفين التالية اسماؤهم:

- احمد فخري افندي الديوچي، كان قاضياً شرعياً في المحكمة الشرعية[267]
- السيد شريف افندي السردار كات القاضي الشرعي
- السيد سليم قليان، مأمور المال (مدير المال)، ثم خلفه السيد سعيد افندى الگوزلكلى
- السيد سليم البنا، مترجم في دائرة الحاكم السياسي
- السيد داود افندي عجمايا، مأمور البريد
- السيد عبد الله العريبي، كاتب المالية
- السيد مصطفى افندى، كاتب التحريرات
- السيد اسماعيل الصائغ، المسؤول عن المستوصف
- والهندي مستر لوپ، امين الصندوق[268]

وكان معاون الحاكم السياسي يقوم بنفسه في اعباء الحكم، ويحسم المنازعات ويصدر القرارات ... كما ان مأمور المال قد منح صلاحية الحكام من الدرجة الثالثة للبت في القضايا الصغيرة في محلها، فكانت تجربة ناجحة بوجه عام [269]

265 د/ ابراهيم العلاف، المصدر السابق
266 المس بيل، المصدر السابق، ص 177
267 نقل الى تلعفر من سنجار في 8 كانون الثاني 1919 م
268 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص33، كان ايضا معلم اللغة الانكليزية في مدرسة تلعفر
269 المس بيل، المصدر السابق، ص167

وقفات مع ثورة تلعفر 1920 م

التمهيد

قبل كل شيء علينا إيضاح بعض الامور:

1- اننا سنعتمد الجانب الموضوعي المحايد في نقل الاحداث قدر استطاعتنا ولنٍ نحكم على ما جرى سنة 1920 م في تلعفر حسب عقلية اليوم، فالتاريخ لا يسير وفقاً لمنطقنا ورغباتنا وعلى ضوء أحكام عصرنا الحاضر، والأمور مقرونة بأوقاتها، وكما قال ماركس: « يصنع الناس تاريخهم بأنفسهم، ولكن النتائج غالباً تكون على غير ما يشتهون "

2- سنقتصر الحديث عما جرى في تلعفر وحدها ولن نتطرق الى جوانب او حوادث اخرى وقعت سنة 1920 م الاّ بقدر ما يتعلق الامر بتلعفر

3- لنتفق ان نسمي الوقائع التي جرت في حزيران سنة 1920 م في تلعفر بالتسمية المحلية (قاجه قاج) والتي طالما عوّدنا اسماعنا عليها ونحن صغار او كبار نواجه الحياة حلوها ومرها، بعيداً عن لغة التهويل والتمجيد والحماس التي ألفناها ممن كتب عن احداث هذه الثورة

4- علينا ان نعترف ان ما حدث في تلعفر - سنرى ذلك لاحقاً - كان عملاً غير مدروس بما فيه الكفاية وقد تدخلت المطامح الشخصية والعادات القبلية والنزوات والمغامرات غير المحسوبة من قبل بعض الضباط العرب في ايقاد نيرانها ممزوجة بالعاطفة الدينية لدى سكان تلعفر

5- وعلينا ان نعترف ايضاً ان ما حدث في تلعفر لا يرقى الى مستوى الثورة الشاملة التي يتغنى بها الممجدون، وربما يمكن اعتبارها مقدمة لما عرف في تأريخ العراق الحديث بـ(ةروثة العشرين) او كما وصفها عبد الحميد الدبوني بـ(بسملة ةروثة العشرين)، والتي تحملت عبأها منطقة الفرات الأوسط التي تعد بمثابة العمود الفقري لتلك الثورة كلها، ففي هذه المنطقة حصلت الانتصارات الكبرى للثورة، كما إن هذه المنطقة هي التي تحملت العبء الأكبر من التضحيات في الأنفس والأموال، وصمدت للقتال فترة طويلة نسبياً (نحو ثلاثة أشهر)، أما المناطق الأخرى التي انتشرت الثورة فيها بعدئذ، فلم تكن ثورتها سوى صدى لثورة الفرات الأوسط، وقد تمكن الإنكليز من القضاء عليها بسهولة وخلال وقت قصير[270]

ونريد ان ننبّه القارئ الكريم أننا هنا سنتطرق الى الجوانب الخفية من احداث سنة 1920م او الاحداث التي لم يسلط عليها الضوء بصورة كافية او محايدة، خاصة

270 الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، حول ثورة العشرين، ص349

تلك الامور السلبية التي رافقت احداثها، اما التفاصيل الاخرى فهي معروفة واكثر من فصّلها هو الدكتور قحطان احمد عبوش التلعفري في كتابه: ثورة تلعفر 1920م والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة، وقد جمع فيه روايات نادرة وحية لأصحاب الثورة

ختاماً .. ارجو ان لا يفهم القارئ الكريم من خلال هذا العرض الموجز عن احداث ثورة (قاجا قاج) اننا نحاول التقليل من شأنها او نريد محاكمتها وفق تصورنا، بل إن غايتنا ان يطلع المواطن التلعفري على اسلوب غير تقليدي في دراستها وان يستلهم الدروس والعبر منها، فالتأريخ ليس مجرد حكايا وقصص للتسلية، بل ذكرى لأولي الالباب

خريطة تلعفر سنة 1920 مقتبسة من كتاب (ثورة تلعفر 1920 للأستاذ قحطان احمد عبوش

أسباب الثورة

ذكر المؤرخون أبرز الاسباب التي ادّت الى وقوع احداث سنة 1920 في تلعفر :

1- الدافع الديني بدفع العدو عن أرض الوطن، فقد أصدر علماء الإسلام عامة فتاوى بوجوب الجهاد على المسلمين وفي هذا الشأن يجب أن يذكر دور رجال الدين في تلعفر في إثارة النفوس على المحتلين ومنهم السيد أحمد فخري أفندي الديوجي الذي كان قاضياً شرعياً في تلعفر بين سنتي (1926-1919م) والعالم الفاضل محمد سعيد بن محمد أفندي آل محمد الجلبي (توفي 1948 م) إمام وخطيب جامع القلعة، الذي كان يحث الناس في احاديثه وخطبه على العمل في سبيل دينهم ووطنهم ... وكان دائم الاجتماع برؤوساء البلدة داعياً ومؤيداً الثورة على الانكليز [271]

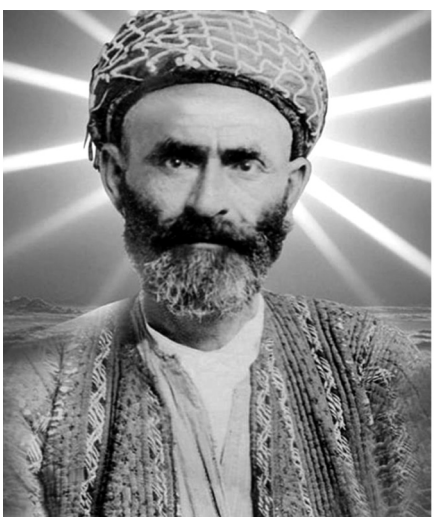

الشيخ العلامة محمد سعيد افندى

2- الدافع القومي الذي تمثل بإنشاء الجمعيات من قبل التركمان والعرب في الموصل، والتي لعبت دوراً كبيراً في الإعداد الفكري للثورة على المحتلين، فقد تشكلت في سورية بعد الحرب العالمية الاولى حكومة محلية من قبل المواطنين تتحرك بوازع من الشعور القومي

وكان لجمعيتي (العهد) و(العلم) المؤسستين في دمشق ولفروعهما في حلب ودير الزور والموصل دور كبير في تثقيف المواطنين واعدادهم نفسيا للثورة على المحتلين، وقد اتحدت هاتان الجمعيتان فيما بعد واتخذت لنفسها اسما هو (جمعية العهد العراقي)، وكان الامين العام لهذه الجمعية شخص من اهالي تلعفر هو السيد ضياء الدين يونس صالح احد ابناء عشيرة علي الدولة في تلعفر [272]

3- الحركات المسلحة العديدة التي وقعت في مختلف أنحاء العالم العربي كتحرير رمضان شلاش دير الزور (القريبة من تلعفر) من الاحتلال الإنكليزي في 11 / 12 / 1919م بمساعدة الضباط العراقيين، وقيام ثورات كردية في بداية آذار سنة 1919م في كوردستان العراق[273]

4- سوء الإدارة العسكرية وتعسف الحكام السياسيين وتمييزهم في معاملاتهم بين

271 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص37
272 حبيب الهرمزي، المصدر السابق، ص19
273 الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، ص146

فرد وآخر، وفرضها ضرائب كبيرة تثقل كاهلهم وتحصيلها تلك الضرائب بالقوة وباستعمال وسائل التعذيب الجسدي[274]

هذه الاسباب في مجملها صحيحة، لكن المهتمين بتوثيق تلك الحقبة تغافلوا عن اهم سبب حرك الجماهير لرفع السلاح على سلطات الاحتلال، ألا وهو روح البداوة والشغب المتجذر في سجايا الشعب العراقي وميله الى العنف والثأر عندما يرى كرامته تنتهك لا سيما من الغرباء، ويرى البعض من علماء الاجتماع، ومنهم العلامة علي الوردي، أن الشعب العراقي كان في حالة ثورة دائمة على الحكومات المتعاقبة طوال التاريخ، وخاصة خلال الحكم العثماني الذي دام نحو أربعة قرون، وأن ثورة العشرين على الاحتلال البريطاني كانت واحدة من تلك الثورات، ولكنها اختلفت عن سابقاتها في كونها ضمت عدداً كبيراً من العشائر العراقية ورجال الدين، ولم تكن تلعفر استثناءاً من تلك القاعدة

كما لا ننسى أن بعض رؤساء العشائر (خاصة العربية منها) إلتحقوا بالثورة من أجل الغنائم والسمعة (سنرى ذلك لاحقاً بوضوح)، وآخرون انتموا إليها مرغمين تحت تأثير ضغط الرأي العام، إذ هم يخشون أن تلصق بهم تهمة (الكفر) من قبل الجماهير[275]

واخطر ما في الامر ان من سمّوا بـ (الضباط القوميين العراقيين) الذين حرّكوا الاحداث، ربما كانت لهم مصالح شخصية ومغامرات غير محسوبة ومن ضمنهم جميل المدفعي رأس الحربة في تحريك احداث سنة 1920 في تلعفر

يقول وميض عمر نظمي نقلاً عن وثيقة بريطانية: « إن الضباط القوميين في جمعية العهد الذين كانوا يقيمون في الشام، بعد فشل الثورة العربية (بقيادة الشريف حسين)، تطوعوا بإمرة القوات البريطانية لمقاتلة الثوار في الفرات الأوسط، فأوعزوا إلى أحد أعضاء الجمعية وهو ثابت عبد النور (مسيحي من الموصل) للاتصال بوزارة الخارجية البريطانية، عارضاً عليها « إن جمعية العهد يمكن أن تقدم مساعدة قيمة للإنكليز في تهدئة الأوضاع ما بين النهرين »، ومع ذلك وبالرغم من اللحظات الدقيقة التي كانت تمر بها السلطات البريطانية في العراق، فقد رفضت هذا العرض

وكان رأي ولسن وكيل الحاكم الملكي البريطاني في العراق « أن هؤلاء السادة (الضباط العراقيين) يرغبون في جذب انتباه الحكومة البريطانية إلى أنفسهم، بأمل أن تؤدي تهدئة الوضع الراهن في الفرات، إلى حصولهم على مناصب جديدة، في ظل الإدارة العراقية »، ويضيف: « وكان نوري السعيد قد كتب في الأول من أيلول سنة 1920 م خلال الثورة، انه يضع نفسه للمرة الثانية تحت تصرف المندوب السامي[276] ‘‘

274 حبيب الهرمزي، المصدر السابق، ص20

275 وميض عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية، ص 159 عن وثيقة بريطانية (شبكة الانترنيت)

276 الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، ص343 وما بعدها

بدء العمليات العسكرية

بدأت العمليات العسكرية يوم الـ 3 من حزيران 1920 الموافق الـ 16 رمضان سنة 1339هـ وجاء اختيار التوقيت متفقاً مع قلة الجنود الإنكليز ووفرة الاسلحة لدى الاهالي واستجابة جميل المدفعي لرغبة الثوار في التعاون لإشعال الثورة وتقديم العدة والعدد لهم

وكان الموسم موسم حصاد، ورغم انشغال القرويين بالحصاد فانهم تقلدوا اسلحتهم والتحقوا بالثوار، وبدأت العمليات المسلحة بالهجوم على القلعة التي كانت قوات الاحتلال متمركزة فيها بعد ان قطع الثوار خطوط التلغراف التي كانت تؤمّن الاتصالات بين تلعفر وبين الموصل وفي عدة مواضع، وادى انقطاع خطوط التلغراف الى تأخر وصول الامدادات العسكرية من القوات الانكليزية الى الحامية في تلعفر[277]

بعد ان تمّ الاستيلاء على القلعة ارتكبت قيادة الثورة خطأ ستراتيجياً فادحاً ادّى فيما بعد الى تقويض مصداقية الثورة ووضعها في قائمة المخادعة، مستغلة سذاجة الاهالي وعاطفتهم الدينية عندما اوهموهم ان الامير زيد بن الشريف الحسين سيكون في مقدمة الثوار القادمين الى تلعفر، والحقيقة ان ضابطاً يدعى حسني عمر كركوكلي هو الذي تقمّص دور الامير زيد بعد ان ألبسوه ملابس عربية وعقالاً، وقد صدّقه بعض التلعفريين المغرر بهم الذين استقبلوهم مهللين مستبشرين قائلين: ((مكة قوخسه گـالي، بيغمبر قوخسه گـالي))[278]

أبرز أسباب فشل ثورة 1920 في تلعفر

1- قصور كبير في خطط قادة الحركة ونظرتهم الى الواقع آنذاك وحاولوا تغطية الامر بأسلوب الخداع الذي استعمله قادة الحركة تجاه سكان تلعفر (اشرنا الى ذلك سابقاً)، وهو الاسلوب الذي اجهض الثورة حتى قبل ان تبدأ لأنها فقدت مصداقيتها وروحها المعنوية، واذا كنّا نستسيغ سذاجة الثوار وحماسة العشائر التي اكتشفت الامر بعد فوات الاوان وصاروا يتندرون بالمنسحبين ويستهزئون بهم قائلين بعفوية تشوبها الحسرة: ((مكة پوخلاره گـالي)) فإننا لن نغفر لمن خطط ونفّذ هذه التمثيلية البائسة، وهم الذين تصدروا المشهد السياسي والعسكري في العراق بعد احداث سنة 1920

وبهذا الصدد يعترف محمد رؤوف الغلامي معتمد جمعية العهد في الموصل بهذا التقصير فيقول في رسالة الى المركز العام للحزب: ان قوة الثوار كانت اكثر من قوة الانكليز، ولكن كانت تعوزها المدافع، وقد كان من الواجب ان تزود الحملة بالسلاح الكافي قبل مجيئها الى تلعفر لكي لا تؤدي الى الاضرار التي وقعت [279]

277 حبيب الهرمزي، المصدر السابق، ص20
278 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص247
279 الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، ص169 - 170

2- العشائر التي لم يكن لها همّ سوى السلب والنهب الذي اعتادوه طوال حياتهم، وهو ما ذكره جميل المدفعي في نهاية رسالته الى فرع جمعية العهد في الموصل صراحة بقوله: ((أما عشائر شمّر والجبور والگرگرية وغيرهم فمع كل الأسف كانوا قد إلتهوا بالغنائم وبيعها وايصالها لبيوتهم()[280]

وذكر الاستاذ قحطان عبوش في كتابه (ثورة تلعفر 1920 ...) هذه الواقعة بعد الاستيلاء على القلعة والتي قد تدل على النوايا الحقيقية للجماهير الثائرة :

بعد انشغال الناس بنهب دور الحكومة في القلعة، توجّهوا الى البناية التي فيها الخزينة البريطانية واحتدم النزاع بينهم حولها، فكان كل واحد يريد اخذها لنفسه، وقد وقف على الباب كل من سيد سليمان آغا بن سيد وهب وعزيز عزير آغا ودبو مجدل وحمو الحاج صالح، وتراءى الخطر من هذا النزاع الذي قد يؤدي الى مذبحة بسبب التسابق للكسب والاستيلاء على النقود

ويقول عبد الحميد الدبوني: وكانت الجماهير قد كسرت باب الغرفة التي فيها الخزينة (150 ليرة ذهبية)، فتمكنتُ بشق الانفس من منع الدخول إليها [281]

كما ان النصر الذي ناله الثوار في تلعفر جعل كثيراً من عشائر المنطقة ينضمون الى الثورة تباعاً، واخذ فريق منهم يهاجم القوافل والمخازن الانكليزية، وفريق آخر اخذ يهاجم القرى الايزيدية والمسيحية، وقد ادّى ذلك الى تكاثر الغنائم لدى العشائر الثائرة، الامر الذي شجع عشائر اخرى على الانضمام الى الثورة[282]

وتقول المس بيل عن سبب انضمام شيخ عشيرة شمّر الى الثورة: ان لـچمن كان قد وجّه الاهانة الى عجيل الياور شيخ شمرّ، مما دفع الشيخ عجيل الى ان ينضم الى الثورة على الانكليز بعد ان كان موالياً لهم، وتقول ايضا في توكيد هذا المعنى ان عجيل الياور زارها بعد سنة من ثورة العشرين عدة مرات، وقد سألته ذات مرة عن السبب الذي جعله ينضم الى الثورة، فكان جوابه: ان السبب هو إهانة لـچمن له، حتى انه منعه من الكلام ذات مرة وشبهه بالنساء[283]

3- توقيت العمليات العسكرية لم يكن مناسباً فلم تراعَ فيه الظروف المناخية والاجتماعية والدينية والاقتصادية لتلعفر، اذ انطلقت العمليات العسكرية في صيفٍ لاهب والناس يؤدون فريضة الصيام اضافة الى ذلك أنهم كانوا متفرقين هنا وهناك في القرى والمزارع بسبب انشغالهم بموسم الحصاد

4- يرى البعض أنه كان بإمكان أهالي الموصل والحركة الوطنية فيها القيام بحركة

280 المصدر السابق، ص169
281 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص222
282 الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، ص163 - 164
283 المصدر السابق، ص32

تشغل المحتلين داخل الموصل وتوجه الأنظار إليها، مما يعني غياب التنسيق في ابسط صوره بين الثائرين في تلعفر واقرب مدينة إليهم من النواحي الجغرافية والعقائدية والاجتماعية، الامر الذي ادّى الى فشل ثورة تلعفر

إجمالاً يمكن القول إن سبب فشل ثورة الـ (قاچا قاج) في تلعفر، يكمن في غياب الوعي العام الديني والوطني والعسكري والسياسي والاجتماعي عن شيوخ العشائر في تلعفروجمهور الناس مما سهل على المغامرين قيادتهم وتوجيههم كيفما شاؤوا، لقد استغل الضباط القوميون حماسة التلعفريين الدينية وشجاعتهم التي يضرب بها الامثال ابشع استغلال، وتخلوا عنهم بأنانية واضحة واستهتار صريح بتضحياتهم الجسيمة غير مكترثين بما سيصيبهم بعد ذلك من بطش الانكليز واعوانهم في انفسهم واموالهم وممتلكاتهم

تأمل معي هذه الرواية التي تبيّن مدى استهتار جميل المدفعي بأرواح التلعفريين:

تحركت قوات الحملة الاساسية والقوات العشائرية التي جاوزت اعدادها اثني عشر ألف رجل من المشاة والخيالة صباح يوم 7 حزيران باتجاه الموصل لإنقاذها من يد الانكليز، وكانت الاعلام العربية ترفرف فوق رؤوسهم

فبالاضافة الى علم الحملة كان كل من سيد سليمان آغا سيد وهب وسيد زين العابدين بن سيد اسماعيل (گدحي) يحملان اعلام الثورة التي التي ناولها اياهم القائد المدفعي، وكان مكتوبا في اللون الابيض من كل منها عبارة (استقلال العراق او الموت)، وكان العالم الديني محمد سعيد افندي يحمل علماً ابيض اللون ومعه جمع من رجال الدين وهم يحثون الثوار على الجهاد في سبيل الله، كما كان عبدالرزاق الراوي يحمل علماً اخضر اللون ومعه اتباعه من قرية (الگولات) الذين إلتحقوا بالثوار في تلعفر ...

وقد سبقت سير هذه القوات فرقة كشفية لمعرفة قوة العدو وكانت بقيادة الرئيس جميل خليل افندى والملازم محمد علي الحاج حسين النعلبند، ومعهم افراد درك تلعفر مع حوالي مائة من الخيالة التلعفريين، (اما جميل المدفعي فقد كان مع ضباطه والقوات النظامية والعربات يسيرون في المؤخرة ببطء شديد) ... [284]

هنا يحق لنا ان نسأل:

ألم يكن المدفعي يعرف خطورة قيامه بهجوم غير محسوب على الموصل، خاصة انه سيقارع اقوى قوة عسكرية عالمية في ذلك الوقت ؟ هل كان بوسع العشائر صنع اي نوع من انواع التكافؤ بينها وبين القوات الانكليزية المرابطة في الموصل ؟ هل كانت قوة المدفعي والعشائر تملك طائرة او مدفع او حتى اسلحة متوسطة ؟

واخيرا ... لماذا يسير جميل المدفعي الذي كان يسمي نفسه (قائد الجيش العراقي الشمالي) مع ضباطه وقواته النظامية في مؤخرة العشائر ؟ هل كانت حياته وحياة ضباطه اغلى من حياة شيوخ وعلماء ووجهاء تلعفر واهاليها ؟ ام انه كان على يقين

284 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص282

تام - بحكم خبرته العسكرية - من عدم جدوى الصدام مع الانكليز وان الهزيمة واقعة لا محالة بالعشائر، فآثر المسير خلف الحملة ليتيسر له سبيل الهروب قبل الجميع ؟

تقول الوقائع ان جميل المدفعي لما شاهد وقوع الهزيمة بقوات العشائر التلعفرية (أسرع من جانبه الى الانسحاب مع قواته النظامية دون ان يباشر اي قتال)، واخذ يحثّ السير بإتجاه دير الزور، وحينما اقترب من تلعفر أرسل إليها عبد الحميد الدبوني مع مفرزة من الجنود لإنزال العلم العربي من فوق السراي وإحراق مركز القيادة والسيارات الباقية [285]

لمـاذا سمّيت احداث سنة 1920 بـ (قاچا قاچ) ؟

يذكر الدكتور علي الوردي هذه الواقعة ملمّحاً من خلالها الى تسمية احداث سنة 1920 في تلعفر بـ (قاچا قاچ)[286]، وملخصها:

ان الثوار عندما إلتقوا مع جنود الاحتلال البريطاني في موقعة ابو كدور[287]، وبسبب انعدام التكافؤ بين الطرفين مع وجود المدافع والطائرات والاسلحة المتطورة لدا قوات الاحتلال، واقتصار اسلحة الثوار على البنادق البدائية القديمة، وبعضهم كان لا يملك سوى السيوف والخناجر، اضطرت العشائر الى الانسحاب من ارض المعركة وهم يصيحون بالتركية (قاچا قاچ) اي انهزم انهزم [288]

ومع تقديرنا العالي لجهود الدكتور علي الوردي في تفسير هذه الوقائع، فإن لنا ملاحظات مغايرة لما ذهب إليه في هذه الرواية مع اننا لا نشك فيها، فقد وقعت بالفعل وهناك كتب اخرى تطرقت إليها[289]

لقد اختزل الدكتور الوردي عبارة (قاچا قاچ) بترجمتها الحرفية الى اللغة العربية: (اهرب اهرب) او بلغة العامّة: (انهزم انهزم)، وهي ترجمة لا شكّ في صحتها عموماً، لكن المصطلح عند التلعفريين قد تجاوز ميدان المعركة التي وقعت في ابو كدّور لتتحوّل الى حالة اجتماعية وثقافية فريدة من نوعها، والى تأريخ حُفر عميقاً في ذاكرة الاجيال

285 الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، ص165

286 عبارة (قاچا قاچ) من الناحية اللغوية ليست فعلاً بمعنى (اهرب) بل هي مصدر بمعنى الهروب، وكثرة تداول هذا الحدث من قبل كبار السن كان بسبب هول المشاهد وقسوتها في ذلك الوقت بإعتباره حدثاً فريداً لم يعهدوه من قبل

287 قرية تقع على مسافة (40 - 50) كيلومتر تقريباً جنوب شرق تلعفر

288 الدكتور علي الوردي، المصدر السابق، ص164

289 راجع: قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص290 وما بعدها والذي يقول في معرض كلامه عن انسحاب العشائر من ميدان المعركة: وسمعت اصوات خلال المعركة تدعو الى الهرب، فتراجع الناس الى الوراء ... مع تأكيده في مواضع اخرى على ثبات رؤوساء العشائر التلعفرية وشيوخها في ارض المعركة ومحاولاتهم الجريئة واليائسة في التصدي لقوات الاحتلال

التلعفرية، بل ان الموروث الشعبي في تلعفر يكاد يضع هذه الحالة في قمة اولوياته وصارت مضرباً للأمثال والحكم والمواعظ

لقد اخلى سكان تلعفر بلدتهم يوم الـ 8 حزيران 1920 م بصورة شبه تامة خوفاً من بطش الانكليز وباتوا في العراء في مرتفعات قره چوخ[290] او في القرى المجاورة في احسن الاحوال الليالي والشهور ذات العدد، وعندما عادوا الى المدينة وجدوا دماراً كبيراً في الاموال والممتلكات العامة والخاصة[291]، بل ان سلطات الاحتلال عمدت الى اعتقال من اشتبه بهم من العائدين او قتلهم او ملاحقتهم حتى ان الكثير منهم غادروا تلعفر منذ ذلك التاريخ ولم يعودوا إليها حتى الآن متجاوزين مرحلة النزوح المؤقت الى مرحلة ما يسمّى بـ (الشتات) في تاريخ تلعفر الحديث

فقد ذهب هؤلاء بعيداً وهاجروا خارج القطر العراقي واستقروا في سورية او تركيا او بلاد البلقان وتزوجوا هناك، وبالتالي اصبحت لهم امتداداتهم الاسرية في تلك البلاد، ومصالحهم الخاصة صارت أولى بالرعاية من العودة ثانية الى تلعفر، حتى بعد انتهاء الاحتلال البريطاني ودخول البلاد تحت الحكم المحلي الملكي

اما فيما يخصّ الدكتور علي الوردي فإن عذره يكمن في كونه عالم اجتماع وليس مؤرخاً بالاضافة الى عدم إحاطته باللغة التركية المتداولة في تلعفر واعتماده على ترجمة غير دقيقة للمصطلحات التركية المنتشرة بين سكانها، كذلك عدم إلمامه بصورة عامة بطبيعة المجتمع في شمال العراق والذي اكّده هو بنفسه في مؤلفات اخرى ومجتمع تلعفر بصورة خاصة

هل كانت الثورة في صالح تلعفر واهلها ؟

تعرضت مدينة تلعفر بعد الثورة الى تخريب شامل ومرعب، وتفرق الاهالي في كل حدب وصوب، ولم يتخلصوا من هول هذه الصدمة سنواتٍ عديدة، كما تعرض العديد منهم الى عمليات تعذيب جسدي ونفسي، وتم اعتقال وجوه المدينة ومثقفيها وتعذيبهم ونفي القسم الآخر منهم الى اماكن اخرى نائية

لقد وصل الامر الى حد التفكير الجدي بتدمير مدينة تلعفر تدميراً كلياً، يقول هولدن القائد العام للقوات البريطانية في العراق اثناء ثورة 1920 : اقترحوا عليّ ان تدمّر تلعفر تدميراً كلياً ... اذ بدون ذلك لا معنى لتسليم الموصل، اما تلعفر فعلمت انها نالت

290 قرة چوخ: سلسلة جبلية تقع شمال غرب قضاء تلعفر، على بعد 40 كم جنوب مدينة السويدية في القطر السوري، إلتجأت إليها العشائر والثوار بعد احداث سنة 1920 م هرباً من القصف الجوي والمدفعي ... راجع: نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص196

291 يتحدث الرواة من الاهالي عن 360 - 600 دار هدمت او احرقت او نهبت

جزاء ما نالت يداها وان مفرزة من الجند ارسلت إليها فعاد الهدوء والسكون فيها[292]

لكن تركيز المؤلفين عن هذه الاحداث بقي منصباً على بيان الآثار المادية وبيان حجم الخراب الظاهر في تلعفر سواء في الارواح ام الممتلكات، لكنهم غفلوا عن نقطة اساسية ومهمة لم يتطرق إليها احد من الكتبة او المؤلفين او الدارسين، تلك النقطة المتمثلة بضياع ارثٍ تأريخي كبير لسكان تلعفر ومحاولة الانكليز فصلهم عن اصولهم التركية العريقة

إن الانكليز بسياساتهم الرعناء المعادية لكل ما هو تركي الأصل قد احرقوا جميع المدونات والوثائق التي استولوا عليها في دور الزعماء والشيوخ والمثقفين او صادروها، كما فعلوا بدار المرحوم عباس افندى مؤرخ تلعفر الكبير[293]، اذ كان يحتفظ بجميع انساب سكان تلعفر وعشائرها في مدوّنته الخاصة

والمرحوم عباس افندى كان من نوادر المثقفين في عصره، فقد درس في المدرسة العثمانية في الموصل، واتصل خلال دراسته هناك بالاسرة الجليلية التي حكمت الموصل اكثر من قرن، ونشأت بينه وبين هذه الاسرة علاقة صداقة حميمة توثقت عراها بعدما اقام بين ظهرانيهم قرابة سنتين

استغل السيد عباس افندى هذه الفترة وهذه العلاقة فأتصل بالعديد من العلماء والكتاب واهل الانساب، كما اطلع على المدونات العثمانية الموجودة في (إيالت كتبخانه سى)[294] في الموصل فكان نتاج ذلك العمل الدؤوب تدوينه أنساب السكان في تلعفر وتوثيقها باللغة التركية العثمانية، وبقيت هذه المدونة النفيسة محفوظة عنده في خزانة كتبه حتى وقعت في يد الانكليز واتباعهم فأحرقوها

كما احرق الانكليز وعملاؤهم جميع الوثائق النفيسة والمدونات الثمينة والمخطوطات النادرة التي استولوا عليها في دار العلامة محمد سعيد افندى الـچلبي امام وخطيب الجامع الكبير، اضافة الى إحراقهم اية مكتبة وجدوها في اي بيت من بيوت التلعفريين

وامتدت يد الانكليز الى سجلات التسجيل العقاري (الطابو) وسجلات النفوس والمالية لسكان تلعفر، والتي كان قد اودعها القائممقام العثماني محي الدين بيك في دار السيد عبد الرحمن بن عثمان افندى، فأتلفوها واحرقوها، بل ان داره نفسها لم تسلم من ايديهم فنسفوها نسفاً، ثم فرض الانكليز عليه الاقامة الجبرية حتى يوم وفاته [295]

ولم يقف الأمر عند حد معاقبة اهالي تلعفر في تلك الفترة، اذ ان المدينة عوملت بإهمال تام من لدن الحكومات المتعاقبة سواء في العهد الملكي ام في العهد الجمهوري، ودفعت المدينة ضريبة باهضة بعد خمس حملات متعاقبة لتعريب أنسابها وتغيير

292 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص326
293 هو ابن عم الحاج عبد الرحمن بن عثمان افندى بير نزار احد زعماء الثورة
294 اي مكتبة الولاية
295 الاستاذ فؤاد الافندي

ديموغرافيتها، وكأنّ ذلك اهمالاً متعمداً بل وكأنها عقوبة فرضت على المدينة بسبب ما اقدمت عليه، اذ لم تنفذ أية مشاريع اعمار او مشاريع زراعية او صناعية ذات قيمة في المدينة وكأن القدر قد حكم عليها برفعها من خارطة العراق

تلعفر قبيل الحكم الملكي

بعد اخماد الثورة واستباحة المدينة ونهبها وعودة الهدوء إليها، سمحت سلطات الاحتلال بعودة الأهالي والثوار الذين نزحوا عن تلعفر الى الاماكن والقرى المجاورة لها، حتى اولئك الذين التجأوا الى الى مرتفعات قرة چوخ والحدود التركية سمح لهم بالعودة أيضاً، وكان الكابتن بيفرس هو الذي يشغل منصب معاون الحاكم السياسي في تلعفر آنذاك

وبعد إعلان النظام الاداري الجديد في العراق، والذي قسّم العراق بموجبه الى (10) ألوية و (34) قضاءً و (84) ناحيةً، بقيت تلعفر - كما في اواخر الحكم العثماني - احد اقضية لواء الموصل السبعة [296]

مكث الكابتن بيفرس في تلعفر حتى يوم الـ 9 أيار 1921 م، وهو التاريخ الذي شهد تعيين اول قائممقام عراقي في قضاء تلعفر، وقد شغل هذا المنصب السيد إبراهيم بكر افندي[297]، والذي بقي فيه حتى قيام الحكم الملكي في العراق

296 كانت اقضية لواء الموصل هي: الموصل، العمادية، عقرة، دهوك، زاخو، سنجار، وتلعفر

297 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص30

تلعفر في مستهل القرن العشرين الميلادي

تلعفر في مستهل القرن العشرين الميلادي

مظاهر الحياة الاجتماعية

لصعوبة الحصول على تفاصيل الحياة الاجتماعية في مدينة تلعفر خلال العهود التاريخية السابقة، فإن كلامنا سيقتصر في هذا الخصوص على السنوات الاخيرة من الحكم العثماني للعراق، معتمدين على الروايات الشفوية المتواترة التي وصلت إلينا من طريق المعمرين والشيوخ ومثقفي المدينة، ذلك لأن جهود المؤرخين كانت تصب بالدرجة الاساس على ذكر التفاصيل المتعلقة بالمدن الكبرى عبر التأريخ، بينما كان مصير المدن الصغيرة الاهمال الاّ بقدر تعلق الامر بالمدن الكبيرة ذات الصيت الواسع في التاريخ

العلاقات الاجتماعية

إن مجتمع تلعفر عموماً مجتمع قبلي عشائري لا يختلف في جوهره عن المجتمع العربي المحيط به رغم انه ورث العديد من عادات وتقاليد المجتمعات التركمانية القاطنة في وسط آسيا والتي هاجر قسم منها الى العراق في فترات زمنية متفاوتة، وهي في مجملها تتشابه مع تقاليد وعادات المجتمعات العربية والاسلامية

فالكرم والنخوة والمروءة واغاثة الملهوف ... الخ كلها صفات تكاد تكون مشتركة بين جميع القبائل والعشائر العراقية على اختلاف اسمائها وعناوينها القومية والدينية والمذهبية، لذلك ليس من العجب والغرابة ان نرى عبر التاريخ ان علاقات سكان تلعفر ظلت علاقات ودية مع جيرانهم العرب الى حد ما

الجـار الجديد

يغلب على محلات مدينة تلعفر القديمة الطابع العشائري، بمعنى آخر ان كل عشيرة وربما عشيرتين اختصت بالسكن في محلة بعينها قبل قدوم الآخرين إليها، ومن ثم اكتسبت المحلة اسم اول عشيرة سكنت فيها، لكن ذلك لا يعني انفرادها بالسكن لوحدها، فقد حتّمت الظروف عليها استقبال عشائر اخرى تشاركها السكنى

كانت المدينة حتى وقت قريب تحتفل بالجار الجديد في كل محلة من خلال طقوس جميلة ولطيفة تدل على تمام الالفة وحُسن المعاشرة بين الناس، فإذا انتقلت اسرة للسكن في محلة جديدة فمن واجب الجيران تكريم الجار الجديد بارسال (خبر) مفاده ان غذاءك سيكونٍ من بيت فلان وعشاءك من بيت علاّن، ولا يمنع ذلك ان تكون الاسرة الجديدة ضيفاً في احد بيوت الجيران الجدد، والغرض من ذلك عدة امور:

1- اتاحة الفرصة للاسرة الجديدة من اجل ترتيب البيت وفرشه وتنظيفه
2- ان سيدة البيت الجديد تكون مرهقة، ولا يتيسّر لها وقت لإعداد الطعام
3- هذه العادة توطّد اسباب التعارف الذي لابد منها بين الجيران، وقد تتطوّر العلاقة الى ابعد من مجرد التعارف حينما تنشأ علاقات المصاهرة بينهم

وهكذا تبقى الأسرة الجديدة مدة اسبوع او اكثر والجيران يتناوبون في ارسال (صواني) الغداء او العشاء الحافلة بكل ما لذ وطاب

الزواج

مقدّمات الزواج او الخطبة (نشنّه ماغ):

لم يعرف التلعفريون الخطبة بمفهومها المتعارف عليه اليوم بسبب تمسكهم الشديد بعاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها جيلاً بعد جيل التي كانت تحتم على الطرفين القبول بالخطبة ومن ثم الزواج حتى ان لم تحدث الرؤية الشرعية بينهما لأسباب عديدة منها: ان المخطوبين غالباً ما يكونان من اسرة واحدة (اولاد عمومـة او خـؤولة او من عشيرة واحدة) ونادراً ما كان الشاب يفكر بالاقتران من فتاة خارج نطاق الاسرة او العشيرة لأسباب تتعلق بنوعية التفكير المتجذر في عقلية المجتمع التلعفري، وهي الاسباب ذاتها التي كانت تمنع رؤية الشاب للفتاة في مرحلة الخطبة، فالعيب كان الحكم الفيصل هنا ولم يكن احد يجرؤ ان يبيّن وجهة نظر الشريعة الاسلامية في مجتمع غارق بالجهل

ومنها ان الخطبة كانت غالباً ما تحدث دون رضا الطرفين بل ودون علمهما احياناً، اذ يكفي موافقة اولياء الامور لتتم العملية وينتهي كل شيء، وكثيراً ما كان يحدث ان الزوجين يكون لقاؤهما الاول في الحياة في ليلة الدخلة

وجود ظاهرة سيئة في مجتمع تلعفر وهي المعروفة بـ(التسمية) منذ الصغر أي ان فلانة لفلان، عندما كانت المرأة تُمتهن وتُمنح هدية شاءت ام أبت، وهي الظاهرة التي زعزعت الكثير من الإسر فيما بعد، كما شاع في هذه الفترة من تاريخ تلعفر نوع من الزواج المحرّم شرعاً وهو زواج الشغار او البدائل (داگوشوغ) الذي يتفق بموجبه اهل الطرفين بالقيام بتكاليف الزواج بصورة متساوية بينهما إذ لا وجود للمهر في هذا النوع من الزواج، وبعد ان يقع الاختيار على فتاة بعينها تبدأ الوفود النسائية بجولاتها المكوكية لتحديد مقدار المهر المعجّل والمؤخّر ويوم الزفاف وعند إتفاق الطرفين يقوم اهل الشاب بما يلي:

1- إرسال المهر او جزءٍ منه الى اهل العروس بواسطة شخص مؤتمن موثوق فيه وغالباً ما يكون من الاقرباء، مع الاشارة ان جزءً رمزياً من مهر العروس يُخصّص لأخوالها وهو ما يسمى بالـ (خَـلَط او الخـلات) عندما تتزوج الفتاة من خارج عشيرتها، يدفعه اهل الشاب عُرفاً، وهو تقليد غريب مخالف لأحكام الشريعة الاسلامية علاوة انه يثقل كاهل الشاب بلا طائل، وكان المهر في الغالب يدفع على هيئة مال او نقود الى اهل العروس، وربما اتفق الطرفان ان يكون المهر مجموعة من رؤوس الاغنام مثلاً او حصاناً من اجود الخيول

2- إرسال مجموعة من الهدايا والملابس الى العروس (كحل، غطاء الرأس، مرآة صغيرة، ثوب خاص ترتديه العروس بعد عقد القران) تسمى بلهجة تلعفر (ده رالخ) وهي مهمة اقرباء الخطيب ايضاً

3- في نهاية مراسيم الخطبة يبعث الخطيب بوفد رجالي مصغّر مؤلّف من اقربائه وربما جيرانه المقرّبين الى بيت اهل العروس ليضعوا البصمات النهائية للزواج حاملين معهم الحلوى الذي يتم تناوله بعد الاتفاق النهائي، وبذلك يتم الاعلان رسمياً عن الخطوبة ويعلن الشاب عن خطوبته بتوزيع الـ(شرنّك) على الاقرباء والجيران والاصدقاء، وغالباً ما كانت المادة التي تصنع من الشرنّك - في ذلك العهد - عبارة عن سكر محشو بالحمص (نوختلى شَكَر) او حلوى على هيئة اصابع صغيرة [298]

التحضير ليوم الزفاف:

تقع على عاتق الشاب واهله المسؤولية كلها - تقريباً - في التحضير ليوم الزفاف وهي:

1- إرسال ما يسمى بـ (طويلخ) قبل يوم واحد من موعد الزفاف الى بيت العروس، اذ تقوم قريبات الشاب بحمل الحبوب والحنّاء ورأس غنم وكيس ملح وكيس من الحلوى الى بيت العروس وتوجيه دعوة لأسرتها لحضور الزفاف، ولكن ما جرى به العرف في تلعفر ان اسرة العروس لا تكون حاضرة يوم الزفاف لأسباب غير معروفة

2- إرسال ثياب العرس (الجـهاز) التي تكون ثياباً جديدة مزركشة برّاقة ومحتشمة في الوقت ذاته، مع غطاء الوجه المسمى (آبرى او هبري)، اذ لم يعرف سكان تلعفر فستان الزفاف الابيض الى وقت قريب، والذي وفد الى مجتمعنا مع موجات التغيير المتعاقبة

3- شراء كل ما يلزم استعداداً ليوم الزفاف، والمعروف عند التلعفريين ان اقرباء الشاب وجيرانه يمدّون له يد المساعدة لتجهيز لوازم العرس وغالباً ما تكون على شكل مواد غذائية عينية في صورة تبيّن التكاتف والتعاون والتكافل الاجتماعي الذي كان سائداً في مجتمع تلعفر

4- توجيه الدعوة الى الاقرباء والجيران والاصدقاء لحضور وليمة العرس ومشاركة الشاب واهل بيته فرحتهم، وفي ليلة الزفاف تصبغ ايادي الاطفال وخاصة الفتيات واحدى اصابع الشاب اليمنى بالحنّاء، وهو تقليد درج عليه الاهالي منذ ازمان بعيدة، اما العروس فتضع الحنّاء على كلتا يديها في تلك الليلة، وتسمى هذه الليلة بـ (ليلة الحنّة) سواءً استعملها العروسان ام لا

تبدأ تحضيرات يوم الزفاف مع انبثاق الفجر، اذ يقوم اقرباء وقريبات الشاب بإعداد الوليمة لتكون جاهزة مع وقت الظهيرة وهو الوقت الذي اعتاده التلعفريون، ولا بدّ من وجود الشوربة (طوي شورباسى) لتكتمل اركان الوليمة وغالباً ما تتكون من الحبية (كشكا) والحمص والفاصوليا والبصل مع قطع اللحم وتوزع في صحون كبيرة

تَـعد الدبكة (هَلاي) اكثر صور الفرح المعبّرة لطقوس يوم الزفاف مصحوبة بالاغاني الشعبية التراثية والاهازيج (ربما كانت - كه ربوزا - اكثرها شهرة) والدبكة

298 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

انواع اشهرها: نورمالى و الچوبي وقد تستمر اياماً وليالٍ حسب التقاليد القبلية

هنالك مراسيم في غاية الغرابة، اذ تجري منازعات (يشماغ العريس) بين العزّاب من جهة والمتزوجين من جهة اخرى في الحفل، كل جماعة تحاول ان تستأثر به، فيقوم المتزوجون من اصدقاء العريس بسرقة اليشماغ بينما يحاول اصدقاؤه العزاب حمايته، وغالباً ما تنتهي هذه المطاردة بوصول اليشماغ الى بيت العروس التي تقوم باستبداله بغطاء رأسها

كما ان هناك مراسيم اخرى غريبة وطريفة في الوقت ذاته، بطلها العريس الذي يختفي عن الانظار هارباً يوم الزفاف، عندها تبدأ رحلة البحث عنه من قبل مجموعة من الشبّان كل واحد يريد ان يجد العريس الهارب ليعيده، واثناء رحلة البحث كان العريس يرمي بيشماغه او اي شيء يدل عليه على قارعة الطريق دلالة على قربه من المكان، وغالباً ما تنتهي هذه المطاردة الممتعة بعودته الى مكانه الطبيعي في الحفل لتبدأ مراسيم اخرى[299]

كوره كان دورماغى .. هي الفقرة التالية المشوّقة في منهاج الحفل وهي التتويج الحقيقي لهذا اليوم البهيج، يقف العريس في مكان بارز ومكشوف من الحفل ويُربط على رقبته غترة او أُزر ثم يقوم اثنان من اقربائه بمسكه من طرفيه ليأتي الحضور فيضعون النقود فيه كل حسب ما تجود به يداه، ثم يقوم احد اقرباء العريس بجمع الغلّة والاحتفاظ بها حتى نهاية العرس ومن ثمّ تسليمها الى العريس

إحضار العروس:

اختلفت وسائل احضار العروس الى بيت الزوجية بإختلاف الازمان، فقد كانت البغال او الخيل واحياناً الجمال هي وسائل النقل السائدة قبل انتشار السيارات في تلعفر، وعند تجاور العروسين في السكن كان الامر لا يحتاج الاّ لمجرد الإنتقال من بيت الى آخر في نفس المحلة سيراً على الاقدام، مع التنويه ان مصاحبة الشاب لعروسه في رحلة الانتقال لم تظهر الاّ في ازمان متأخرة، والوقت المفضّل لإحضار العروس هو العصر دائماً

هنا تبرز حالة طريفة قبل خروج العروس من بيت اهلها، اذ يقف احد اقربائها على الباب محاولاً اغلاقه بشدة ويمنع اهل العريس من اصطحاب العروس إلاّ بعد ان يقوموا بدفع مبلغ من المال له ليتم اطلاق سراح العروس وهو ما يعرف بـ (قاپـى حقّى او قاپـلخ)

وحالما يصل موكب الزفاف الى بيت الزوجية تقوم ام الشاب العريس بكسر جرة فخارية امام العروس او رشّ الماء، اعتقاداً منها ان ذلك يبعد عيون الحسد، وهي عادة شعبية قديمة منتشرة في عموم العراق تقريباً، ويمارس الشباب رقصة السيف والدرع (قلج قه لخان) امام موكب العرس، وبمرور الايام استبدل السيف بالعصا والدرع بآنية او غطاء من خشب [300]

299 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب
300 يمامة العبيدي، المصدر السابق، ص217

وبعد ان تجلس العروس يضعون في حضنها طفلاً ويفضّل ان يكون ذكراً، لأن التلعفريين حسب مفهومهم القبلي يتفاءلون بالذكر ويفضّلونه على الانثى، تقوم العروس عندها بتقبيل الطفل واعطائه مبلغاً من المال

مع نهاية اليوم ينصرف الجميع ويبقى مع اهل الشاب - احيانا - شقيقات العروس للقيام بخدمتها والتخفيف من وحشة يومها الاول، وفي صباح اليوم التالي من الزفاف تقدّم وجبة دسمة من الفطور للعروسين

في اليوم الثالث من الزواج تجري مراسيم (البُخچة) بأن تأتي اسرة العروس وقريباتها بملابسها الموضوعة في صرة من قماش (بُخچة)، وتقدم لهم وجبة غداء مع مبلغ من المال، وفي اليوم السابع تزور العروس اهلها وتقضي معهم يوماً كاملاً، وفي الايام التالية يقوم الاقرباء بدعوة العروسين الى تناول الغداء او العشاء في ظاهرة جميلة وتقليد عريق يَظهر مدى الاهتمام والاحتفال والبهجة بهما

وعند ولادة اول مولود للأسرة الجديدة يعم الفرح والسرور والبهجة افرادها جميعاً، ويقوم الموسرون منهم بذبح الذبائح وتوزيعها على الاهل والأقارب والجيران والاصدقاء، وعند ظهور اول سن للطفل تصنع الاسرة من اجله اكلة الدشلك الشهيرة

الدشلك او السنية[301]

اكلة شعبية تعد من الموروثات الشعبية القديمة التي بقي التلعفريون متمسكين بها، اذ يقوم الاهل بطبخ هذه الاكلة عند ظهور اول سن للطفل تعبيراً عن البهجة والسرور واحتفاءً به، وتُعدّ الحنطة المكوّن الاساس للدشلك، تُضاف إليها البقوليات كالحمص والباقلاء والفاصوليا والعدس واللوبيا مع قطع اللحم، ويكاد ينفرد (الدشلك) التلعفري بإضافة مادة الى مكوناته تعرف محليا بـ (قوروط) وهو لبن غنم مجفف [302]

بعد اتمام طبخ الدشلك توضع في اوانٍ صغيرة ثم توزع على الاقارب والجيران وغالباً ما يقوم الاطفال بهذه المهمة، ومن محاسن الاعراف ان الجيران لا يرجعون الاواني فارغة بل يقومون بوضع النقود او البيض او اي نوع من الطعام وربما الهدايا كملابس الاطفال فيها باعتباره نوعاً من رد الجميل والود المتبادل

هنالك عادة عند بعض الاسر في تلعفر تعتبر من طقوس الدشلك المتممة وهي ان تقوم

301 لا تقتصر هذه العادة على تلعفر وحدها بل نجد ان المدن والقرى المجاورة لها سواء العربية منها او الكردية او التركمانية تشترك فيما بينها وتسمى عند العرب بـ (السليقة اوالسليجة) وعند الاكراد بـ (دانيك او دان كوت) ومعناها الحنطة المدقوقة، كما لاحظنا وجودها في بعض مدن وقرى الجمهورية التركية ويطلقون عليها نفس التسمية

302 يعرف في لهجة العرب الدارجة بالـچثي

والدة الطفل او جدته او اخته الكبرى او احدى قريباته بنثر بعض من حبات الحنطة المسلوقة على رأس الطفل وهي عادة عراقية قديمة ترمز الى الخير والنماء والعطاء والبركة

الـ (هولّـك) [303]

انفردت الام التلعفرية ومنذ امد بعيد بطريقة خاصة في التقليل من اتساخ ملابس الطفل الرضيع ومن ثم العمل على سهولة غسلها فيما بعد، قبل ظهور حفاظات الاطفال، هذه الطريقة تسمّى عندنا بـ (هولّـك)، وقد اخبرنا الاستاذ ازهر العبيدي الباحث في شؤون تراث الموصل، انه وجد هذه الطريقة في مدينة حلب السورية ويستخدمون فيها مادة يسمونها (البيلون) وهي شبيهة بطين خاوة بغداد حسب تعبيره

كانت الجدة او الام او اية امرأة في البيت تشدّ رحالها (وحدها او مع جمع من النسوة) الى براري تلعفر المحيطة بها والبعيدة نوعاً ما عن العمران، لتجمع التراب المخصص في عملية الهولّك، وهي تبتغي من وراء ذلك ضمان الحصول على تربة نظيفة نقية خالية من الاوساخ والشوائب - قدر المستطاع - وهي ما لاتتوفر في الاماكن القريبة من البيوت والعمران

كانت الام التلعفرية تفضل التربة الطينية التي تُصنع منها (الخاوة او الگيل)، شريطة ان تكون جافة غير رطبة او مبللة، وهذا النوع من التربة متوافر بكثرة في اطراف مدينة تلعفر

وبعد ان تجلب الام التراب الى البيت بواسطة كيس كبير (گونية) او صفيحة (تنكة) او ازميل (زامبل) حسب الامكانيات المتوفرة، تقوم بعملية غربلة التراب ضماناً لتنقيته اكثر فأكثر كي لا يحدث للرضيع اذىً، ثم تضع قطعاً من القماش بعد طيّه عدة مرات على قماط الرضيع بحيث يصبح تراب الهولّك فوق قطع القماش المطوي مباشرة ومن ثم تضع الرضيع فوق التراب لتلتصق مؤخرته تماماً بالتراب الذي كان يؤدي دور الحفاظات اليوم، ثم تكمل الام عملية التقميط (قوناخ) وتضع الرضيع في مهده لينام في هدوء وسكينة

وفي ايام الشتاء كانت الام تقوم بوضع كمية من الهولك في علبة من حديد (قوطية) وتضع العلبة على المدفأة الى ان تصل الى درجة الحرارة المطلوبة ومن ثم تضع الهولك تحت الطفل كي ينعم الى جانب النظافة بنوم هانئ لا يؤثر البرد فيه، وقبل القماط، كانت الام تضع كمية من التراب على جسم الطفل بدل البودرة واصل هذا التراب مأخوذ من التنور المحروق بعد طحنه بالهاون ناعماً ليقي الطفل من الالتهابات

303 هولّك: بلهجة جاغتاي معناها المرطّب، فكلمة (هول) معناها رطب، ولا وجود لهذه الكلمة في القواميس العثمانية الحديثة

الختان (سنات)

يطلق التلعفريون على عملية الختان او الطهور اسم (سْنات)، وهي مناسبة اخرى للإحتفال بالطفل ورفع شأنه امام الناس، علاوة الى كونها شعيرة من شعائر الاسلام، وتتم العملية وسط اجواء من الفرح والسرور مع وجبة دسمة للمدعوين، وقد يشارك الطفل في الختان اخوته او بنو عمومته او اقرباؤه فيكون الحفل جماعياً واكثر بهجة

وحسب العرف السائد في تلعفر يحمل شابان او اكثر من اقرباء الطفل قطعة كبيرة من القماش بحيث تغطي الموضع الذي تجري فيه عملية الختان، ويقومون بتحريك القطعة وهزها مراراً وتكراراً مع الاهازيج والاغاني الشعبية، اما الذي يحتضن الطفل ويقيد حركته اثناء الختان فغالباً ما تكون له منزلة وحظوة كبيرة لدى الطفل واهله مستقبلاً

المناسبات والاعياد الدينية

قدوم رمضان

يقيناً ان مجتمع تلعفر الذي يدين كله بالاسلام، كانت له طقوس خاصة للإحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك، كونه من الاشهر المقدسة لديهم والذي فرض فيه الصيام، لكننا لم نتوصل الى تلك الطرق التي كانوا يحتفلون بها خلال فترة الحكم العثماني، وكل ما وصل إلينا من مظاهر الاحتفال وطقوسه يغطي تلك الفترة التي تلت الحكم الملكي في العراق من بداية الاربعينيات وحتى اواخر السبعينيات من القرن الماضي [304]

طقوس العيدين (الفطر والاضحى)

عمل الكليچة (كولچة)

الكليچة نوع من الحلويات الشعبية المشهورة في المنطقة العربية، وخاصة في لبنان وسوريا والأردن السعودية وفلسطين والعراق، وهي من الموروثات التي وصلتنا من العصر العباسي، تعد هذه الحلوى من أهم حلويات العيد وتصنع عادة في البيوت في ليالي الاعياد، وتسمى في سوريا وبلاد الشام (معمول) وفي الخليج العربي والعراق تعرف باسم (الكليچة) اما في تلعفر فيسمونها (كولچه)

304 كان ابرز هذه المظاهر تحضير المواد الغذائية كالتين والرمان والسلق واللبن، اما التمر فكان للأغنياء فقط، اما طريقة اعلان وقت الافطار فكانت تتم برفع علم كبير فوق القلعة، اما ايقاظ الناس للسحور فكان منوطاً بالسيد محمد قصو واولاده عن طريق قرعهم للطبول وهم يتنقلون في ازقة تلعفر ومحلاتها (رواية الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب)

وبسبب الضائقة الاقتصادية لأغلب سكان تلعفر كانت الكليچة مقتصرة على التمر (خورماله كولچه) او السكر في احسن الاحوال، ولم تكن الانواع والاشكال الحالية موجودة او متيسرة، تقوم سيدة البيت بصنع خميرة الكليچة المتكونة من الطحين الصفر والزبد والحليب والخميرة (آجى خامر) والملح وبعد ان تقوم بعجنها تغطيها بقطعة قماش او سجاد حتى تختمر العجينة جيداً

في صورة اخرى من صور التألف والتكاتف الاجتماعي لمجتمع تلعفر، تستدعي المرأة التلعفرية قريباتها وجاراتها اللاتي يتطوعن للعمل معها جنباً الى جنب مع نسوة البيت مما يضيف جواً من المرح والسعادة والمودة بينهن

وعند الانتهاء من تهيئة الكليچة تقوم المرأة التلعفرية بمسحها بالبيض، وتستعمل في ذلك فرشاة صغيرة او يديها حسب المتوفر

تخبز في البيوت بواسطة التنور او الفرن البيتي وفي فترة الثمانينات من القرن الماضي اعتاد التلعفريون على خبزها في افران السوق او الافران المحلية المنتشرة في المحلات السكنية، و تقدم الكليچة اثناء تبادل الزيارات في العيد

طقوس العيد الشعبية

تميزت تلعفر بمراسيم شعبية وتقاليد عفوية مميزة في العيد اندثر اغلبها - مع الاسف - ولم تبقَ منها سوى ذكريات وحكايا تتناقلها الاجيال فيما بينها :

في الإيام الاخيرة من رمضان كانوا يصنعون الكليچة وهي ايقونة العيد (تكلمنا عنها آنفاً)

حرص التلعفريون على استقبال العيدين بالنظافة والملابس الجديدة وهي العلامة الفارقة الاخرى للعيد عند التلعفريين (الاطفال منهم بصورة خاصة)، ولك ان تتصور انٍ المرء كانت لديه ملابس جديدة يشتريها في مواسم العيدين فقط، (سنتكلم عن الازياء لاحقاً)

يبدأ التلعفري صباح العيد الاول بالذهاب الى صلاة العيد، والتي كانت تقام جماعةً في ساحة مكشوفة تسمى (قُتبه دوزو)، وهو مصطلح يتكون من مقطعين: الاول (قتبة) وهي محرفة عن كلمة (خطبة) العربية، والثاني: (دوز) التي تعني الساحة او الارض المنبسطة والمكشوفة، اما حرف الواو فهي للنسبة وفق لهجة سكان تلعفر، فيكون المعنى (ارض الخطبة)

وهي مساحة واسعة مكشوفة كانت تقام فيها خطبة العيدين (الفطر و الاضحى) وصلاتهما الموحدة يشارك فيها جميع سكان تلعفر، وكانت المنابر تقام على الهواء الطلق وقد كانت هناك عدة اماكن تحمل التسمية ذاتها وهي:

الاول / في محلة حسنكوي إلى الشمال من بناية مجلس الشعب القديمة

الثاني / في محلة السراي وربما كان اكثرها شهرة واقدمها، اما موقعه فكان في الفرع المقابل لمدرسة تلعفر الثانية او ما يعرف محلياً بـ (حجّى لار محلاسى) [305]

الثالث / جنوب محلة القلعة في منطقة جامع الفرحات

الرابع / في منطقة قصابخانه قرب نردان تپه بجوار البساتين[306]

بعدها مباشرة كانوا يتوجهون الى المقابر رجالاً ونساءً لزيارة قبور ذويهم، حاملين معهم الكليچة التي كانوا يتهادونها فيما بينهم او يوزعونها على الفقراء والمحتاجين رجاء كسب الثواب لهم ولذويهم الموتى، بينما كان ميسوري الحال يبكرون في نحر اضحياتهم صباح عيد الاضحى ليتم توزيعها على الفقراء والمساكين[307]

ومن عادة الاسرة التلعفرية وتقاليدها الجميلة، انهم كانوا يتناولون البرغل مع اللحم في طعام الافطار (صباحاً)، ولم يكونوا يعرفون الألبان ومشتقاتها وتناولها مع الشاي وقتئذٍ

وعندما يحدث ان يتوفى احدهم قبل العيد بمدة او بين العيدين، فأن اهل المتوفى يقيمون يوم العيد ما يشبه مجلس عزاء مصغّر يستقبلون فيه المعزين ويجددون ذكرى المتوفى (إلك بيرم او العيد الاول للمرحوم) ويمتنعون عن استقبال تهاني العيد

اما أبرز الالعاب الشعبية التي كانوا يمارسونها ايام العيد وخاصة الشباب سباقات الخيل التي تدل على تجذر الفروسية في مجتمع تلعفر، كما كانوا يزاولون لعبة الفر (الزهر او الزار) وخانة خانة وألعاب الرهان حيث كان الجهل سائداً ومنتشراً بأمور الدين والشريعة[308]

ومن الغريب انهم كانوا لا يقدمون اي شيئ للضيف المهنئ بالعيد بإستثناء الكليچة، بسبب عدم معرفتهم للشاي والحلويات (الچكليت) في تلك الفترة، ولم يكن اهالي تلعفر وما زالوا يعرفون الذهاب الى المتنزهات لأنها غير موجودة اصلاً في المدينة، اما بقية مراسيم العيد كالعيدية للأطفال وتبادل زيارات الاقارب وتنظيف البيت وتزيينه وغيرها، فهي نفسها اليوم

305 وقد اسست على ارضها سنة 1975 م بناية مدرسة الدراسات الاسلامية (المعهد الاسلامي)، ثم شغلت البناية كقسم داخلي لطلاب المدارس الثانوية الذين كانوا يدرسون في تلعفر قادمين من القرى والارياف القريبة منها، وعموماً فقد اختفت هذه الساحات من الوجود بعد ان هجم عليها الزحف العمراني

306 الاستاذ فؤاد الافندي

307 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

308 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

المولـد النبوي

لم نستطع الحصول على مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في تلعفر من مصدر نعول عليه، رغم ان مظاهر الاحتفال كانت موجودة فعلاً في ولايات الدولة العثمانية ومدنها وقراها ومنها تلعفر، على اعتبار ان اغلب رعايا الدولة كانوا من المسلمين الذين يكنّون محبة خاصة وقدسية كبيرة لرسولهم (صلى الله عليه وسلم) [309]

وربما يعود السبب في عدم تدوين مثل هذه المناسبات الى الامية التي كانت فاشية في مجتمع تلعفر الريفي آنذاك وانشغالهم بأمور حياتهم اليومية كالزراعة وتربية المواشي، واغلب الذين استفسرنا منهم لم يزيدوا على القول: ان اهالي تلعفر كانوا يحتفلون بالمولد النبوي كونهم من المسلمين الاحناف دون ذكر تفاصيل اخرى[310]

الاعياد الموسمية

خضر الياس (خـديرّاز)

هذه المناسبة الشعبية لا يمكن لاي فرد في تلعفر تجاهلها او المرور عليها مرور الكرام منذ القدم، فهي بمثابة (العيد القومي) للتلعفريين، ويكون موعده اول يوم خميس من الاسبوع الثالث لشهر شباط ويستمر لمدة ثلاثة ايام متتالية، ومع اننا لا نعرف التاريخ الذي بداؤا فيه بممارسة طقوسها، لكن بوسعنا أن نجزم الاحتفال بها كان موجوداً ايام الحكم العثماني

لا يعرف تأريخ محدد لبناء مقام خضر إلياس، كما لا يعرف الشخص المدفون فيه، وما مشاع عند العامة انه الخضر (العبد الصالح) ليس له اي سند تأريخي، وكل ما توصلنا إليه ان السلطات العثمانية اصدرت فرماناً في العاشر من شهر جمادى الآخر سنة 1207 هـ / 1792 م قضى بإلزام السيد شيخو بن اسماعيل التلعفري[311] بإدارة المقام

وحسب الروايات التي سمعتها من كبار السن في تلعفر فان المقام كان يعرف الى زمن ليس ببعيد بـ (مقام الخضر) ثم اضيفت اليه كلمة (الياس) في عصور متأخرة، ويعللون كلمة الياس بمعنى القنوط، ذلك ان فصل الشتاء قد يئس من الرجوع فاسحاً المجال للوافد الجديد فصل الربيع

309 الاستاذ ذنون قره باش، مراسة شخصية عبر الانترنيت
310 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب والاستاذ ذنون قره باش
311 هو احد اجداد الشيخ مصطفى محمد شيخو خطيب وامام جامع الفتح (رحمه الله)

تلة ومقام خضر الياس جنوب تلعفر

يمارس التلعفريون طقوساً عديدة خلال ايام (خضر الياس) الثلاثة (الخميس والجمعة والسبت) بعضها اندثر والبعض اخر كانت تمارس حتى ربيع سنة 2014 وهي:

1- حلاوة خضر الياس التي لا يكاد التلعفري يستغني عنها، فهو اما ان يشتريها من الاسواق او يقوم بصنعها محلياً في البيت (اون حلواسى او حلوى الطحين) وتقوم العوائل بإهداء قسم من هذه الحلوى الى بناتها المتزوجات في صبيحة خضر الياس

2- كانت هناك سباقات للخيل يظهر فيها فرسان تلعفر وخيّالتها براعة كبيرة ونادرة

3- انعقاد المجالس ونصب الخيام واقامة الحفلات الشعبية والدبكات التركمانية (هلاي) على اطراف التل مصحوبة بالاهازيج والاغاني التراثية

4- جزّ الصوف، اذ يبدأ موسم جز صوف الاغنام في النصف الثاني من شهر شباط بعدما ينتهي اخر موجات البرد على تلعفر

5- تعد مناسبة خضر الياس فرصة سانحة لترويج السلع والبضائع بعد ان ينتقل اليها العديد من التجار واصحاب المحلات والباعة المتجولين

6- ممارسة طقوس غريبة مخالفة للشريعة الاسلامية منها ايقاد الشموع للتبرك بها، والتي هـي عادة نصرانية قديمة متوارثة من ديانات وثنية قديمة وجدت في العراق القديم

7- يقوم الكثير من التلعفريين بإغماض العينين ثم محاولة ادخال سبابته في احد الثقوب الموجودة على جدران المقام (ثقب المراد) فإن اصاب الثقب ودخلت سبابته فقد تحققت امنيته وان اخطأ فلا

8- طلب الامنيات عند المقام، ومعلوم ان المسلم بإمكانه طلب الامنيات من الله بالدعاء في اي مكان دون تخصيص بقعة معينة

هل خضر إلياس مناسبة إسـلامية ؟

ان طبيعة المجتمع الزراعي - الامّي كانت تفرض على السكان مراقبة الاحوال الجوية وتقلبات الطقس خلال السنة، هذه الطبيعة هي التي توصلت الى يوم فاصل محدد يرتبط بالقوت الاساسي لسكان تلعفر حتى قال قائلهم: ان من يزرع قبلِ خضر إلياس سيحصد ثمرة ما زرعه، اما منِ يزرع بعد خضر إلياس فلن يحصد شيئاً او ان حصاده لن يكون وفيراً، لذلك نرى يقيناً ان هذه المناسبة لاتمت الى المناسبات الاسلامية بأية صلة لا من قريب او بعيد لعدة اسباب منها:

1- لم نجد لها اي ذكر او تأصيل شرعي في مصادرنا الاسلامية والتاريخية المعتمد عليها، ومن الارجح انها ذات اصول نصرانية فللنصارى عيد شبيه بخضر الياس يسمونه (عيد ماربهنام)، ولقد وجدنا في مصادر اخرى ان المقام الذي يعلو التلة الصغيرة الى الجنوب من مركز قضاء تلعفر بمسافة كم كان يعرف بـ (دير مالق) والذي يعود تاريخه الى القرن الاول الميلادي يوم كانت النصرانية هي الديانة السائدة في منطقة الجزيرة التي من ضمنها تلعفر

2- مشاركة ابناء الطائفة الايزيدية في الاحتفال بهذه المناسبة وخاصة من مدينة سنجار المجاورة والمعروف عن الايزيدية انها ديانة قديمة ثنوية المذهب اي ان العالم عندهم قسمين خير و شر او نور و ظلام ويقوم معتقدهم على تقديس (طاووس ملك) الذي هو ابليس حسب معتقداتنا المسلمين، كما لايعرف عن الايزيدية مشاركتهم في المناسبات الاسلامية

3- هنالك مناسبات شبيهة بخضر الياس سواء في المجتمع العراقي ام في دول الجوار، مثل اسطورة (نوروز) المقتبسة من المعتقدات الزرادشتية في بلاد فارس القديمة وهي ايضاً احتفال بقدوم الربيع وميلاد سنة فارسية او كردية جديدة، وفي سورية المجاورة بمدينة الاسكندرونة (ضمت الى تركيا سنة 1939) مناسبة تشبه الى حد بعيد خضر الياس مسرحها ساحة كنيسة عزيز جورج التاريخية، وفي مصر يحتفل السكان بإنتهاء الشتاء وقدوم الربيع بما يعرف عندهم بـ (عيد شمّ النسيم) وطقوسها

مشابهة لطقوس خضر الياس عندنا ونوروز عند الاكراد، وتزدهر اكثر في المناطق ذات الاغلبية القبطية ضمن القطر المصري وهي من التقاليد المقتبسة عن المعتقدات الفرعونية القديمة المرتبطة بظهور نجمة (سُبدة) ايذاناً بفيضان النيل مع دخول الربيع

4- شكل المقام وطريقة تصميمه لا يوحيان بأنه معلم اسلامي

5- تضم المنطقة التي حول المقام وربما في المقام نفسه قبوراً لغير المسلمين من ابناء تلعفر

عيد البيض الملون (قرمز مرطه بيرامى)[312]

يوافق هذا العيد اليوم الذي يسبق بدء الفلاحين بحصاد الشعير ومدته يوم واحد فقط، يتم فيه جمع كمية كبيرة من البيض من الاسر ووضعه في قدر كبير يحتوي الماء وقشور البصل التي تستخدم مادةً لصبغ البيض، والهدف من عملية السلق توفير المواد الغذائية التي يحتاجها الفلاحون اثناء الحصاد

إن البيض يرمز الى بداية الحياة وهذا الامر يمكن تفسيره عند الاحتفال به بداية الحصاد، ولكني لم اجد اي تفسير مقبول لصبغه سيما انه يستخدم للاستهلاك بالدرجة الاساس وليس الاحتفال، والذي اظنه ان هذا التقليد مقتبس من النصارى الذين يحتفلون به قبل عيد القيامة[313]، فتقوم الامهات بسلق البيض بكميات كبيرة ومن ثم صبغها ليتم توزيعها على الاهل والاحبة والاقارب وخاصة الاطفال يوم العيد وبعد القدّاس مباشرة، ولا زال هذا التقليد متبعاً حتى اليوم لديهم بينما اختفى من المجتمع التلعفري

الازياء الشعبية

الازياء تعبير صادق عن تقاليد وثقافة الشعوب وعقائدها، وهي تخضع من حيث التصميم والطراز لصفات واعراف القيمة الحضارية وثقافتها وطقوسها الدينية وطبيعة عيشها وأماكن وجودها، والعوامل المناخية والتضاريس وطريقة الحياة لعبت أيضاً دوراً في تحديد هذه الأزياء ونوعها، فيمكن أن نلاحظ أن الشعوب ذات المناخ الحار لها أزياء تختلف عن تلك التي تعيش في المناطق الباردة، ويمكن أن نميز أزياء التركماني أو العربي أو الكردي من ذلك

312 ذكرنا تسمية العيد لهذه المناسبة الشعبية تماشياً مع الامانة العلمية في النقل من المصادر، مع ايماننا المطلق ان لا عيد للمسلمين باستثناء عيدي الفطر والمبارك

313 يذكر التقليد النصراني أن القديسة مريم المجدلية ذهبت إلى قيصر في روما احتجاجا على صلب المسيح، وقامت بشرح قصة محاكمة المسيح وصلبه وقيامته، إلا أن القيصر لم يصدقها و طلب برهانا قائلا: لو تحول لون البيض إلى أحمر سأصدق أن المسيح قام من الأموات،عندها أمسكت مريم بيضة وقالت: المسيح قام، فتحول لون البيض إلى أحمر، ليصبح هذا التقليد بصبغ البيض على الفصح تأكيداً على قيامة المسيح

الازياء الرجالية:

كان زيّ الرجال في تلعفر زمن الدولة العثمانية يتكون مما يلي :

دشداشة بيضاء غالباً يسمونها (كويناك)، (اوزون تومّان) سروال طويل، (الزوبون)، والـ (بوروك) الذي وصفه الاستاذ المرحوم علي الشيخ ابراهيم بقوله: هو عباره عن قلنسوة من لباد الصوف يحيطها من الخارج يشماغ ملفوف على شكل دائري[314]، وكان ينسج أيضا ويكبس مثل (الكيـچـه) ومن شعر الجمل

اضافة الى ذلك كانوا يلبسون في فصل الشتاء عباءة صوف منسوجة ومصنعة محلياً من شعر الماعز مخططة بخطوط مستطيلة بيضاء وسوداء، وامتاز رجال الاسر الميسورة بلبس الفرو التلعفري المصنوع من جلد الخروف بعد دباغته، وكانوا ينتعلون احذية الـچاروخ الحمراء اللون و اليمانى و الكلش[315]، وكانت ازياء الشباب تتسم بألوان فاتحة نوعاً ما، بينما كان كبار السن يميلون الى الالوان الداكنة، اما الاطفال فكانت البازة المقلمة هي الزي السائد

وفي موسم الحصاد كان الفلاح التلعفري يرتدي (قولطخ شالى) وهي سترة تحاك من الصوف او شعر الجمل اتقاءً للحر وتكون بلا اكمام لتسهيل الحركة اثناء العمل، وكان هناك نوع آخر منها يسمى (پامبوخلو) وهو سترة طويلة تبطن بالقطن من الداخل[316]

هذه القيافة كانت هي السائدة في مدن الولايات العثمانية وقراها ذات الطابع التركي، ومنها تلعفر نهاية العصر العثماني، وقد شاع تقليد سائد آنذاك في تلعفرهو ان العائد من اداء فريضة الحج كان يضع على رأسه غترة صفراء اللون او كما كان يعرف بين العامة (حج چـوتو)[317] يستقبل بها المهنئين، اما الاقمشة فكانت تستورد من الموصل وحلب ومن القامشلي ومن ديار بكر [318]

العقال العربي

اما العقال العربي فلم يكن شائعاً في تلك الفترة إلاّ ما ندر، وهناك عدة آراء في كيفية شيوع لبس العقال في مجتمع تلعفر التركماني منها :

طبيعة المجتمع التلعفري المائل الى الاختلاط والتفاعل مع المحيط العربي به اذا

314 علي الشيخ التلعفري، الازياء الشعبية في تلعفر، مجلة التراث العربي، العدد الثالث، تشرين الثاني 1971 م، ص212

315 الاستاذ فؤاد الافندي

316 يمامة العبيدي، المصدر السابق، ص213

317 معناها غترة الحج، نقلاً عن الاستاذ فؤاد الافندي

318 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

علمنا ان تلعفر عبارة عن جزيرة تركمانية وسط بحر عربي، ومن الطبيعي تبادل الثقافات والعادات والتقاليد ومنها الازياء فيما بينها عن طريق التعاملات التجارية او المصاهرة ... الخ، وقد ترسخ هذا الاختلاط واتسع تفاعله بعد احداث سنة 1920 م وما تلاها من الـ (قاچـه قاچ) التي فرقت العشائر التلعفرية ونثرتها في احضان المجتمعات العربية القريبة منها مما اكسب التلعفريين عادات اجتماعية جديدة قد يكون لبس العقال العربي احداها

بينما يذهب آخرون ان سبب انتشار العقال العربي هو سياسة التعريب التي أمر نهجها الحاكم السياسي البريطاني في العراق والتي أمر فيها الملك فيصل الاول بأن تقوم حكومته بضرورة تغيير أنماط وعادات وانساب وأصول القبائل والعشائر غير العربية التي تعيش في مناطق ايالة (ولاية) الموصل وخاصة المناطق غير العربية، بعد ان صوت معظم القوميات غير العربية لصالح انضمام ولاية الموصل الى الدولة التركية في المسألة المعروفة بـ (مشكلة الموصل(

ويصنع العقال عادة من شعر الماعز ويغلب على لونه السواد، وقد ظهرت انواع منها: ما كان يصنع يدوياً في تلعفر والموصل اواخر ايام الدولة العثمانية، وكان هو الشائع والمحبب حتى عند الشباب، حتى ظهر العقال الحلبي المستورد من مدينة حلب السورية، ثم ظهر العقال بشكله الحالي مع بدايات الحكم الملكي في العراق[319]

زي المرأة التلعفريـة

إن زي المرأة التلعفرية يكاد يكون فريداً بين ازياء النساء في الجزيرة وشمال العراق وربما في القطر العراقي كله، لكنها تشبه كثيراً ازياء النساء في طشقند وبخارى في اواسط آسيا حسبما افاد الاستاذ صبحي ساعتجى[320]، مما يدل على وحدة الاصل والمنشأ، واكثر ما يميز زي المرأة التلعفرية الحشمة والحياء ويتألف من الاجـزاء التالية:

ثوب واسع طويل فضفاض يغطي جميع جسد المرأة، مراعاة لعدم إبراز تقاسيم الجسد، غير ان العلامة الفارقة لثوب المرأة في تلعفر هي الاردان الطويلة جداً والتي تسمى محلياً (بينـگ) تجعل لها عقدة في المنتصف ثم تلقيها على ظهرها[321]

وهناك الوشاح او الخمار (چـوت) تلف به المرأة رأسها ولا تستغني عنه مطلقاً وتغطي به نصف وجهها السفلي احياناً، وغالباً ما يكون أبيض اللون او مائلاً الى اللون

319 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب
320 صبحي ساعتجى، المصدر السابق، ص79
321 يلاحظ وجود هذه العلامة في الزي التقليدي للمرأة الكردية أيضاً

الحليبي، كما عرفت المرأة التلعفرية نوعاً آخر من غطاء الرأس يسمى المحصب (تحوير لكلمة معصب العربية)، كانت ترتديه العجائز غالباً عند حضورهن مجالس العزاء، تميّز بلونه الاسود الموشّح بخطوط مذهبة لماعة (صورمه) وبكبر حجمه قياساً الى حجم الوشاح العادي

كانت النساء يضعن المحصب على الرأس ملفوفاً بطريقة جميلة تظهر جمال قيافتهن، وبعد ذلك يضعن غترة بيضاء حول العنق تسمى (بوين چوتو) اي وشاح العنق، مما يعني ان غطاء الرأس كان يتكون من قطعتين (محصب و غتره بيضاء)، كما عرفت المرأة التلعفرية ما يعرف بـ (طورّاما) وهي قطعة قماش اشبه باللفاحة، يكون شكلها شفافاً عريضا عليها نقوش مثقوبة ودائرية على شكل ورود، كانت خاصة بالدبكات الشعبية وحفلات الأعراس واخيراً كان هناك الـ (آبرى او هابرى) وهو غطاء للرأس يكون في الغالب مزركشاً ومصنوعاً من الحرير[322]

وكانت النساء يضعن على متونهن (فوق الكتفين) قطعة قماش من الچوخ الازرق تسمى باللهجة المحلية (چَركَه)[323]، ولكنها انقرضت وحل محلها العباءة السوداء التي يرتدينها اثناء الخروج من المنزل، مع ملاحظة أن المرأة التلعفرية لم تعرف النقاب او البرقع او البوشية[324]، جرياً على عادة اهل القرى والارياف

الزبون، وهو نوع مطوّر للجبة التي كانت مخصصة للرجال قبل العصر العثماني ولبستها النساء في ذلك العصر، وبخاصة نساء الطبقتين العليا والوسطى، إلاّ ان نوعية قماشه ارقّ واخفّ من الجبة، وهو مشقوق من الأمام ولا يسمح اتساعه بإلتقاء حافتيه الأماميتين على الصدر ولا يقفل وليس له عروات أو أزرار، وهو قصير يصل طوله إلى ما بين منتصف الساق والقدمين، أما الأكمام فقد تكون قصيرة وتنتهي عند الكوع أو طويلة تصل إلى الرسخ، ويطرز جانبي فتحة الزبون بزخارف وشرائط علوية وقد تدور بالذيل وقد تغطي نصفه العلوي كله، وتلف المرأة تحت الزبون وحول خصرها حزاماً من الحرير أو الكشمير او الجلد

ارتدت نساء تلعفر ـ المسنات منهن خاصة ـ نوعاً آخر من الازياء يعرف بـ (قُتّة)، وهو زي موسمي يلبس شتاءً او في مواسم البرد وعند زيارة المرأة اهلها او في مناسبات معينة، يكون على شكل سترة متكونة من طبقتين: طبقة داخلية من قماش خفيف و طبقة خارجية من قماش اكثر سمكاً، و يطرز من الخارج بنقوش و خطوط متميزة تحمل اللون الذهبي او الاصفر او الابيض في حين يكون اللون الطاغي للقماش الخارجي لوناً غامقاً [325]

322 الاستاذ فؤاد الافندي
323 الاستاذ عادل عبد القادر هزو
324 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب
325 الاستاذ فؤاد الافندي

وهناك نوع آخر من أزياء المرأة التلعفرية وهو ما كان يعرف بالـ (كزّاخـة)، ويكون على هيئة بلوز بنصف ردن، كان من عادة كبار السن من امهاتنا وذوات الأعمار الوسطى من النساء ان يلبسنه أثناء حلب الأغنام والابقار والعمل في المراعي، وفي الشتاء كانت المرأة تنتعل حذاء من الجلد الاصفر اما في الصيف فكنّ يمشين حافيات على الاغلب[326]

الاطعمة

الطعام حاجة اساسية يومية اهتم التلعفريون بتحضيره كلُ حسب مقدرته الاقتصادية، وظهرت انواع من الاطعمة ارتبطت بمناسبات اجتماعية معينة ثم تداولها السكان مع مرور الوقت، كما كان لطبيعة المحاصيل الزراعية دور في ظهور انواع الاطعمة التي من اشهرها البرغل والذي سنتحدث عنه بشيء من التفصيل

البرغل

يعد البرغل الطعام الاساسي الاول لسكان تلعفر منذ اقدم العصور حتى سنة 1939 م[327] ويحضّر من الحنطة، وقد اشار الرحالة الإنكليزي Budge الى شرائه البرغل من تلعفر عندما زارها سنة 1886 م [328]

تبدأ عملية تحضيره في اشهر الصيف بعد عملية الحصاد، اذ يقوم الاهالي بتحضير الحنطة (وهي على انواع جيدة او رديئة حسب الامكانية الاقتصادية للفرد) ووضعها في أكياس او حاويات من الصفيح (تنكة) ومن ثمٍ يحضّر القدر المخصص لغليه والذي عادة ما تؤجره بيوت المحلة الواحدة كلها تقريباً - مقابل مبلغ معين - ليتناوبوه فيما بينهم وربما انتقل القدر من محلة الى اخرى، وعادة ما تتولّى الجدة او الام مهمة متابعة انتقال القدر من خلال حركة نشطة دؤوب، والكل يقوم بعملية الغلي او السلق

توضع كميات من الحنطة في القدر بعد ان يملأ بالماء و من ثم يتم اشعال النار اسفل القدر ... و بعد الغلي يتم تحويل كميات الحنطة المسلوقة الى سطوح الابنية حيث تبقى لفترة معينة حتى يجف بدرجة معينة و من ثم يؤخذ الى المطاحن، وهناك يفرز الى انواع متعددة ليخزن مؤونة للشتاء القادم (كما سنرى)

326 يمامة العبيدي، المصدر السابق، ص213

327 قد يعجب المرء اذا قلنا ان أن سكان تلعفر كانت وجبة الافطار عندهم (اضافة الى وجبتي الغداء والعشاء) كان البرغل عنصرها الاساس، وقد بدأ التحول التدريجي من البرغل الى الالبان ومشتقاتها منذ سنة 1939 بعد ان قامت الحكومة بتوزيع مادة السكر ضمن مفردات البطاقة التموينية وكانوا قد عرفوا الشاي سنة 1918 م بعد زوال الحكم العثماني مباشرة، نقلاً عن الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

328 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص89

ومن اجمل تقاليد الاهالي التي تؤكد حبهم وتعاونهم والتي لازمت عملية تحضير البرغل، ان الجيران كلهم يشاركون بعضهم البعض في مرحلة نقله من القدر الى سطوح الابنية حتى اذا لزم الامر نشره في سطح اكثر من دار واحدة، ولا ننسى ان صغار المحلة بعد استواء الحنطة كانوا يأتون ومعهم اوانيهم الصغيرة لطلب كمية منها ومن ثم يضعون عليها شيئاً من الملح لتصبح وجبة شهية

ترتبط بعملية سلق الحنطة اكلة لطيفة كانت بمثابة الكرز في تلك الفترة وهي (قاورغا) او الحنطة المحمصة، حيث تنقع الحنطة في الماء يوماً كاملاً ثم تملح وتنشر تحت اشعة الشمس لتجف تماماً، ثم تحمّص في إناء واسع وكبير مصنوع من الطين يسمى (قاورچاغ) كان يسجّر بالحطب

عملية طحن الحنطة

كانت هناك طريقتان لتحضير البرغل واستخراجه من الحنطة المسلوقة:

الطريقة الاولى بواسطة الـ (دباگ)[329] وهو حوض كبير من الحجارة كان يصنّع محلياً، اما معزولاً لوحده او بطريقة حفر الارض الصخرية الى عمق معين ومن ثم استخدامه لتنظيف الحنطة المسلوقة من قشورها لعمل البرغل والحبية (دوگمه)

دباگ

329 يسمى في اللهجات العربية الـ (دنگ) وقد يُطلق عليه في بعض مناطق تلعفر (دش دباگ)

اما الطريقة الثانية فكانت بواسطة الارحية او المطاحن المائية التي كانت منتشرة في وادي تلعفر الكبير والتي اشتهرت بها المدينة وتميزت عن باقي مدن الجزيرة، هذه الارحية التي كانت تعمل بقوة جريان المياه وسرعتها عند مرورها من اعلى الوديان الى اسفلها لترتطم بمجذاف دولاب الرحى لتحركه وتحرك معه اجزاء المطحنة الاخرى، واهم ما كان يميز هذه الارحية كبر حجم احجارها المعروفة لدى الاهالي بـ(داگرمان داشـى) الذي كان يجلب من قرية بسومة بين الموصل وأسكي موصل

وقد ذكرها الأثاريون والرحالة الاجانب في رحلاتهم , ودونوها في كتاباتهم , ومنهم اوستن لايارد والاستاذ عبد الرزاق الحسني والسيد محمد يونس وغيرهم كثيرون، وكان لكل رحى اسم و سند خاص (طـابو) يدفع بدله سنوياً

اما اسماء هذه المطاحن واماكنها فهـي:

1- بسّك داگرمانى (مطحنة القطة): كان موقعها بين (حسنكوي كوپرسى) و(سراي كوپرسى) سميت بذلك بسبب صغر حجمها

2- قليچ داگرمانى (مطحنة السيف): كان موقعها قرب نردان تبه

3- آبدال داگرمانى: كان تقع قرب حوض دش بيرى وجامع الچلبي وكانت له بئران

4- آغ داگرمان (المطحنة البيضاء): كان موقعها في محلة صـو

5- آمـر بك داگرمانى: كان موقعها في وسط البساتين

6- حسن آغا داگرمانى: كان موقعها في نهاية البساتين قرب حوض مسمى باسم حسن آغا , وقد أنشئ في أواخر العهد العثماني [330]

نموذج لمطحنة مائية

بعد الانتهاء من عملية طحن الحنطة تصنف الى انواع: البرغل الناعم او البرغل الخشن، الجريش (يه رمه)، الحبية (دوگمه او كشكا) والطحين ... الخ ثم تخزن لمؤونة الشتاء القادم، اذ كان من طبائع التلعفريين انهم يتناولون الخضراوات الصيفية (يسمونها گـوگـلك) التي تنتجها مزارعهم مع الخبز ويحتفظون بالبرغل ومشتقاته الى فصل الشتاء

330 الاستاذ سعيد عباس اوغلو

وكانت هناك ألة اخرى اقل شيوعاً في تلعفر لصنع الطحين اضافة الى الارحية، وهي (داگرمان طاش) او المجرشة، وهي آلة بدائية من الحجر الخشن الثقيل تُستعمل لِجَرْش الحبوب وطحنها، تتكوّن من حجرين مستديرين بقطر (50 سم تقريباً) يُرَكَّبُ أحدهما فوق الآخر، ويكون السفليّ منهما ثابتاً وبه ثقب ضيّق واحد في وسطه يسمح بمرور محور خشبيّ أو معدنيّ يُثبّت في وسطه ويسمى (قُطْب الرحى)، بينما يتحرّك الحجر العلويّ حول محورٍ خشبيّ أو معدنيّ تكون قاعدته مثبّتة في أسفل الحجر السفليّ، وبه ثقب كبير نسبياً في وسطه يسمح بدخول الحبوب، وثقب صغير آخر في طرفه يوضع فيه المقبض الخشبي الذي نُحرِّك به حجر الرَّحَى، وعندما تدور حجر الرَّحى فإنها تمرّ فوق حبّات القمح أو الشعير التي توضع من فتحة دائرية صغيرة في وسط الحجر العلوي، فتتكسّر تلك الحبّات شيئاً فشيئاً كلما دارت عليها حجر الرَّحَى حتى تصبح دقيقاً ناعماً

عمل الشعرية (آرشتة)

صنع الشعرية (هارشته او آرشته) في تلعفر من متممات البرغل، إذ تبدأ ربة المنزل بتهيئة العجين المخصص لها من الليلة السابقة ليوم العمل وغالباً ما كانت تستدعي قريباتها او جاراتها ليشاركنها في ذلك، فتشرع النسوة بجعل العجينة عدة طبقات ثم تقوم اكثرهن خبرة بتقطيعها على شكل خيوط رفيعة بواسطة سكين كبيرة، ثم توضع في غرابيل ليتم نقلها بواسطة الفتيات الصغيرات الى سطح الدار من اجل تجفيفها، ثم يتم نشرها وفرشها على السطح وتبقى لمدة يومين او ثلاثة حتى تتحول الى مادة صلبة يمكن جمعها بسهولة

بعد ذلك يتم حمس هذه الشعرية على موقد خاص يعمل لهذه الغرض يسمى محلياً (قاورچاغ) وعندها تكون الشعرية جاهزة للتناول لوحدها او تخلط مع البرغل التلعفري غالباً لتتهيأ وجبة لذيذة ودسمة

عمل الخبز (چوره ك يه پماخ)

يقترن الخبز دوماً بالتنور، والخبز هو الغذاء الاول والرئيسي للانسان ولا يمكن صناعته بدون التنور، الذي وجد مع وجود الانسان وخلافته في الارض وقد ورد ذكره في القران الكريم في سياق الحديث عن الطوفان في قوله تعالى: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ)) سورة هود / الآية 40

وصناعة تنّور الطين عمل اختصت به المرأة في تلعفر من الالف الى الياء، فكل امرأة في الاسرة التلعفرية سواء أكانت اماً ام زوجة ام بنتاً كان بإمكانها صنع تنور الطين بمساعدة جاراتها احياناً، فهو يُصنع محلياً من الطين وافضل انواعه هو الذي

يصنع من التراب الاحمر وهذا النوع من التراب متوافر بكثرة في تلعفر، وبعد تخمير الطين وخلطة بالتبن لمدة ثلاثة ايام يكون التنّور جاهزاً

يبنى التنور الطيني على هيئة مكعب لحمايته ووقايته من مياه الامطار، وتوجد في اعلاه فتحة مدورة كبيرة وفي اسفله من الامام فتحة صغيرة تسمى (كِلوة) تُستخدم لدخول الهواء الى النار واستخراج الرماد الزائد منه، ويستعمل لتحريك النار عند خمودها قضيب طويل من الخشب[331]، اما موضعه فيكون في احدى زوايا الحوش البعيدة عن الغرف او يكون في السطح

بعد جلب الطحين من الـ (داگرمان) تفرش ربة البيت اغطية خفيفة وتلبس ملابس قديمة وتجلس لنخل الطحين بالمنخل لعزل الناعم عن النخالة (كه پـاك)، وتباع النخالة لاحقاً لأصحاب المواشي، ثم تضع الطحين في براميل من الصفيح او اكياس لغرض الخزن في السرداب .. تأخذ المرأة كمية من الطحين وتضعه في إناء كبير (طشت) وتعمل في وسطه مثل الحفرة كي تضع فيها الخمرة والملح ثم تضيف الماء الدافئ وتقوم بعجن الطحين مع الماء حتى تصبح عجينة ليّنة فتضغط عليها بأيديها المغلقة، ثم تترك العجين وتغطيه بقطعة قماش سميكة في الشتاء لكي تختمر

بعد ان يختمر العجين تقوم المرأة بتقطيعه الى قطع مدورة (كونده) وتضعها في صينية كبيرة وترش قليلاً من الطحين على الصينية لكي لا يلتصق العجين بها، ثم تذهب لسجر التنور بإشعال الحطب والجلة (قيّـغ) والخشب فيه الى ان يبيضّ (آغارتماخ) اي ان يصبح حاراً جداً، ثم تقوم بعمل العجين على هيئة ارغفة باستخدام اليد والشوبك، ثم تثقبه بأصابعها او بالسكين عدة ثقوب كي لا ينتفخ وترفعه بيدها وتلزقه داخل التنور، ثم تقوم بغلق فوّهة التنور وتنتظر قليلاً، وبعد ان تتأكد من تحميص الخبز تبدأ بقلعه، وتستخدم الخبازة قماشاً تلفّه على يدها تجنّباً لاحتراقها وقد تستخدم ماشاً لقلع الارغفة البعيدة الحارة، ومن عادة الام عمل قرصة خبز صغيرة (حنيني) لأولادها ليأكلوها فرحين مسرورين

وكانت امهاتنا قبل إتمام عملية الخبز تقوم برفع (كوندة) واحدة من العجين الى اليوم التالي تسمى (آجي خامر) تبقى حتى تتخمر تلقائيا وتخلط مع الطحين في اليوم الثاني بدلاً من الخمرة الحالية المتوفرة في السوق لانها كانت غير موجودة اصلاً، والـ(اجي خامر) كانت تعوض عنها وتعطي للخبز نكهة خاصة وطعماً مميزاً، وتوضع حسب كمية الطحين فإذا زادت يكون الخبز فيه حموضة واذا قلت يصبح ما يعرف بـ (فاتر چوره ك)، وكانت العادة السائدة في تلك الفترة ان ترسل ربة البيت قرصة اوقرصتين من الخبز الى الجيران او الاقارب [332]

331 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب
332 الاستاذ عادل عبد القادر هزو

وهناك نوع آخر من الخبز تصنعه المرأة التلعفرية وهو (خبز الصاج او الرقاق) اذ يتم تدوير قطع العجين بالشوبك الى احجام كبيرة وتكون ارقّ من خبز التنور، وبعد احماء الصاج بالنار يوضع رغيف الخبز فوقه ثم يُقلب على الوجه الآخر حتى تحميص الوجهين[333]

اطعمة اخرى

عرف المجتمع التلعفري اطعمة اخرى ارتبط بعضها بمناسبات او مواسم معينة، وربما انفرد بأطعمة معينة بذاتها، كما عرف التلعفريون بعض انواع الحلويات التي كانت تصنع محلياً، نحاول الآن بيان ابرزها:

- دوگمه آشى او الحبية او الكشكا بلهجة اهل الموصل، ويضاف إليها الكركم لإضفاء اللون الاصفر عليها، وقد يوضع فيها الحمص واللحم المفتت

- أيران آشـى او اللبنية: صنف من الطعام كان يطبخ في مواسم الربيع تحديداً، حيث تكثر الالبان بأنواعها المختلفة وتتعدد مصادرها، اضافة الى سهولة إعداده وتحضيره، اما مكوناته فهي: لبن غنم (يفضل ان يكون قد مر يوم او يومين ليكتسب حموضة في طعمه)، الحبية، الباقلاء الخضراء، الحمص المنقوع مسبقاً، السلق، اضافة الى الماء والملح

وعملية تحضيره بسيطة جدا، فتوضع هذه المكونات مع بعضها في قدر مغلي وتترك على النار لمدة ساعتين تقريباً حتى تنضج ثم تكون جاهزة للأكل ، والبعض كان يفضل اكل (ايران آشـى) بارداً في اليوم التالي

- بلاماج آشى: نوع من الحساء الذي ينفرد به مجتمع تلعفر، ويتكون من الطحين والسمن الحيواني الحر (دهن الاغنام غالباً وهو المسمى صارى ياغ)[334] ثم يضاف إليها البيض، وتؤكل بعد دمجها وخلطها جيداً ثم طبخها

333 الصاج قرص معدني محدب الشكل يوضع على النار وبعد ان يحمى جيداً يخبز عليه خبز الصاج، اما الشوبك فهو اداة خشبية اسطوانية الشكل لها قبضتان من الجانبين تستخدم لفرش العجين

334 كان الدهن الحر يستخرج بواسطة ميشك (الشجوة) الذي كان يستخدم لرجّ الحليب من اجل عزل المادة الدهنيه منه وهذه الماده تعرف بأسم (كه ره) او الزبدة ومايترسب في القعر يسمى أيران وعند خزن الزبدة واضافة الملح عليه يتحول الى صـارى ياغ او دهن حـر

- القديرى: يتكون القديرى من عصير الرمان الحامض والخبز المثرود المفتت إلى قطع صغيرة والبصل مع اضافة السكر والنعناع والبطنج (يارپز)، توضع في اواني متوسطة الحجم ثم تخلط جيداً حتى تكون الوجبة جاهزة للتناول

وخلال مواسم الربيع تظهر بعض النباتات الطبيعية التي تصنع منها الاطعمة، ومن ابرزها الكعوب (كه نگر) والكمأ (دونبلان) والفطر (كوسپه به لاك) والخباز (پينجر)، وعند ظهور اول سن للطفل كانوا يصنعون اكلة الدشلك - كما مر بنا سابقاً - وفي ايام الاحتفال بمناسبة خضر إلياس كانوا يصنعون (اون حلواسى) اي حلاوة الطحين التي هي عبارة عن طحين ودبس وسكر مخلوطاً بالماء

كما عرف التلعفريون نوعاً آخر من الطعام في هذه المناسبة وهي المعروفة بـ (قاووت او قاووط)، وكان يعمل من حبوب الحنطة والشعير بعد تحميصها وطحنها ووضع المزيج في كيس صغير من القماش له فتحة من الاعلى تمر منها قصبة الى داخل الكيس ليسهل على الاطفال امتصاص المادة الموجودة داخل الكيس

مصادر المياه

عانى سكان تلعفر كثيراً من شحّة الماء، فهي لا تقع على نهر جارٍ كبير كنهر دجلة مثلاً او احد تفرعات الانهار الكبيرة او رافد من روافدها، وان كان بعض المؤرخين يشيرون الى وجود نهرٍ جارٍ صغير كان يقسمها الى ضفتين متساويتين تقريباً حتى وقت قريب، كما يظنون ان الوادي الذي يقطع تلعفر من الشمال الى الجنوب الغربي هو اثر لهذا النهر الذي اصبح اثراً بعد عين

كان الاهالي يعتمدون في سدّ احتياجاتهم اليومية من الماء (للشرب او الطهي او غسل الملابس او الاستحمام) على العيون وخاصة عين (صوباشى)[335] وتفرعاتها الممتدة باتجاه جنوب المدينة، وكان نقل الماء يقع على عاتق النساء بواسطة القربة (طولوخ) التي كانت تُصنع من جلد إحدى المواشي (ضأن / غنم / ماعز)، اذ كان يتمّ سلخ الذبيحة بعناية ثم نزع الشعر ودبغ الجلد وتهيئته حتى يصلح لحفظ الماء، وتستخدم فتحات أطراف البهيمة للتعليق والعنق لصب الماء، وكان في اغلب بيوت تلعفر دكة مصنوعة من الحجر شبيهة بالمنضدة يوضع عليها الطولوخ وكانت تسمى طولوخلوخ

وكانت هناك مصادر اخرى للمياه اثناء فصلي الشتاء والربيع حيث ان مياه الامطار تتجمع في عدة مواقع تسمى (الخُبرة) كانت اشبه بالسد في وقتنا الحاضر، اخترعها

335 ان ماء العين رغم ما فيه من ملوحة ظاهرة لكنه صحي يستساغ لان فيه مقادير كبيرة من سلفات الصودا والمغنسيوم، حسب وصف الاستاذ عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص261

التلعفريون لجمع مياه الامطار القادمة من التلول المحيطة بالمدينة (القراج) [336]، وقد استغل الانكليز هذه الخاصية فأنشأوا شمال حسنكوي صهريجاً (سارج) لجمع مياه الامطار والسيول بعد ان وجدوا مياه تلعفر مجّة مالحة لم يستطيعوا استساغتها

واضافة الى عين صوباشى ومصادر الماء الموسمية، اعتمد السكان على العيون الطبيعية الموجودة في ضواحي تلعفر وقراها مثل عين البيضاء (آغ صو) في ابي ماريا وعين فقة وعيون آفكني و عين العبرة الصغيرة وعين بوخور وعين حكنة وعين تورمي وعين قصر سيريج وعين الحصان وعين ام الشبابيط وعين صولاغ... الخ

اما وسيلة تبريد المياه صيفاً فكان يتم بواسطة المزّمّلة، (كما في الصورة) وهي حوض صخري كبير مستطيل الشكل له غطاء من الاعلى وفتحة صغيرة من الاسفل لغرض إخراج الماء الوسخ، اضافة الى استخدام الاواني الفخارية مثل الحب والشربة للغرض ذاته

الشـاي

عرف التلعفريون الشاي مع نهاية الحكم العثماني سنة 1336 هـ / 1918 م، فبعد مغادرة القائممقام العثماني السيد محي الدين بيك تلعفر قام بعض الاهالي بدخول داره والبحث في محتوياتها، وكان مما وجدوه علبة تحتوي مادة سوداء، فاستفسروا من القوّاس (اي الفرّاش) عن ماهيتها، فأجابهم: ان هذا نوع من المشروبات يوضع في الإبريق (قوري) بعد اضافته الى الماء المغلي ثم يُشرب، لكن تناول الشاي ظل محصوراً في هذه الفترة من تأريخ تلعفر بطبقة الاغنياء وميسوري الحال [337]

336 الاستاذ عادل عبد القادر هزو

337 انتشرت عادة شرب الشاي في تلعفر بسرعة، وافتتحت اول (چايخانة) في بداية عشرينيات القرن الماضي في محلة القلعة وكان صاحبها علي مهاجر الذي كان يصنع القهوة المرّة الى جانب الشاي، ثم افتتحت (جايخانة) اخرى وهي ياشيل جايخانة اي المقهى الاخضر في السوق قرب مبنى مصرف الرافدين الحالي، وكلمة (جايخانة) تركية معناها مكان شرب الشاي، ومع بواكير الحرب العالمية الثانية سنة 1939 م اتبعت الحكومة العراقية حينها نظام التموين فكان الشاي احد مفردات التموين الى جانب السكر، ما يعني ان الشاي قد وصل الى كل بيت في تلعفر تقريباً منذ تلك الفترة، نقلاً عن الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

التدخـين

عرف التلعفريون التدخين منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي قبل 250 سنة تقريباً، ولم يكن مقتصراً على الوجهاء والاثرياء فقط بل كان مشاعاً ومعروفاً لدى فئات المجتمع كافة حتى المتعففة منها، وقد اكتسبوا هذه العادة من الولاة العثمانيين او من ينوب عنهم في تلعفر والمدن المجاورة لها كالموصل وسنجار مثلاً

كان الغليون او الپايپ pipe هي الوسيلة السائدة آنذاك في شرب الدخان لديهم اسوة ببقية المجتمعات في المدن القريبة، واطلقوا على الغليون اسمين مختلفين استناداً الى حجمه وطوله ومكانة المدخّن الاجتماعية:

الاول: هو (سبيل)، وكان يتكوّن من جزأين : رأس فخارية وساق من شجر السدر ذي الرائحة العطرية (واختير السدر لمناسبة تجويفه وامتصاصه جزءً من الدخان)، لكنه كان يُصنع محلياً في تلعفر من مادة الطين المحروق فقط دون اضافة اي عنصر آخر

الثاني: هو (قالن) ويمتاز بطوله الذي قد يصل الى متر واحد، والطول هنا اضافة الى بيان مدى وجاهة المدخّن ومنزلته الاجتماعية والاقتصادية الرفيعة في المجتمع، له فائدة اخرى تتمثل في تصفية الدخان وترشيحه من النيكوتين وتبريده اثناء مروره من التجويف الاسطواني قبل وصوله الى الفم

والنوع الاول (سبيل) كان اكثر شيوعاً بين المدخنين في تلعفر ربما بسبب كلفة تصنيعه الرخيصة وبالتالي سهولة اقتنائه من قِبل الجميع، على النقيض من تكلفة الـ (قالن) المرتفعة والذي لم يكن متيسّراً إلاّ للأثرياء، اما طريقة ايقاد الجمر في الـ (سبيل) و الـ (قالن) قبل ظهور الشخّاط والمقادح، فكان يتمّ بوضع الفحم في التجويف المخصص للتبغ ومن ثم احتراقه، ولم تعرف تلعفر زراعة التبغ بل كان يستورد من سنجار (كرسي) ومناطق العراق الشمالية حيث يُزرع هناك بوجود الاجواء الباردة والمياه العذبة

دخل ورق لف السكائر[338] الى تلعفر بين سنتي 1918 و 1920 م، عن طريق المبادلات التجارية مع سورية المجاورة والتي وقعت تحت الاحتلال الفرنسي حينها، وكان اشهر انواع الورق الذي كان يُصنّع على هيئة دفاتر صغيرة ويستورد من سورية دفتر زغلول ودفتر صلاح، وبعد مدة وجيزة ظهرت شركة محلية في الموصل منافسة للمنتوجات السورية، وهي شركة العريبي التي استطاعت ان ترسّخ اقدامها وتغزو السوق بدفاتر العريبي الشهيرة آنذاك، وكانت تلعفر سوقاً رائجة لها بحكم الموقع الجغرافي القريب من الموصل

338 اخترع ورق اللف في فرنسا سنة 1840 م، اما علب السكائر (الباكيتات) فقد انتشر استخدامها في الاربعينيات من القرن الماضي في تلعفر

كان الكيس هي الاداة المعتادة لحفظ التبغ وتقديمه للصديق او القريب على سبيل الضيافة، ثم ظهرت العلب المعدنية لحفظ التبغ، كما استخدم المدخنون مع ظهور ورق اللف آلة (المزبّن) وكانت وظيفته تنقية التبغ من المواد العالقة به وتصفيته، وهو ما اطلق عليه التلعفريون اسم (هامزوك او آمزوك) وكان يصنع من اغصان شجر الصندل او الشيح (الكهرب عند سكان تلعفر) وهو على انواع منها الروسي والالماني الذي يُعدّ اغلى الانواع[339]

الألعاب الشعبية

ينفرد كل ثقافة ومجتمع بمجموعة من الألعاب التي مارسها عبر الزمن , يطلق عليها (الألعـاب الشعبية)، وربما تساهم هذه الالعاب في نقل بعض الخصائص الثقافية والحضارية التي تراعي التقاليد والعادات لمجتمع ما , وهي مرآة صادقة للحياة اليومية البسيطة فيه، فمن خلال انتقالها عبر الأجيال يتم نقل نماذج الحياة في البيئة بطابعها وتقاليدها ونظامها

مارس التلعفريون عبر ثمانمائة سنة تقريباً جملة من الالعاب الشعبية عكست طبيعة المجتمع التلعفري الذي يميل في عمومه الى الخشونة والقسوة والرجولة، وهي ذات الصفات التي ورثوها جيلاً بعد جيل من مجتمعاتهم الام في اواسط آسيا وحافظوا عليها من الضياع، وربما امتد تأثيرهم الى المجتمعات العربية التي تجاورهم

وهنا نستعرض بعضاً منها:

1- ركوب الخيل ، كان الخيالة التلعفريون مشهورون بركوب الخيل وترويضها وإجراء المسابقات، خاصة في مواسم الربيع والمناسبات الشعبية وايام الاحتفال بمراسيم خضر إلياس، وكان لهم خيّالة شجعان يجوبون أطراف تلعفر و منطقة الجزيرة إلى حدود الثرثار جنوباً وزاخو شمالاً، كما كانوا ماهرين في صيد الغزلان وطيور الحبارى[340]

لقد كانوا يملكون اعداداً كبيرة من الخيول ويختارون أجود أنواعها ويميزون تلك التي تتكيف مع بيئة المنطقة من حيث الحر صيفاً والبرد شتاءً، وكانوا يعرفون تماماً جنس هذه الخيول وكيفية تناسلها للحفاظ علـى اصالتها، وورثوا هـذه الميزة من أجدادهـم التركمان، اذ بقـيت

مهارة تربية الخيول إرثا لهم كابراً عن كابر، حتى ان الموسرين الآن من الاسر التركمانية لهم خيول اصيلة، مما يدل ان الفروسية كانت وما زالت متجذرة في المجتمع

339 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب
340 الاستاذ فؤاد الافندي

التلعفري، فلا غرابة اذن ان تستعين بهم السلطات العثمانية مثلاً في القتال الى جانبها في حروبها على الخارجين عن نظامها واعادة الامن الى مناطق التمرد

2- المصارعة او كما يطلق عليها (گوله شماغ) في لهجة تلعفر، مارسها التلعفريون عبر سنوات طويلة منذ قدومهم من اواسط آسيا وبلاد اذربيجان والاناضول واستقرارهم في تلعفر، وتحمل هذه اللعبة في مدلولاتها ايضاً مدى انعكاس حياة البداوة والقسوة والعنفوان على طبائع المجتمع [341]

3- ملاّ داد، هذه اللعبة يمارسها الفتيان (حصراً) ممن تتراوح اعمارهم بين 12 - 15 سنة، وهي لعبة عنيفة الى حد ما، ولم اجد لها شبيهاً او نظيراً في المجتمعات العربية المحيطة بتلعفر، فهي لعبة تلعفرية بإمتياز، ينقسم فيها المشاركون الى فريقين او مجموعتين، تحاول المجموعة الاولى الاختفاء عن انظار افراد المجموعة الثانية (الذين يجلسون مجتمعين على هيئة حلقة) قدر الامكان، بينما يكلف رئيس المجموعة الثانية بالبحث عنهم يرافقه عضو من المجموعة الاولى يطلق نداءات تحذيرية لأقرانه المختبئين ويقوم بذكر اسماء الاماكن والبيوت والمحلات المعروفة لتنبيه افراد فريقه

وحالما تسنح لأفراد الفريق الأول الفرصة المواتية، يخرجون من مخابئهم دفعة واحدة ويتوجهون الى افراد الفريق الثاني الجالسين ويشبعونهم ضرباً بالايادي دون ان يسمح للفريق الثاني بالمقاومة حسب قوانين اللعبة، وما عليهم سوى ان يطلقوا صرخة الاستغاثة الشهيرة: (ملا داد - ملا داد - ملا داد)[342] عدة مرات حتى يسمعها رئيس مجموعتهم الذين يكون في العادة بعيداً عنهم، لكنه حالما يسمع الصرخة يهبّ مذعوراً إليهم لنجدتهم

هنا تبلغ اللعبة ذروتها وحيويتها عندما يصل الرئيس (يكون في العادة اكبرهم سناً) لنجدة افراد مجموعته فيقوم بالامساك بحبل طويل يكون طرفه الآخر عند احد افراد الفريق الجالسين، عندها يتفرق افراد الفريق الاول المهاجمون ويبتعدون عنهم الى مسافة ليست ببعيدة ويتحينون الفرص افراداً او مجتمعين لمعاودة الضرب، لكن رئيس الفريق المقابل يقوم بالدفاع عن فريقه محاولاً ركل اي عنصر من المهاجمين بقدمه مع عدم تخليه عن الحبل، وعندما يتمكن من ركل احد اعضاء الفريق المهاجم يستسلم البقية لتنعكس الآية فيصبح المهاجمون مدافعين ويصبح المدافعون مهاجمين وسط اجواء من المرح والمودة بينهم

4- قليج قالخان (السيف والترس)، هذا النوع من الرياضة كان يمارس في مختلف الأعمار، وفيه تعليم ضمني لفنون القتال وترسيخ روح العسكرية في ابناء المجتمع، هذه الخاصية التي جعلت من التلعفري مقاتلاً بارعاً يتقن كيفية الدفاع عن مدينته دون الاستعانة بآخرين،

341 الاستاذ فؤاد الافندي

342 كلمة (داد) فارسية تعني المظلوم ثم استخدمت للدلالة على صرخة المظلوم واستغاثته طلباً للعدل، وقد لاحظنا استخدام كلمة (داد) للدلالة على وزارة العدل او الكاتب العدل عند الاكراد السورانيين

وهي ميزة العنصر التركي عموماً

5- قچاخچى قولچى، لعبة عنيفة اخرى نوعاً ما تشبه الى حد بعيد لعبة الشرطي واللص المعروفة، اختص بها الذكور ايضاً، لما فيها من مطاردات وكمائن واستعمال كل أنواع المكر والذكاء، وفيها كذلك افكار لحماية المنتوج الوطني ومحاربة البضائع الفاسدة التي تدخل البلد من بلد آخر

6- قورتنان چوبان (لعبة الذئب والراعي)، هذه اللعبة فيها معانٍ عظيمة جداً، وتعليم على الشعور المبكر بالمسؤولية، مسؤولية الحاكم او الرئيس تجاه شعبه ورعيته لحمايتهم من الاعداء

7- چير اويونى، لعبة اخرى مستوحاة من روح العسكرية التركمانية، تعلم النشء الجديد كيفية وضع الخطط الحربية المباغتة وتنفيذها بدقة، اذ تقوم اللعبة على حفرٍ حفرة صغيرة على الارض ثم رسم حلقة دائرية اخرى على بعد خمس خطوات تقريباً منها، ومن ثم تبدأ المباراة ويحاول كل طرف احتلال حفرة المركز اولاً

8- قارش قورمة، على الرغم من شيوع هذه اللعبة لدى البنات، لكنها تعطينا دروساً بليغة في الحفاظ على الجبهة الداخلية للمجتمع من خلال تعليمهن تدريجياً كيفية عبور الصعاب واجتياز العوائق والتغلب على المشقات والمحن التي تخلفها الحروب غالباً

9- قيقّانى اويونو، لعبة لطيفة جدا يمارسنها بنات تلعفر في الماضي تحمل في طياتها تثقيف الجيل الجديد والاعتزاز بتأريخه وثقافته التي تميزه عن الآخرين، يقفن البنات على شكل دائرة، ثم تنبري احداهن لتلقي شعراً او نشيداً او قصة من تاريخ اجداد التركمان وتعداد مفاخرهم، او تروي قصة حب بين عاشقين اثنين، ومن ثم تردد البقية كلامها بصورة جماعية مصحوباً بحركات رياضية تعبيرية لمضمون حديثهن

10- صاخلان باج (لعبة الاختفاء)، لعبة مشتركة بين الجنسين لكنها اكثر شيوعاً عند البنات، وقد ورثها التلعفريون من اقرانهم في تركمانستان واذربيجان والاناضول، وهي منتشرة في عموم مناطق توركمن ايلى[343]

وهناك ألعاب اخرى مارسها التلعفريون واشتركوا فيها مع المجتمعات الاخرى المجاورة لهم منها السباحة التي مارسوها في التجمعات المائية المتيسرة في تلعفر كعين صوباشى وحيو گولو وفطوگولو وترسة آرخ وسلمى دره ... الخ، كما مارسوا رياضة العدو او الركض (ساگرماغ) وكانوا يحددون اماكن انطلاقهم ونقطة النهاية ويقررون على اثرها الفائز، كما مارسوا لعبة الحاح (العصا والبلبلة) وبيش قوم (الحصوات الخمس) والتبل (الدعبل) والمسراح (المصراع) وخانه خانه (الحالوسي)، ومارسوا ايضاً ألعاب الرهان مثل الفر والزهر والطاولى (النرد) ... الخ

343 الاستاذ فؤاد الافندي

البيت التلعفري

ان هندسة البيت التلعفري هي ذاتها التي عرفها اسلافنا السومريون والآشوريون والبابليون وغيرهم من الشعوب التي استوطنت العراق منذ القدم، والمتمثلة بفناء واسع (الحوش) مفتوح وغير مسقّف، تقوم حوله حجرات البيت وبقية ملحقاته، وهو النمط المعروف عندنا بـ (البناء الشرقـي)

كان الجص (كراج) والحجر هما العنصران الاساسيان في بناء البيوت لدى سكان تلعفر، الامر الذي منح جدران البيت مقاومة تقلبات الطقس وتأقلمه مع تغير المناخ في الصيف والشتاء، فالجص والحجارة من المواد البطيئة الايصال للحرارة والبرودة فتساعد في معالجة الظروف المناخية القاسية، كما ان سمك الجدران الذي قد يصل الى متر واحد جعلها تقاوم عاديات الزمن والبقاء اطول مدة ممكنة مع الحفاظ على متانتها

كان الجص يصنّع محلياً بواسطة افران حجرية عملاقة تسمى (الكور) او (مخطـر) بلهجة تلعفر، كانت تبنى في اطراف المدينة بعيداً عن العمران، وكان من اشهرها الاكوار التي كانت موجودة في طوپ تپه (حي الربيع حالياً) اذ توضع كميات كبيرة من حجر الكلس (قاية) في الكور وتسلط عليه درجات حرارة هائلة حتى تتفتت وتتحول تدريجياً الى مسحوق ناعم ، اما الحجر فكان يجلب من التلال والاودية المنتشرة في اطراف المدينة، بعد تقطيع الصخور من قبل اناس اختصوا بهذه المهنة الشاقة

نموذج لبيت تلعفري قديم في محلة القلعة

كانت حجرات البيت متصلة فيما بينها وغالباً ما يتوسطها الايوان وهو فراغ كبير بين غرفتين يتميز بسقفه العالي قياساً الى سقوف الغرف الاخرى، ويكون مفتوحاً على الحوش وعلى شكل تجويف والذي كان يعد بمثابة الهول في التصاميم الحديثة، اما غرفة الضيوف (الاستقبال) فكان موقعها قرب الباب الخارجي للبيت وغالباً ما كانوا يهتمون بها وبتنسيقها ونظافتها لأنها تعكس الوجه الحقيقي لأهل الدار، ونادراً ما كان البيت التلعفري يخلو من السرداب (سه رباد)، الذي يبنى تحت غرف البيت، يحفظون فيه المؤن ويلجؤون إليه هرباً من حر الصيف اللاهب

وعادة ما كانت سقوف الغرف تبنى بأسلوب العقدة (عاقط آگمه) والتي تشبه الكرة بمهارة فائقة، إذ يتم البناء فوق الجدران الاربعة بإمالة البناء الى الداخل والاعلى، ثم على شكل حلقات متتالية تنتهي في مركز الغرفة العلوي، ويدلّى (جنگال) من اعلى السقف لتعليق الحاجيات فيما بعد[344]

هناك نوع آخر من الغرف اختص بها الشيوخ والوجهاء والاثرياء وهو الـ (اوده) وهي غرفة كبيرة المساحة بمنزلة الديوانية او مجلس عشائري مصغر للمحلة الواحدة يتداولون فيها امور حياتهم اليومية ويحلون قضاياهم ومشاكلهم بالاضافة الى تسامرهم فيها ليلاً، وغالباً ما كانت الـ (اوده) تفتح ابوابها لإستقبال المعزين من مناطق تلعفر المختلفة عند حدوث حالة وفاة في اية اسرة من المحلة اذا كان بيتها صغيراً لا يتسع لجموع المعزين

كما تميز البيت التلعفري بوجود ما يعرف بـ الـ (خشم او خشيم)، وهو فراغ يُترك بين السطح وسقف الغرفة من جهة الايوان، كان يستخدم لخزن الحنطة والشعير، وله فتحتان دائريتان صغيرة واحدة في السطح كي يتم املاؤه بواسطتها، اما الفتحة الاخرى فكانت عند اسفل الايوان او الحوش حتى يتم سحب الحنطة منها عند الحاجة، وربما استخدم الـ (خشم) لتربية الطيور فيكون عتدئذٍ له باب واحد مستطيل الشكل يطل على حوش الدار[345] او يستخدم مثلاً لحفظ وقود التنور

ملحقات البيت

لم يكن المطبخ في البيت التلعفري بمفهومه المعاصر الآن، فربّة البيت كان بوسعها الطبخ في اي مكان تراه مناسباً في باحة الدار او تحت الدرج او اي مكان آخر، وغالباً ما كانت تختار ركناً بعيداً في احد اركان الحوش لا تصله اشعة الشمس، وكانت تستخدم الـ (اوجاغ) للطبخ وهو موقد طيني له ثلاثة ركائز ويسجّر ناره بالحطب او البعرور او اي شيء فائض عن الحاجة قابل للإشتعال بعد اضافة كمية من النفط إليه

اما الحمّام فلم يكن اكثر من زاوية ضيقة في احد اطراف الدار يبنيه الموسرون فقط

344 أزهر العبيدي، الموصل ايام ومان، الطبعة الثالثة، 2010، ص92
345 المصدر السابق، ص84

، اما غير الموسرين فكانوا يتوجهون الى حمام المدينة الوحيد لغرض الاستحمام، كذلك الحال بالنسبة للمرافق الصحية التي عرفها التلعفريون في زمن متأخر نسبياً، ولم يكن من المستغرب قضاء التلعفري حاجته على الطريق العام او في ركن منه، اما النساء فكن يخرجن ليلاً الى اماكن خارج المدينة لقضاء الحاجة بعيداً عن الانظار والعيون

سطح البيت

احتل سطح الدار اهتماماً ملحوظاً من سكان تلعفر وخاصة في مواسم الصيف حيث سهراتهم الاسرية ومتنفسهم السياحي في ايام الحر، كما كانوا يفضلون تناول طعام العشاء فيه، ويتوج كل ذلك نوم هانئ تلقى فيه اعياء الحياة ومشاكلها جانباً، وهو تقليد درج عليه معظم سكان العراق

وكان استخدام الاسطح المقببة للغرف من اجل اغراض مناخية وانشائية ونفسية، فهي تحد من الحرارة المتسربة داخل المباني بسبب الفراغات الداخلية الكبيرة وتسمح للهواء بالحركة بحرية ضمن الفراغ الكبير في المباني الامر الذي يلطف الجو الحار صيفاً، وتخفف الضغط والثقل على الجدران الجانبية وتزيد من تماسكها، اضافة الى جماليتها وشكلها المريح [346]

ولتجنب ركود مياه الامطار وتجمعها على الاسطح، كانت توضع المزاريب (مارزب) المصنوعة من الصفيح او التنك لتصريف هذه المياه إما الى فناء الدار الداخلي او الطريق الخارجي العام

دويز بورنو

لم يعرف اجدادنا البيت ذا الطابقين وربما كانت الاعراف والتقاليد احد اسباب عزوف التلعفريين عن بناء طبقة ثانية للبيت بإعتباره بذخاً واسرافاً، او بسبب العامل الاقتصادي المتمثل بضيق يد الغالبية العظمى من السكان، وقد استعاضوا عن الطابق الثاني بغرفة صغيرة او غرفتين في احدى زوايا السطح (كوشك) لخزن ما يفيض من اثاث البيت او لأغراض اخرى

346 المصدر السابق، ص83

كما تميز سطح البيت التلعفري الثاني (كوشك) بطراز يكاد يكون فريداً من نوعه يشبه البيتونة في الطراز المعماري الحديث وهو المعروف محلياً بـ (دويز بورنو)[347] ورثه البنّاء التلعفري من العهد العثماني وتمتاز به البيوت القديمة في السراي وآسكى حسنكوي وقسم من محلة الصو، وبواسطته يتم الاتصال بين السطح الاول وسطح الـ (كوشك)

عادة ما تنتهي حواف السطح المطلة على المحلة بسياج حجري لا يتجاوز ارتفاعه - غالباً - المتر الواحد، اما تلك الحواف المطلة على فناء الدار فتكون اقل ارتفاعاً وغالباً ما كان يصنع من الحديد (شلمان)، وقد حرص التلعفريون على تخصيص مكان للأبريق او الشربة في هذا السياج على الدوام

الباب في البيت التلعفري القديم

كانت ابواب البيت التلعفري تصنع من مادة الخشب السميك سواءً باب البيت الخارجي (حاوش قاپسى) او ابواب الغرف الداخلية وفق الشكل الموجود في الصورة المنشورة، فلم يعرف التلعفريون الابواب المصنوعة من الحديد حينها، وينقش الباب الخارجي بمسامير كروية سوداء، وحرص التلعفريون على تعليق ستارة (پردة) من قماش خلف الباب الخارجي مباشرة لحجب انظار المارة عندما يكون الباب مفتوحاً بإستمرار

الدقاقة والمسامير الكروية على الباب[348]

وكان ابرز ما يميّز الباب الخارجي للبيت الدقّاقة وهي قطعة معدنية من الحديد على هيئة حلقة كانت تثبّت في الجزء العلوي من الباب الخارجي على قاعدة من صفيح حديدي كي يسمع صوتها اهل الدار عندما يطرق الباب طارق او ضيف او غريب، اي ان الدقاقة كانت تقوم مقام الجرس في ايامنا الآن، واغلب الابواب كان فيها نوعان من الدقاقة: كبيرة يستخدمها الرجال، فيعرف اهل الدار من خلالها ان الزائر رجل، فيقوم رب الدار او احد ابنائه بفتح الباب، واخرى صغيرة يستخدمنها النسوة، عندها تقوم ربّة المنزل او احدى بناتها بفتح الباب

347 معناها الحرفي (انف الخنزير) ولم استطع الوصول الى سبب هذه التسمية الغريبة
348 الاستاذ عادل عبد القادر هزو

والملاحظ على تصميم الابواب في تلك الفترة ايضاً انها تكون على شكل قوس من الاعلى، لأن القدماء من اهالي مدينتنا كانت تربطهم علاقات تجارية واجتماعية متينة مع البدو، وهؤلاء البدو كانوا يستخدمون الجمال في تنقلاتهم، فجُعلت الابواب مقوسة من الاعلى لكي يسهل دخول الجمال الى البيوت عند قدومهم [349]

ومن مكملات الباب الخارجي عتبة الدار، وهي بناء مستطيل موضعه عند اسفل الباب الخارجي من جهة الخارج ويكون ملتصقاً بالارض، اما وظيفة العتبة فإنها تمنع تسرب المياه من الخارج الى الدار

ولأن باب الدار الخارجي هو المدخل الاساس للبيت الذي يجلب إليه السعادة او التعاسة معاً، فقد انتبه التلعفريون الى خطورته وفق منظورهم الشعبي المتوارث الذي كان وما زال يميل الى الخرافة وطرد الحسد والارواح الشريرة، فتراهم قد علّقوا في مقدمة أبواب بيوتهم الخارجية تمائم ذات احجام وهيئات مختلفة، أو خرزاً معدنية أو قرون حيوانات أو حذاءً او نعلاً قديماً[350]

الباب المقوس من الخارج

وتمتاز بيوت التلعفريين من الخارج بتلاصقها وضيق افرعها وطرقاتها الداخلية، كما ان في وسع المرء ان يرى القناطر الجميلة بوضوح، والقنطرة (قنطرمه) هي البناء الذي يربط بين بيتين متقابلين من الاعلى، وتكون لها شبابيك تطل على الطريق العام، وقد استخدم لأغراض مختلفة منها سهولة الانتقال بين البيتين دون الاضطرار الى

349 الاستاذ عادل عبد القادر هزّو

350 وعرف التلعفريون نوعاً آخر من الابواب يمكن تسميته بالباب الموسمي او الثانوي اذ كان استخدامه مقتصراً على فصل الشتاء فقط، كانت مادة الباب الرئيسية هي قطعة سميكة من المطاط (النايلون) تغطي الجزء العلوي من الباب، اما الجزء السفلي فكان يغطّى غالباً بخشب الساج (فيبر) او المعاكس، مع اطار خشبي من جوانبه الاربعة ومن منتصف الجزء العلوي ايضا، وكان يثبت امام باب الغرفة الرئيسي ويتصل به عبر سلك حلزوني (سبرنك) مما يؤدي الى انسداده تلقائياً بعد فتحه مباشرة، والغاية من ذلك هو الاحتفاظ بدرجة حرارة كافية لتدفئة الغرفة

الخروج منهما، كذلك اعتبرت غرفة اضافية من ملحقات البيت مما يتيح التفرج على الطريق العام وخاصة النساء، كما كانت اماكن استراحة مثالية ومضيفاً لسكان المحلة اضافة الى فائدتها في التخفيف من حر الصيف وبرد الشتاء

لكن اهم ميزة للقنطرة في محلات تلعفر القديمة هي استخدامها اداة للرصد والمراقبة خشية من هجوم مفاجئ على المحلة من قبل الاغراب او من المحلات الاخرى يوم ان كانت الصراعات العشائرية والمحلية قائمة بين اهاليها لأسباب مختلفة ابرزها الصراع على السلطة في المدينة بين عشيرتي السادة وألاي بك[351]

قنطرة في احدى محلات تلعفر القديمة

351 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

النشاط الاقتصادي

إن ابرز نشاط اقتصادي مارسة السكان في تلعفر - خلال فترة دراستنا - الزراعة اولاً ثم الرعي في المرتبة الثانية، الى جانب ممارستهم حرفاً وصناعات يدوية بسيطة، لكنها وجدت للإكتفاء الذاتي وظلت محصورة في نطاق محلي ضيق دون قدرتها على منافسة الانشطة الصناعية الموجودة في الموصل والمدن المجاورة

النخيل في تلعفر

كان سكان تلعفر حتى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي مشهورين بزراعة النخيل في منطقة الجزيرة، وتسويق منتوجه الى اسواق الموصل ودير الزور في القطر السوري الشقيق، وقد ذكر جملة من المؤرخين والرحالة نخيل تلعفر، منهم الاصطخري الذي عاش وتوفي في القرن الرابع الهجري، الثامن الميلادي في كتابه (المسالك و الممالك): ((وليس بالجزيرة بلد به نخيل سوى سنجار، إلاّ ان يكون على الفرات وبهيت والانبار وتل أعفر)) [352]

اما المؤرخ ياقوت الرومي الحموي فيذكرفي كتابه (معجم البلدان) الذي ألّفه اواخر الحكم العباسي للعراق بين سنتي (1220 - 1224 م): ((وبها نخيل كثير يُجلب رطبه الى الموصل)) [353]

وعند حديث المؤرخ الموصلي ياسين العمري عن تلعفر في كتابه المخطوط (غاية المرام) قال ما نصه: ((وكان بها نخل كثير والآن اغلب اشجارها التين والرمان))[354]

كما وجدنا ان الرحالتين هرتسفيلد وسارا يذكران ((النخيل في تلعفر والوادي الذي ينمو فيه)) في احدى رحلاتهما [355]

وفي موروثنا الشعبي منطقة في تلعفر كانت تعرف حتى زمن ليس ببعيد (خورمالخ او خورمالغ) اي ذات النخيل، وهي منطقة شاسعة كانت عامرة بأشجار النخيل وكانت تضم محلات ومناطق كثيرة في المدينة امتداداً من سوق الايزيدية قرب رأس الجادة الى گراج الحيو ومحلة چولاق وچلبي وچرك ومنطقة السينما في محلة گرگري، بل امتدت منطقة خورمالخ الى الجنوب الغربي من محلة السراي ومحلة صو ومحلة آل حيو[356]

وقد ذكر الاستاذ نجات كوثر اوغلو منطقة خورمالغ في كتابه (معجم المواقع

352 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص40
353 ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص39
354 ياسين خير الله العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة دار البصري، بغداد، بلا تاريخ، ص95
355 فردريك سارا وارنست هرتسفيلد، المصدر السابق، ص207
356 الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

العراقية بأسماء

تركمانية)، فقال ما نصه: ((خورمالغ، اسم منطقة في مركز قضاء تلعفر قديماً وبالاخص ايام الدولة العباسية، كانت في المنطقة بساتين النخيل تمتد من منطقة باب سنجار الى امام سعد وسينما تلعفر والسعدية (يقصد المنطقة التي فيها مدرسة السعدية او سكينة بنت الحسين)، سميت بإسم تركي اي منطقة النخيل)) [357]

ولكن نتيجة للتغيرات المناخية التي طرأت على المنطقة وتحول المناخ من الاجواء الحارة الى الاجواء الباردة تدريجياً اختفت زراعة النخيل في تلعفر ولم يبقَ فيها سوى عدد قليل من اشجار النخيل التي تذكرنا بالماضي الجميل

بساتين التين والرمان

يعود تاريخ البساتين الى الآف السنين يوم كانت وقفاً للالهة عشتار معبودة الآشوريين،[358] وتمتد على مساحات خضراء واسعة الى الجنوب من مركز قضاء تلعفر اذ تغطي قرابة خمسمائة (500) دونم من الاراضي الخصبة مزروعة بأجود انواع اشجار التين والرمان التي تشتهر بها تلعفر

ولقد كان للرحالة والمؤرخين انطباعاتهم الحسنة وشهاداتهم الحية لها .. اذ يصف الرحالة البريطاني Budge في كتابه (رحلات الى العراق) الذي كتبه سنة 1899 م بساتين تلعفر بالقول: « تطيف بها بساتين وسيعة يكثر فيها شجر الفاكهة .. »[359] ويشير هنري لايارد سنة1841 م الى وجود اشجار التفاح والنخيل والزيتون بالاضافة الى التين والرمان في هذه البساتين[360]

كما يشير الى ذلك الاستاذ عبد الرزاق الحسني في كتابه (العراق قديما وحديثا): « تسيل مياه هذا الينبوع في وادٍ يقسم تلعفر الى قسمين فتحوله الى مزارع واسعة من التين والرمان »[361]

تسقى البساتين ومنذ القدم من مياه عين تلعفر (صوباشى) .. يقول لايارد: « يجري من اسفل القلعة نهير صغير يسقي بساتين المدينة ..»[362]، ويعتمد نظام الإرواء على توزيع البساتين الى مقاطعات (بولگه) تروى حسب جدول زمني دقيق وبصورة دورية كل اسبوع بحيث ان كل بستان يسقى اربع مرات في الشهر

357 نجات كوثر اوغلو، المصدر السابق، ص109
358 عبد الجبار محمد جرجيس، المصدر السابق، ص135
359 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص89
360 Austen Layard Nineveh and Its remains . New York , 1849 , p: 257-259
361 عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص261
362 Austen Layard-p259

واشهر هذه المقاطعات هـي:

ديشيرى بولگسه

پرچه باغ بولگسه

نه ردان بولگسه

اورطا قوروغ بولگسه

سـيدلار بولگسه

كانٍ التين والرمان الى زمن قريب جداً يصدر ويباع في الموصل اذ كان يدخل منافساً قوياً لمحاصيل التين والرمان المنتوجة في القرى المجاورة للموصل، ومن اشهر انواع التين في بساتين تلعفر .. اغ اغاج .. قزلار اغاجه .. اوزون اوزون .. احمد قره .. اصلام اغاجه .. شور قره ... الخ

اما اشهر انواع الرمان فهي .. ديوه دشه .. قزل بوين .. قرمز چدنه .. قاطر باشه .. ككره شرن .. ميز اغاجه ...

حيّـو گولو في بساتين تلعفر

والى جانب اهميتها الاقتصادية فإن للبساتين قيمة جمالية وبيئية وترفيهية، فهي بمناظرها الطبيعية تسر الناظرين وفي سحر جمالها راحة للنفوس وإدخال للبهجة في القلوب، كما انها تساهم في التخفيف من تلوث الجو ومكافحة التصحر، اضافة الى تقديمها خدمات ترفيهية بالمجان لشباب تلعفر حيث يقضون فيها الساعات الطوال لغرض النزهة او تعلم انواع معينة من الرياضة البدنية وممارستها كالسباحة مثلاً في البرك والتجمعات المائية الممتدة من عين صوباشى (خالل بك - قانه - حيّـو گولو - سلمى دره - فطّـو گولو [363]

363 لم يقتصر وجود البساتين على مركز قضاء تلعفر فحسب، بل وجدت ايضاً في النواحي التركمانية التابعة لتلعفر والقرى المحيطة بها مثل بساتين آفكني وبساتين المحلبية وبساتين قرية الشيخ ابراهيم وبساتين قرية فقة وبساتين العبرة الصغيرة ... الخ وكانت تنتج الى جانب التين والرمان، التوت والزيتون والعنب

بالاضافة الى ذلك فأن مياه صوباشى كانت تسقي مساحات واسعة من الاراضي المزروعة بالخضراوات والفاكهة كالبطيخ والرقي والتفاح والزيتون والعنب، اضافة الى زراعة القطن حسب الاعراف المحلية التي كانت سائدة بين فلاحي تلعفر

زراعة القمح (الحنطة والشعير)

آثرنا تأجيل الكلام عن زراعة الحنطة والشعير الى هذا الموضع من دراستنا لأن النشاط الزراعي الخاص بهذين المحصولين ظل محدوداً حتى اواخر الحكم العثماني وبداية ايام الاحتلال البريطاني، على الرغم من ان مجتمع تلعفر كان وما زال يوصف بأنه مجتمع زراعي وعلى الرغم - ايضاً - ان السالنامة العثمانية سنة 1330 هـ / 1912 م ذكرت أن اهالي البلدة مستقرون وليسوا رحالة يشتغلون بالزراعة وتربية الحيوانات

فالنشاط المحموم والحقيقي لزراعة الحنطة والشعير بدأ فعلياً بعد سنة 1349 هـ / 1930 م وبصورة واضحة جلية اثر ظهور الالات الزراعية الحديثة بدلاً من الحيوانات التي كانت تستخدم للحراثة والحصاد [364]

كانت الارض الزراعية تزرع ديماً، اي اعتماداً على تساقط الامطار، وكان مناخ تلعفر ملائماً لهذا النوع من الزراعة بسبب خصوبة معظم اراضيها واراضي القرى المجاورة لها، وارتفاع معدلات كميات الامطار الساقطة التي تتراوح ما بين 150 - 250 ملم في مناطقها الشمالية، و150 ملم في جنوبها في السنة، اما معدل كمية الامطار الساقطة في منطقة الجزيرة فيتراوح بين 300 - 400 ملم سنوياً

وهناك سبب آخر يتمثل بكونها في منأى عن خطر فيضانات دجلة المستمرة بسبب ارتفاع اراضيها واراضي قراها المجاورة عن مناسيب مياه الفيضان

وكانت الارض الزراعية ملكاً للآغا او الاقطاعي، والفلاحون يعملون عنده لقاء اجور بسيطة، وقد ترسخت سيطرة الآغا على الارض الزراعية بعد صدور نظام الطابو (التسجيل العقاري) سنة 1287 هـ / 1871 م حيث قام الأغوات في تلعفر والمتنفذون فيها بتسجيل الاراضي الزراعية والقرى المحيطة بالمدينة بأسمائهم [365]

364 ظلت الزراعة مهنة التلعفريين الرئيسة حتى منتصف ستينيات القرن العشرين، عندما بدأ تحولهم التدريجي الى ممارسة التجارة التي ليس فيها تلك الجهود البدنية الجبارة مقابل ربح اوفر من الزراعة، كما كان لظهور الوظائف الحكومية العامة عن طريق جيل جديد من (افندية تلعفر) دوره في التقليل من الاعتماد على الزراعة

365 موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 4، المصدر السابق، ص 243

وكان نظام الالتزام العثماني[366] يرهق كاهل الفلاح التلعفري كثيراً، اذ كان الآغا غالباً ما يبتزه ويأخذ منه مبالغ فوق طاقته بل واكثر من قيمة الضريبة الاصلية

وبعد زوال الحكم العثماني ومجيء الانكليز طرأ تحسن ملحوظ على حالة الفلاح التلعفري، إذ تشير الى ذلك المس بيل [367] بالقول:

كان السكان في تلعفر ينقسمون الى فرق يترأس كلاً منها آغا من الاغوات، كان يقال أنهم يملكون الارض (نظرياً)، اما عملياً فلم يكن الفلاحون يدفعون الى هؤلاء الاغوات حق الطابو مطلقاً، مع انهم كانوا يقدمون مساعدات طفيفة للضيافة وما شابه [368]

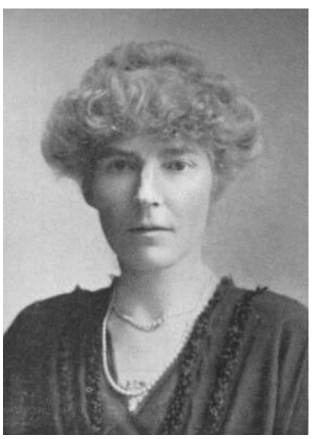

المس بيل

ان سكان تلعفر كانوا يعتمدون بالدرجة الاولى في حياتهم المعاشية على الزراعة، وكانت الاراضي تعد ملكاً للرؤوساء (الاغوات)، بينما كان الفلاحون هم الذين يتصرفون فيها في الحقيقة، وكانت العلاقة بين الفلاحين وملاّك الاراضي علاقة حسنة غالباً، اذ ان الاهالي كانوا قد تعودوا على طاعة رؤوسائهم منذ امد بعيد

كما كان المُلاّك يحسنون الى الفلاحين ويحسمون مشاكلهم حسب العادات والتقاليد الموروثة، ويشير الاستاذ قحطان عبوش الى ان الحالة الاقتصادية للفلاح التلعفري - عموماً - قد تحسنت بعض الشيء بعد زوال الحكم العثماني والتقليل من تطبيق نظام الالتزام [369]

366 نظام الالتزام العثماني، يعني جباية الاموال والضرائب من عامة الشعب وخاصة الفلاحين، ومن ثم ارسالها الى السلطان العثماني، وكان يتولى هذه العملية عادة طبقة من الاثرياء الذين يتعهدون بجمع الضرائب من الفلاحين، وكان الالتزام يتم على الاغلب بطريقة المزايدة العلنية، اي ان الثري يقوم بدفع المبالغ المالية مسبقاً الى السلطات ثم يقوم بجبايتها من الفلاحين

367 المس بيل هي گيرترود بيل (1868 - 1926 م) والتي عرفت بين العراقيين بـ(الخاتون)، باحثة ومستكشفة وعالمة آثار، أول ماعملت موظفة ادارية في شركة الهند الشرقية التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية التي تعادل دائرة الأستخبارات الخارجية، وكانت تبدي اهتمامها باحثة آثارية ومهتمة بالعشائر والعادات العربية والعراقية، ثم صارت المستشارة الأولى للحاكم البريطاني وسكرتيرة المندوب السامي البريطاني في العراق السير برسي كوكس أثناء الإحتلال البريطاني للعراق سنة 1917م، وبقيت في العراق حتى وفاتها فيه سنة 1926م ، وكتابها (فصول من تاريخ العراق القريب) عبارة عن مذكراتها لفترة الاحتلال البريطاني للعراق بين سنتي 1914و1920 وهو يبين وجهة نظر الحكومة البريطانية في المجمل مع تعليقات وتصحيح من قبل المترجم والمعلومات الواردة في الكتاب ليست بالضرورة ان تكون صحيحة

368 المس بيل، المصدر السابق، ص171

369 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص34

طريقة الحراثة (فلحان)

استخدم الفلاح التلعفري طريقة بدائية في حراثة الارض بإستخدام زوج من البغال (او الحمير احياناً) وربطه بالمحراث، ومن ثم يقوم بمسكه بينما تقوم البغال بسحب الآلة، ويقوم الفلاح بين فترة واخرى بتنظيف سكة المحراث من الاوساخ والاطيان العالقة بها اثناء عملية الحراثة، ويستمر في العمل بجد ونشاط حتى يتمكن من حراثة الارض بصورة مثالية ومن ثم تهيئتها للبذار في الموسم القادم

وكان الفلاح يقضي مدة اربعة اشهر تقريباً في حراثة الارض بدءً من شهر تشرين الثاني وحتى مناسبة خضر الياس في شهر شباط، ويحرث ما مجموعه مائة وعشرة دونمات لتنتج قرابة ثلاثة اطنان من الحبوب بعد الحصاد، ويقوم الفلاح ببذر البذور بيده ثم يعيد الحراثة عليها ليتم دفنها جيداً

عملية الحصاد

يزرع الفلاح - كما اسلفنا - الحنطة والشعير، واحياناً يقوم بزراعة العدس ايضاً ولكن بكميات اقل من القمح، ويبدأ الحصاد في شهر ايار بالنسبة لمحصول الشعير، اما محصول الحنطة فيتم حصاده في شهر حزيران، وتتم عملية الحصاد بواسطة المنجل او الحاصودة اليدوية (اوراغ)

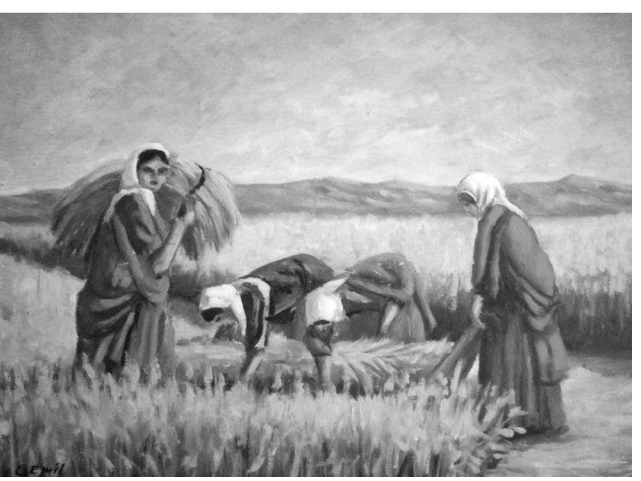

لوحة تمثل الحصاد في تلعفر ويظهر فيها زي المرأة التلعفرية التراثي

بعد الانتهاء من عملية الحصاد ينقل المحصول بواسطة البغال او الحمير، ويوضع المحصول على آلة خشبية تسمى (شَخرة) تكون على هيئة الرقم ثمانية (8) ويصنع طرفي الشخرة على شكل مدرجات لكي يسهل حمل المحصول الى بواسطتها ارض البيادر (خه رمان)، ثم تجرى عملية اخرى للمحصول تسمى (الدياسة) اي فصل الحب عن السيقان والسنابل وتستخدم لهذا الغرض آلة خشبية اخرى تسمى (جرجر) يسحبها زوج من الدواب

وفي ختام عملية الحصاد يقوم الفلاح بذري المحصول في الهواء الطلق - ويكون ذلك غالباً في يوم قوي الرياح - لتصفية الحبوب من التبن والاوساخ التي تعلق بها، وبعد تصفية المحصول يقوم الفلاح بنقله الى داره بواسطة البغال[370]

370 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص170، والحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلي آل وهب

الثروة الحيوانية

اهتم التلعفريون بتربية الاغنام ورعيها بالدرجة الاساس[371]، واستفادوا من لحومها وألبانها واصوافها، اما الابقار والبغال والحمير فكان الاهتمام بها ثانويا، وقد استخدموها في تنقلاتهم داخل المدينة او مع قراها، وكذلك استفادوا منها في الزراعة والحراثة ونقل المحصول من البيادر الى البيوت

ومن النادر تربية الجمال او اقتناؤها في مدينة تلعفر، اما الثيران فلم نجد لها اثراً بالمرة عند السكان، كما اشتهروا بتربية الخيول الاصيلة التي تقاوم التقلبات المناخية واحوال الطقس من برودة وحرارة واستخدموها في معاركهم ومطارداتهم وحماية قوافلهم التجارية وتنقلاتهم ومسابقاتهم الترفيهية في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية

الصناعة

مارس التلعفريون حرفاً صناعية بسيطة كان الغرض الاساسي منها سد احتياجاتهم اليومية والاكتفاء الذاتي منها، فقد كانوا يصنعون ملابسهم وفرشهم وبسطهم واغطيتهم بأيديهم بواسطة آلات الحياكة اليدوية المعروفة حينها والتي من اشهرها الجومي (جولحة) - كما في الصورة ادناه - وكانت النساء يستخدمن المغزل اليدوي لتحويل الصوف الى خيوط بطريقة احترافية جميلة

امرأة تعمل في آلة الجومي

371 كان بعض ملاك الاغنام يودعون قطيعهم لدى البدو لتربيتها بعد ان يضعوا عليها (وسم) لتمييزها

ونادراً ما كانوا يستوردون الملابس الجاهزة المصنعة من خارج تلعفر، باستثناء بعض الانواع من الالبسة المنسوجة من الحرير والچوخ[372]، التي اختص بها الاثرياء منهم والشيوخ وذوي الوجاهة فيهم[373]، اما الاقمشة الخام فكان من الشائع استيرادها من الموصل والقامشلي وديـار بكـر

وشاع عندهم أيضاً ما يعرف بـ (اللباد) وهو نوع قديم جداً من الاقمشة استخدمه السكان في صناعة الفرش المختلفة والاغطية التي استخدموها في منازلهم، وكذلك يدخل في صناعة الاحذية والخيم والسجاد

التجـارة

على الرغم من وقوع تلعفر على طريق القوافل التجارية بين الموصل والشام، لكن مزاولة سكانها للتجارة ظلت هي الاخرى في نطاق محدود جداً، ربما اقتصرت على بيع الفائض من محصولي الحنطة والشعير والتجارة بالاغنام والخيول، ولعل من اسباب ذلك، طبيعة المجتمع التلعفري الذي كان يتسم بالبساطة في اساليب المعيشة والاكتفاء ذاتياً بما تنتجه ايادیهم

وابرز المدن التي كان لتلعفر علاقات تجارية معها هي الموصل بالدرجة الاساس نظراً لقرب موقعها الجغرافي، ثم نصيبين ودير الزور وماردين وجزيرة ابن عمر، وكانت قوافلهم التجارية تصاحبها كوكبة من فرسان تلعفر وخيالتها الاشداء لحمايتها من قطاع الطرق الذين كانوا ينتشرون على طول طرق القوافل التجارية لسلبها[374]

اما المعاملات التجارية الداخلية فإن السالنامة العثمانية المؤرخة سنة 1312 هـ / 1894 م تشير الى وجود ثمانين دكاناً في سنجار وتلعفر معاً، مما يعكس ضعف الاداء التجاري آنذاك، وكانت الدكاكين منتشرة ومتفرقة في محلات تلعفر، اذ تأخر افتتاح سوقها الكبير حتى سنة 1924 م في عهد القائممقام مصطفى محمود العمري

372 الچوخ، نوع من الاقمشة الفاخرة التي تصنع من الصوف
373 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص167
374 المصدر السابق

الحياة الادبية والثقافية

يقول الاستاذ صبحي ساعتجى:

أهل تلعفر مصدر مهم للثقافة التركمانية العراقية، وحريّ بالباحثين أن يدرسوا عمق تراثهم الشعبي، فهم محافظون على تراثهم ولديهم موروث غني من الشعر المغنّى والاغاني والالعاب الشعبية والازياء وألعاب الاطفال وعادات الاعراس والاحتفالات[375]

لكن هذا الموروث الغني ضاع اغلبه بسبب الاهمال وعدم التدوين، فمن النادر ان تجد في مجتمع قبلي من يهتم بتدوين مفردات الحياة العامة وتوثيق مظاهرها الاجتماعية والادبية والثقافية علاوة على احوالها السياسية، لذلك فإن ما وصلنا في هذا الشأن قليل جداً قياساً الى عمر تلعفر التأريخي وعراقتها

في هذه الفترة ظهر في تلعفر العديد من العلماء والادباء والشعراء الذين ذاع صيتهم في ارجاء البلاد، احتفظت الذاكرة المكتوبة بالاسماء التالية:

الشهاب التلعفري

هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلعفري (593 - 675 هـ / 1196- 1276 م)، المولود في الموصل وقيل في تلعفر، وهو من كبار الشعراء في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، وكانت له شهرة واسعة في حسن النظم ورقة الأسلوب[376]

مدح الملوك والاعيان وكان خليعاً معاشراً امتهن القمار، وكان كلما اعطاه الملك الاشرف موسى بن ابي بكر الايوبي قامر به حتى طرده، فانتقل الى حلب ومدح العزيز غياث الدين فأحسن إليه وسلك معه ذلك المسلك - اي المقامرة - فنودي في حلب ((من قامر مع شهاب الدين قطعت يده)) فضاقت عليه الارض، ثم ارتحل الى دمشق ولم يزل يقامر ثم نادم صاحب حماه الى ان توفي فيها ... [377]

قيل عنه: انه كان ذكياً فطناً حافظاً لأيام العرب واخبارها، قيماً بالشعر مقدماً فيه عند ادباء عصره وانه كان من الشعراء المجيدين ولا يقل شعره رقة عن اكابر الشعراء الذين مالوا الى الغزل اكثر من غيره، له ديوان طبع عدة مرات سنة 1310 هـ / 1892 م وسنة 1326 هـ / 1908 م في بيروت [378]

375 صبحي ساعتجى، المصدر السابق، ص93

376 د/ ناظم رشيد، الحياة الأدبية في القرنين السادس والسابع الهجريين في: موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص 164

377 القس سليمان صائغ، تاريخ الموصل، الجزء الثاني، المطبعة الكاثوليكية - بيروت، 1928، ص122

378 المحامي عباس العزاوي، ج1، المصدر السابق، ص286

روى ابن حجة الحموي إن الأديب نور الدين علي بن سعيد الأندلسي (ت 685 هـ / 1286 م) حينما ورد الى الشام اجتمع بالشاعر بهاء الدين زهير (ت 656 هـ / 1258 م) وسأله أن يوجهه الى طريقة يتعلم بها نظم الشعر الغرامي فقال له: ((طالع ديواني الحاجري والتلعفري، وأكثر المطالعة فيهما، وراجعني بعد ذلك ، فغاب عنه مدة وأكثر من مطالعة الديوانين الى أن حفظ غالبهما، ثم اجتمعا بعد ذلك وتذاكرا في الغراميات))، وهذا ما يؤكد أن شعر التلعفري قد راج سوقه وكثر طالبوه وارتاد الدارسون مناهله

وكان التلعفري يملك قدرة جيدة في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وقابلية عالية في توفير الموسيقى العذبة لشعره المتأتية من الملاءمة بين الألفاظ من جهة وحروف الألفاظ من جهة أخرى، الى جانب المواءمة بين الألفاظ والمعاني سواء كان ذلك في القصيد أم الموشح بحيث تستهوي القارئ وتبعده عن السأم الذي يلاقيه في الشعر الذي أصابه العقم وضمور العواطف وخمود المشاعر [379]

مختارات من شعره:

قلبي ذهبت لبعدكم راحته ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لما بـه شـامته لا كان فراقكم ولا ساعتـه
ليس يروى ما بقلبي من ظمأ غير برق لائح من أضم

إن تبدّى لك بان الاجرع
وأثيلات النقا من لعلع

يا خليلي قف على الدار معـي وتأمل كم بها من مصرع
واحترز واحذر فأحداق الدمى كم أراقت في رباها من دم

حظ قلبي في الغرام الولهُ فعذولي فيه مالي ولهُ
حسبي الليل فما اطوله لم يزل آخره اولهُ
في هوى اهيف معسول اللمى ريقه كم قد شفى من ألمِ

379 د/ ناظم رشيد، موسوعة الموصل، المصدر السابق

يا شيب كيف وما انقضى زمن الصبا عاجلت مني اللمة السوداء
لا تعجلن فو الذي جعل الدجى من ليل طرتي البهيم ضياء
لو انها يوم الحساب صحيفتي ما سر قلبي كونها بيضاء [380]

الموفق التلعفري

موفق الدين مظفر بن محمد التلعفري، فيلسوف من الشعراء، من اهل (تل أعفر) من حصون سنجار، له تصانيف في الفلسفة، رحل الى الموصل وبغداد ثم عاد الى بلده ثم اقام قي سنجار عند اصحابها بني مودود وتصدّر للإقراء

وخرج هارباً من صاحبها الى حرّان وفيها الملك الاشرف موسى، فلقي من اكرامه ما حبّب إليه البقاء، وحضر معه احدى المعارك فوقع وارتضّ جسده ثم مات سنة 602 هـ / 1205 م، ولا يعرف بالضبط تاريخ ولادته

محمد بن جوهر التلعفري

ابو عبد الله محمد بن جوهر بن محمد بن مالك الصوفي المقرئ المجوّد، ولد في تلعفر سنة 615 هـ / 1218 م، وارتحل الى الاقطار والامصار للقراءة والإقراء وجوّد القرآن على عدد من الاشياخ، وانتفع به خلق كثير واخذوا عنه، واشهر من اخذ عنه الإمام الذهبي (رحمه الله)، وقد صنف التلعفري مقدمة في التجويد كتبها عنه تلميذه الامام الذهبي وقرأها عليه، كما قرأ عليه جزءً من الحديث، وتوفي (رحمه الله) في صفر من سنة 696 هـ / 1296 م ودفن في دمشق[381]

البدر ابو محمد حسن بن علي بن حسن بن علي التلعفري

هو ابن القاضي علاء الدين المشرقي الاصل ثم التلعفري الدمشقي الشافعي والد محمد وعبد الرحيم، ويعرف بالمحوجب كان ابوه قاضي تلعفر من نواحي الموصل، ولد البدر ابو محمد فيها (اي في تلعفر) ثم ذهب الى دمشق قبل ان يكمل العاشرة من عمره مع والده، فاشتغل في الفقه والقراءات والعربية والفرائض

ويذكر عباس العزاوي ان من شيوخ البدر ابي محمد، العلاء التلعفري احد تلامذة

380 سليمان الصائغ، ج2، المصدر السابق، ص123
381 معجم الشيوخ المعجم الكبير، الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج2، مكتبة الصديق، ط1، 1408 هـ / 1988 م، ص181

إبن تيمية ... فصارت له يد في الفرائض والقراءات وبراعة في الشروط مع الضبط لدينه ودنياه والوجاهة في العدالة، ثم لزم بآخره مسجد الخوارزمي من القبيبات الى ان مات سنة 814 هـ / 1411 م نحو التسعين [382]

الشيخ مراد التلعفري

ذكره المؤرخ ياسين العمري في (غرائب الاثر) ووصفه بالرجل الصالح المجذوب وزعم ان له كرامات، دون اي ذكر لتفاصيل اخرى عن حياته او علمه سوى ذكره ان وفاته كانت سنة 1202 هـ / 1787 م [383]

بينما يضيف السيد محمد يونس السيد عبد الله الى ذلك بالقول: انه كان يتكلم التركية وله اشارات خفية وكرامات عديدة، ودفن في مقبرة مجاورة لمرقد نبي الله شيت (عليه السلام) خارج سور الموصل [384]

ويسرد المؤرخ الموصلي ياسين العمري (رحمه الله) في مخطوطته (غاية المرام في تاريخ بغداد دار السلام) مجموعة من اسماء الشعراء المنسوبين الى تلعفر مع ذكر نماذج مختارة من اشعارهم:

خضر بن عبد الحق التلعفري

ويقول عنه العمري انه اوحد اهل عصره شعراً واوفاهم ذكراً، توفي سنة 753 هـ / 1352 م، ومن شعره:

زار الحبيب وقد اشفى ميتمه على التلاقِ فأحيا ميت اشجاني

وبدّل البعد قرباً والصدود رضا فرحتُ انعم في روح وريحانِ [385]

جمال الدين بن علي بن الحسن التلعفري

الشاعر الذكي والعالم الزكي - حسب وصف العمري - له علم وافٍ وفضل كافٍ، وتوفي سنة 761 هـ / 1359 م وله ديوان شعر منه:

382 عباس العزاوي، ج2، المصدر السابق، ص312-311
383 ياسين العمري، المصدر السابق، ص19
384 محمد يونس السيد عبد الله، المصدر السابق، ص59
385 ياسين خير الله العمري، غاية المرام، المصدر السابق، ص90

لو لم تدر بيمينه الاقداحُ دار بمقلته علينا الراحُ
قمر لنا من حسن نبت عذارةِ وبخده الريحان والتفاحُ
يا جوهري الثغر لا ومضعف من كسر جفنيك ما القلوب صحاحً
فعلتْ بنا الالحاظ والاعطاف ما لا تفعل الاسياف والارماحُ
أجمال وجهك قال غير مراقبِ ؟ أهجرٌ وصدٌّ فما عليك جناحً[386]

اسعد بن يحيى السلمي التلعفري

احد الشعراء المتقدمين، صاحب النظم الرائق، توفي سنة 775 هـ / 1373 م، ومن شعره:

ومهفهف حلو الشمائل فاتر الالحاظ في طاعة وعقوقْ
وقف الرحيق على مراشف ثغره فجرى به من خده الراووقْ [387]

الماولية

تجمع مذهبي كبير في تلعفر، وهو اسم يدل على معتنقي الطريقة البكتاشية، ينحدرون من العرق التركي وهذا التجمع موجود بوضوح ويتسمون بطابع ثقافي تركي صرف، وما زالوا محتفظين بأهداب ادب الغزل والموسيقا الشعبية وبعاداتهم الاجتماعية المتميزة[388]

ويشير الاستاذ قحطان عبوش ايضاً الى اصلهم التركي فيذكر في معرض الحديث عن دولتي قرة قوينلو وآق قوينلو والدولة الصفوية، ان جماعات صغيرة في تلعفر ينتمون الى هؤلاء التركمان وربما كانت الماولية من بقاياهم [389]

كما يؤكد الاستاذ شاكر الضابط اصلهم التركي بالقول: إن عشائر الماوليّة وهم من التركمان

يسكنون لواء الموصل وتلعفر بكثرة ... [390]، ويعرف عن الماولية في تلعفر انهم اوفياء ونزيهون وهم محبوبون في الوسط الاجتماعي وما زالوا محتفظين بتراثهم، ولهم

386 ياسين العمري، غاية المرام، المصدر السابق، ص91
387 المصدر السابق
388 صبحي ساعتجى، المصدر السابق، ص35
389 قحطان احمد عبوش، المصدر السابق، ص12
390 شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان، المصدر السابق، ص56

آلة وترية يسمونها الطمبورة ينشدون على انغامها القصائد المغناة [391]

إن هؤلاء يعطوننا انموذجاً حياً للثقافة التركية التي نشأوا عليها واحتفظوا بها وحملوها معهم الى تلعفر، رغم انهم اصبحوا اقلية في المجتمع التلعفري ومنعزلين عنه، وهي في مجملها ثقافة السكان في المدينة - ولو ان معظم ملامحها قد اندثر - كما انها مشابهة لثقافات الشعوب التركية الاخرى عموماً

على اية حال فإنه من الصعب جداً ان تجد في تلعفر مغنياً او موسيقياً او عازفاً، فهو مجتمع جاد ورجولي يرى في هذه الامور انتقاصاً من قيم الرجولة وطعناً في سمعة الانسان الذي يمتهن هذه الصنعة وكل ما استطعنا الحصول عليه ابياتاً متناثرة من الشعر كانت تنشد في المناسبات الدينية لا سيما المولد النبوي والمناقب النبوية والتي منها:

يا مصطفى يا مجتبى اهلا وسهلا مرحبا
أي انبيالر سرورى أي اوليالر رهبرى
أي انس وجن بيغمبرى اهلا وسهلا مرحبا
گونش جمالي گوره يم يايكة بوزلر سوره يم
يولكه جانلر ويره يم اهلا وسهلا مرحبا[392]

وايضا:

محمد دنيايه گالده بو گيجه نورو رحمان طاهر اولده بو گيجه
ملائكالار صف صف اولوب دوردولر امينة يى طواف ايتدى بو گيجه[393]

اما اغاني الاعراس والمناسبات الاجتماعية الاخرى التي كانت تصاحب الدبكات الشعبية، فمن المحتمل انها ضاعت او نسيت قبل ان يدونها او يوثقها احد، مما تسبب في اندثار هذا الارث التاريخي وحرمان الاجيال اللاحقة منه

391 صبحي ساعتجى، المصدر السابق، ص38
392 معنى الابيات: يا قدوة الانبياء، يا مرشد الاولياء، يا نبي الانس والجان، اهلا وسهلا مرحبا، لأرى طلعتك البهية كالشمس، ولأمرّغ وجهي حباً بك، افدي لك الارواح، اهلا وسهلا مرحبا
393 ترجمة البيتين: في هذه الليلة اطلّ محمد على الدنيا، وفي هذه الليلة اضاء نور الرحمن، اصطفت الملائكة تيمناً به، وفي هذه الليلة طافوا حول آمنة (ام الرسول عليه الصلاة والسلام)

الملاحق

منقولة من كتاب الاستاذ عبد الجبار محمد جرجيس (نينوى، ماضيها وحاضرها) مع بعض الاضافات اليسيرة من عندنا، بإستثناء الملحق رقم (4) الذي هو من ابداع احد ابناء تلعفر

ملحق رقم (1)

مدراء بلدية تلعفر

ت	الاسم	سنة التكليف	سنة الانتهاء
1	قدّو خليل عاصي فرحات	1915	1917
2	ملكو آغا مجدل علي الدولة	1917	1922
3	يونس عزيز عباس ألاي بك	1922	1934
4	خلف حسين	1934	1935
5	محمد يونس السيد عبد الله وهب	1936	1939
6	خليل سيد عبد الله وهب	1949	1950
7	محمد سليم الحاج إلياس حيّو	1952	1954
8	محمد نور رشيد حمو	1968	1972
9	علي عبد الله إبراهيم	1977	1982
10	يونس احمد عليوي	1985	1987
11	جاسم تبان وردي	1987	1989
12	هاشم محمد يونس السيد عبد الله	1991	1994
13	عبد الغني جاسم التكريتي	1994	1996
14	محمد صالح عجّانة	1996	2004
15	محسن حسين زين العابدين چولاق	2004	.....

ملحق رقم (2)

مدراء الشرطة في تلعفر

ت	الاسم	سنة التكليف	سنة الانتهاء
1	الرائد شرطة طه خليل	1959	1960
2	الرائد شرطة إلياس عباس سبع	1960	1961
3	النقيب شرطة محمد وجيه	1961	1962
4	الرائد شرطة إلياس عباس سبع	1962	1963
5	الرائد شرطة عبد الله شاهين	1963	1963
6	الرائد شرطة محمود حسين الدليمي	1963	1964
7	الرائد شرطة حسن عطار	1964	1965
8	الرائد شرطة لقمان سليم الخياط	1965	1966
9	المقدم شرطة فاضل توفيق	1966	1968
10	المقدم شرطة سعد الله البيار	1968	1969
11	الرائد شرطة فيصل العادل	1970	1971
12	الرائد شرطة وعد الله عزيز	1971	1973
13	المقدم شرطة عبد الحميد الراوي	1973	1973
14	النقيب شرطة خير الدين أيوب	1973	1974
15	العقيد شرطة جمال الصالحي	1974	1974
16	الرائد شرطة محمد عوني	1974	1977
17	المقدم شرطة إبراهيم زيدان	1977	1977
18	المقدم شرطة خير الدين أيوب	1977	1982
19	المقدم شرطة صبري بكر	1982	1985
20	المقدم شرطة وضّاح السبعاوي	1985	1987
21	العقيد شرطة محمد حامد	1987	1988
22	المقدم شرطة سامي داود الطائي	1988	1989
23	المقدم شرطة حكمت محمود	1989	1990
24	المقدم شرطة مؤيد يونس	1990	1991
25	المقدم شرطة زكي حمد	1991	1994
26	العقيد شرطة حسين ذياب علي	1994	1994
27	المقدم شرطة صبحي مصطفى	1994	1996
28	العميد شرطة زكي حمد يونس	1996	2000
29	العميد شرطة طارق محمود	2001	2003
30	العميد شرطة موفق محمد شربة	2003	2004
31	العميد شرطة إسماعيل الفارس	2004	2005
32	العميد نجم محمد عبد الله الجبوري	2005	2006

ملحق رقم (3)

قائممقامو قضاء تلعفر

ت	الاسم	سنة التكليف	سنة الانتهاء
1	محي الدين بك (أول وآخر قائممقام عثماني في تلعفر)	1918	1918
2	عبد الحميد بن صالح افندي الدبوني ثم حسن فائق، توليا المنصب تحت مسمى (وكيل الحكومة)، ثم شغلت المنصب مجموعة من الضباط الانكليز تحت مسمى (معاون الحاكم السياسي) وهم على التوالي: الميجر بروميللو والملازم كرتين والميجر بولي والميجر بارلو والكابتن فلاكسمان والكابتن رنتن والكابتن كرتين (للمرة الثانية)، والكابتن بيفرس	1918	1921
3	إبراهيم بكر افندي (أول قائممقام عراقي)	1921	1921
4	مصطفى بيك العمري (اول قائممقام في العهد الملكي)	1922	1924
5	حسن غصيبة	1924	1925
6	شاكر فهمي	1925	1926
7	مصطفى بك محمود العمري	1926	1928
8	جميل التكريتي	1929	1930
9	محمد ياسين	1931	1932
10	فخري نازي	1933	1934
11	حسين عوني	1934	1935
12	صبري سعيد	1935	1936
13	علي غالب	1936	1937
14	مردان بيك	1937	1937
15	مكي ابراهيم شربتي	1937	1938
16	شاكر سليم	1938	1939
17	مصطفى اليعقوبي	1939	1940
18	ناجي الهرمزي	1940	1940
19	عبد الحميد الدبوني	1940	1941
20	احمد سامي الدبوني	1941	1941
21	يونس عوني	1941	1942
22	شاكر الهرمزي	1942	1943
23	محمد جواد الاوقاتي	1943	1944
24	حكمت امين الهاشمي	1944	1945
25	شوكت احمد	1945	1946
26	توفيق حاج عذار	1946	1948
27	برهان الدين اسعد	1948	1951
28	فاضل النوري	1951	1951
29	ناظم الونداوي	1951	1954

30	عبد القادر بابان	1954	1957
31	محمود البكري	1957	1958
32	أنور مصطفى عاصم (أول قائممقام في العهد الجمهوري)	1958	1959
33	عبد المجيد القره غولي	1959	1959
34	محمد علي الشيخ	1959	1960
35	محمد علي الزوين	1960	1961
36	احمد قاسم المفتي	1962	1966
37	حقي توفيق العجاج	1966	1967
38	سامي كامل مسعود	1967	1968
39	خليل ياسين عباس آل جراد	1968	1971
40	عدنان احمد فتحي	1971	1973
41	غانم عبد الرزاق العذيباني	1973	1978
42	سعيد سليمان سعيد	1978	1982
43	محمد مصطفى يونس	1982	1985
44	كامل عبد النبي جوهر	1985	1985
45	ممتاز هاشم جاسم	1986	1989
46	عواد كاظم الزبيدي	1989	1991
47	ذياب حنفيش محمد	1991	1994
48	قيس عبد الكافي حسين	1994	1994
49	علاوي نصيف جاسم	1994	1995
50	العميد محسن صالح حمكي عبوش (تولى المنصب ثلاثة اشهر (وكالة) ثم توفي بصورة مفاجئة، وهو اول تلعفري يتولى هذا المنصب)	1996	1996
51	سامي سلمان داود	1995	1999
52	العميد جبار محمود عطيفي	1999	2001
53	طارق احمد حسن	2001	2003
54	محمد امين عثمان عبد الله آل ملا جبلاّرّ (أول قائممقام بعد سقوط النظام البعثي، وأول قائممقام منتخب في تاريخ تلعفر)	2003	2004
55	العميد الركن محمد رشيد حميد خدّو همّات	2004	2005
56	اللواء نجم عبد الله محمد الجبوري	2005	2009
57	الدكتور عبد العال عباس جمعة آل عبّوش	2009	مستمر في الخدمة

ملحق رقم (4)

تقويم محلي خاص بمدينة تلعفر واطرافها

إن الفلاح التلعفري بسبب اعتماده على الظروف الطبيعية في اعمال الحراثة والزراعة والحصاد، اخذ يراقب احوال المناخ وتقلبات الطقس ليهتدي الى الطرق المناسبة والاساليب الصحيحة في مزاولة هذه الاعمال، وقد هداه الله بعد المراقبة والتفكير الى وضع توقيتات محلية فيها دقة عجيبة قلما نجدها في المجتمعات الزراعية المجاورة لتلعفر

جمع الاستاذ نور الدين بلال علي قره باش احد ابناء تلعفر والمدرس في اعدادية تلعفر للبنين في هذا الجدول نتاج ثلاثة من افذاذ تلعفر كرسوا جزءً كبيراً من حياتهم في وضع هذه المواقيت التي نضعها بين يدي القارئ ليطلع على ارث ابائه واجداده

الفصول واحداثها	تقويم محمد آغا	تقويم يونس ملحم	تقويم عزيز احمد
بداية فصل الشتاء وبداية قتّة قش	29/11	26/11	29/11
اطول ليلة واقصر نهار في السنة	22/12	.....	21/12
نهاية قتّة قش	24/12	21/12	23/12
بداية قش جلاسه (الاربعينية)	23/12	22/12	24/12
بداية عنتر العرب (9 ايام)	22/1	19/1	23/1
نهاية عنتر العرب	30/1	27/1	31/1
بداية عنتر تلعفر (9 ايام)	31/1	28/1	1/2
نهاية قش جلاسه	2/2	3/2	1/2
بداية قره قش (الشتاء الاسود 25 يوماً)	3/2	31/1	2/2
نهاية عنتر تلعفر	8/9	5/2	9/2
سقوط جمرة الهواء وخضر إلياس	20/2	17/2	19/2
سقوط جمرة الماء	27/2	24/2	26/2
نهاية قره قش ونهاية فصل الشتاء	27/2	24/2	26/2
بداية فصل الربيع وبداية آغ سباط (14 يوماً)	28/2	25/2	27/2
سقوط جمرة الارض	6/3	2/3	5/3
بداية برد العجوز (8 ايام)	10/3	6/3	9/3
نهاية آغ سباط	13/3	6/3	9/3
بداية شهر آذار	14/3	10/3	14/3
نهاية برد العجوز	17/3	13/3	16/3
تساوي الليل والنهار (نوروز)	21/3	.....	21/3
ظهور سنابل الشعير	.....	.....	27/3
نهاية شهر آذار	12/4	9/4	12/4
بداية شهر نيسان	13/4	10/4	13/4
نهاية شهر نيسان	13/5	10/5	10/5

بداية شهر ايار	14/5	11/5	11/5
نهاية الربيع ونهاية شهر ايار	29/5	26/5	29/5
بداية فصل الصيف وبداية قتّة ياز (25 يوماً)	30/5	27/5	30/5
اطول نهار واقصر ليل في السنة	22/6	.....	21/6
نهاية قتّة ياز	23/6	21/6	23/6
بداية ياز جلاسه (الاربعينية)	24/6	22/5	25/6
بداية عنتر العرب (9 ايام)	22/7	30/7	21/7
نهاية عنتر العرب	30/7	7/8	29/7
بداية عنتر تلعفر (9 ايام)	31/7	8/8	30/7
بداية قصّة ياز (26 يوما)	3/8	1/8	4/8
نهاية عنتر تلعفر	8/8	16/8	7/8
نهاية الصيف ونهاية قتّة ياز	28/8	25/8	28/8
يداية الخريف	29/8	26/8	29/8
تساوي الليل مع النهار	23/9	.....	23/9
رفع الماء عن بساتين تلعفر	18/10	15/10	18/10
نهاية الخريف	28/11	25/11	28/11

ملاحظة

1- عندما تكون السنة كبيسة يكون مجموع ايام السنة 366 يوماً، يضاف يوم واحد لقره قش، وشهر شباط يكون 29 يوماً

2- كل فصل من فصول السنة 91.25 يوماً

3- قش بمعنى الشتاء

4- ياز بمعنى الصيف

5- قُتّة ياز اي الصيف القصير

المصـادر

أولاً / الكتب

1- إبن الاثير، عزالدين محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بإبن الاثير الجزري، الكامل في التاريخ، المجلد الناسع، الطبعة الرابعة، راجعه وصححه الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1423 هـ / 2003

2- إبن كثير الدمشقي الحافظ ابو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية في التاريخ، الجزء الثاني عشر، مكتبة المعارف، بيروت، 1412 هـ / 1991 م

3- ابو مخنف، لوط بن يحيى الازدي، مقتل الحسين ومصرع اهل بيته واصحابه في كربلاء، المشتهر بـ (مقتل ابي مخنف) مطبعة الالفين، الطبعة الثانية، الكويت، 1408 هـ / 1987 م

4- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ

5- الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، معجم الشيوخ المعجم الكبير، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة الصديق، 1408 هـ / 1988 م

6- أزهر العبيدي، الموصل أيام زمان، الطبعة الثالثة، 2010

7- د/ حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الارشاد، 1965م

8- حميد المطبعي، رحلتي الى شمال العراق، بغداد، 1986

9- خورشيد باشا، رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وايران، ترجمة وتقديم: مصطفى زهران، 2009

10- رزوق عيسى، مختصر جغرافية العراق، الطبعة الاولى، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، 1922

11- رشيد الخيون، تلعفر عشق التنقل بين الغزاة وهذه العودة العصية، من كتاب: تركمان العراق تاريخهم ومناطقهم وثقافتهم، عمل جماعي من اعداد الباحثة زاهية النجفي، الطبعة الأولى، دار الكلمة الحرة - بيروت، 2009

12- س. موستراس، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، الطبعة الاولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1423 هـ / 2002 م

13- القس سليمان صائغ، تاريخ الموصل، الجزء الاول والثاني، 1342 هـ / 1923 م

14- سليم مطر، موسوعة اللغات العراقية، معلومات لغوية وادبية عن التركمانية، سلوى البياتي، دار الكلمة الحرة، بيروت، 2009

15- د/ سيّار الجميل، زعماء وافندية، الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب، الطبعة العربية الاولى، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، 1999 م

16- شاكر صابر الضابط، بحث تاريخي حول عشيرة البيات، ترجمة: نجات كوثر اوغلو، الملحق الثاني، دكتور بهجت حيدر البياتي، (عشيرة البيات)، منشورات مجلس التركمان، الطبعة الثانية، كركوك، 1425 هـ / 2004 م

17- شاكر صابر الضابط، موجز تاريخ التركمان في العراق، الجزء الاول، من 54 هـ / 673 م الى

27 ذي القعدة 1377 هـ / 14 تموز 1958 م، الطبعة الثانية، طبع على نفقة الجبهة التركمانية العراقية، كركوك 2007

18- صبحي ساعتجي، القبائل والعشائر التركمانية في العراق ومناطق سكناهم، ترجمة: أ . أرشد الهرمزي، مؤسسة وقف كركوك للثقافة والابحاث، الطبعة الاولى، 2010

19- صديق الدملوجي، اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل - العراق، 1368 هـ / 1949 م

20- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الاول الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، الطبعة الثانية، 2012

21- د/عامر سليمان و د/محمد أزهر السماك، ود/توفيق اليوزبكي، و د/ إبراهيم خليل، و د/احمد قاسم الجمعة، و د/سطّام الجبوري، و أ/ عبد الجبار محمد جرجيس، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، الموصل، 1986

22- عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزأين الاول والثالث، بغداد، 1353 هـ / 1935 م

23- عبدالجبار جرجيس، نينوى، ماضيها وحاضرها، الطبعة الاولى، العراق - الموصل، 1433 هـ/2011م

24- عبد الرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، الطبعة الثالثة، بغداد، 1958

25- أ.د / علي شاكر علي، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر، دراسة في اوضاعها السياسية والادارية والاقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان - الاردن، 1431 هـ / 2011 م

26- الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الخامس، بلا

27- د/ عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي)، النجف، مطبعة الآداب، 1975

28- عبد الماجود احمد السلمان، الموصل في العهدين الراشدي و الاموي، الطبعة الاولى، منشورات مكتبة بسام ، 1406 هـ / 1985 م

29- الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل دراسة في الدبلوماسية العراقية - الانكليزية - التركية وفي الرأي العام، رسالة الدكتوراه التي قدمها المؤلف الى جامعة إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1952، الطبعة الثالثة، مطبعة اشبيلية - بغداد، 1977

30- فريدريك سارا و آرنست هرتسفيلد، رحلة اثرية في مناطق الفرات ودجلة، الجزء الاول ، ترجمة الدكتور: صبحي انور رشيد، بلا تاريخ

31- د/ فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980
د/ قحطان احمد سليمان الحمداني، قبيلة بني حمدان، دار العباد للطباعة والنشر، بغداد، 2015 م

32- قحطان احمد عبوش التلعفري، ثورة تلعفر 1920 والحركات الوطنية الاخرى في منطقة الجزيرة، مطبعة الازهر - بغداد، 1388 هـ / 1969 م

33- كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بلا تاريخ

34- د/ ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار القلم للنشر

والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، الطبعة الثالثة، 1423 هـ / 2002 م
35- مجموعة من المؤلفين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983
36- مجموعة من المؤلفين، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد الاول، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1412 هـ / 1991 م
37- محمد يونس السيد عبد الله السيد وهب، تاريخ تلعفر قديماً وحديثاً، الجزء الاول ، مطبعة الجمهورية - الموصل، 1387 هـ / 1967 م
38- المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، الطبعة الاولى، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1431 هـ / 2010 م
39- د/ نائل حنون، مدن قديمة ومواقع اثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، الطبعة الاولى، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، 2009
40- نجات كوثر اوغلو، معجم المواقع العراقية بأسماء تركمانية، تعريب: حسن كوثر، مؤسسة وقف كركوك، 2014
41- د/ نوري طالباني، منطقة كركوك ومحاولة تغيير واقعها القومي، الطبعة الثالثة، اربيل، بلا تاريخ
42- نيقولا سيّوفي، رحلة نيقولا سيوفي 1873، نشرها تيسير خلف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2009
43- ياسين خير الله العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، مطبعة دار البصري، بغداد، بلا تاريخ
44- ياسين افندي العمري، غرائب الاثر في حوادث الموصل في القرن الثالث عشر، الموصل، 1359 هـ / 1940 م
45- ياسين بن خير الله الخطيب العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، بلا تاريخ
46- يمامة اسماعيل صالح العبيدي، تلعفر في العهد الملكي 1921 - 1958، دراسة تاريخية (رسالة ماجستير)، الموصل، 2012

ثانياً / المجلات:

47- سالم الآلوسي، طرق القوافل في شمال العراق، مجلة سومر، العدد الاول، المجلد العاشر، 1954
48- بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة الرابي بنيامين بن يونة التطيلي، مجلة سومر، العدد الثاني، المجلد الثامن، 1952
49- حبيب الهرمزي، تلعفر التركمانية وأول ثورة ضد الاحتلال الاجنبي في العراق، مستشار في مركز الشرق الأوسط للدراسات الاستراتيجية (أورسام) تحليلات - الشرق الأوسط السنة الأولى - العدد الخامس، 2012
50- علي الشيخ التلعفري، الازياء الشعبية في تلعفر، مجلة التراث العربي، العدد الثالث، تشرين الثاني 1971 م

ثالثاً / مواقع الانترنيت:

51- د/ إبراهيم العلاف، تقرير السيد مصطفى بك العمري قائممقام قضاء تلعفر (1923 - 1926)، من ارشيف اوراق متصرفية لواء الموصل ذي الرقم 4/3/2/ 7
52- د/ عبد الرحمن جمال الكاشغري، حول اللغة الاويغورية التركية، مدونة بخاريون
53- د/ عروبة جميل محمود، التعليم في الموصل في اواخر العهد العثماني
54 - د/ علي ثويني، التركمان واللغة التركمانية في الثقافة العراقية
55 - د/ علي ثويني، المدائن العراقية، النشأة والتسميات
56- قحطان قره باش ، لغة سكان تلعفر في الوثائق العثمانية
57- مارك سايكس، رحلاتي الثلاثة الى الموصل، 1906 م
58- د/ محمد بسام يوسف، الصفويون والصفوية
59 - وميض عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية، عن وثيقة بريطانية
60 - بحوث الكتابات القديمة القومية في الصين، دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية، طـ 1984 بالصينية
61- Austen Henry Layard ، Nineveh and Its remains . New York , 1849
62- Fattah, Hala; Caso, Frank (2009), "Turkish Tribal Migrations and the Early Ottoman State", A Brief History of Iraq, Infobase Publishing, ISBN 0-8160-5767-2
63- IRAQ, the BISI journal
64- Stansfield, Gareth R. V. (2009), Crisis in ؛- Anderson, Liam D. Ethnopolitics of Conflict and Compromise, Kirkuk: The University of Pennsylvania Press, ISBN 0-8122-

رابعاً / المقابلات الشخصية والمراسلات عبر الانترنيت:

65- أ/ ذنون قره باش، كاتب وصحفي واعلامي
66- أ/ سعيد عباس اوغلو، باحث ومهتم بالتراث التلعفري
67- أ/ عادل عبد القادر اسماعيل هزّو، مثقف مهتم بالتراث التلعفري
68- الحاج عبد الرحمن حمّو صالح قلّي آل وهب، معمّر ومن الرواة النادرين في تلعفر
69- أ/ فؤاد الافندي، باحث في تأريخ تركمان العراق وتلعفر
70- أ/ نور الدين بلال علي، مدرس في اعدادية تلعفر للبنين

الفهرس

الموضـــوع	الصفحـة
شكر وتقدير	
المقدمة	
الموقع والمساحة	
أسماء تلعفر	
لغة سكان تلعفر	
تلعفر في العصر القديمة	
يأرم تبه	
تل الرماح	
تل طاية	
تل ابو مارية	
تلول الثلاثات (اوج تبة)	
قرمز دره	
المغزلية	
تلعفر في العصور الإسلامية	
الفتح الإسلامي	
العصر الاموي	
العصر العباسي	
هل ساهم التلعفريون في الحروب الصليبية ؟	
وصف ياقوت الحموي تلعفر في كتابه (معجم البلدان)	
المغول الإيلخانيون	
الجلائريون او الإيلخانات	
تيمور لنك	
قره قوينلو	
آق قوينلو	
الصفويون	
الدولة العثمانية	
التلعفريون ينصّبون قاسم العمري والياً على الموصل	
حملة محمد باشا (اينجع بيرقدار) على تلعفر ١٢٥٧ هـ / ١٨٤١ م	
مدحت باشا	
السلطان عبد الحميد الثاني	
الاحوال العامة لتلعفر في هذه الفترة	
تأسيس المدرسة الابتدائية العثمانية الاولى في تلعفر	
موقع المدرسة	
الوصف العام لبناية المدرسة	
كيفية صنع الطباشير	
نظام المدرسة واوقات الدوام فيها	

مفردات الدراسة	
معلمو المدرسة	
الاتحاد والترقي	
خلال الحرب العالمية الاولى	
الاحوال العامة	
تأسيس اول بلدية في ناحية تلعفر	
الحملة على الإيزيديين في سنجار	
قائممقامية قضاء تلعفر	
التشكيلات العسكرية في تلعفر نهاية الحكم العثماني	
تلعفر من الناحية الإدارية في العهد العثماني	
المحلات السكنية في تلعفر نهاية الحكم العثماني	
اولا / المحلات الفوقانية	
محلة القلعة	
محلة حسنكوي	
محلة السراي	
ثانياً / المحلات التحتانية	
محلة سنجار	
محلة الجلبي	
محلة الكركري	
محلة كرد علي	
محلة جولاق	
محلة صو	
محلة قنبردره	
الإحتلال البريطاني	
مراسيم توديع القائممقام العثماني	
الحكام السياسيون في تلعفر وبعض أعمالهم	
الإدارة في عهد الإنكليز	
الأوضاع الإقتصادية العامة	
وقفات مع ثورة تلعفر ١٩٢٠ م	
التمهيد	
أسباب الثورة	
بدء العمليات العسكرية	
أبرز أسباب فشل ثورة ١٩٢٠ في تلعفر	
لماذا سمّيت إحداث سنة ١٩٢٠ بـ (قاجة قاج) ؟	
هل كانت الثورة في صالح تلعفر واهلها ؟	
تلعفر قبيل الحكم الملكي	
مظاهر الحياة الاجتماعية	
العلاقات الاجتماعية	
الجار الجديد	

الزواج	
مقدمات الزواج او الخطبة (نشنه ماغ)	
التحضير ليوم الزفاف	
احضار العروس	
الدشلك او السنية	
الهولك	
الختان (سنات)	
المناسبات والاعياد الدينية	
قدوم رمضان	
طقوس العيدين (الفطر والاضحى)	
عمل الكليجة	
طقوس العيد الشعبية	
المولد النبوي	
الاعياد الموسمية	
خضر الياس (خديراز)	
عيد البيض الملون (قرمز مرطه بيرامى)	
الازياء الشعبية	
الازياء الرجالية	
العقال العربي	
زي المرأة التلعفرية	
الاطعمة	
البرغل	
عملية طحن الحنطة	
عمل الشعرية (آرشته)	
عمل الخبز (جوراك يبماخ)	
اطعمة اخرى	
مصادر المياه	
الشاي	
التدخين	
الالعاب الشعبية	
البيت التلعفري	
ملحقات البيت	
سطح البيت	
الباب في البيت التلعفري القديم	
النشاط الاقتصادي	
النخيل في تلعفر	
بساتين التين والرمان	
زراعة القمح (الحنطة والشعير)	
طريقة الحراثة (فلحان)	

عملية الحصاد	
الثروة الحيوانية	
الصناعة	
التجارة	
الحياة الادبية والثقافية	
الشهاب التلعفري	
الموفق التلعفري	
محمد بن جوهر التلعفري	
البدر التلعفري	
الشيخ مراد التلعفري	
خضر بن عبد الحق التلعفري	
جمال الدين التلعفري	
اسعد بن يحيى التلعفري	
الماولية	
الملاحـــق	
مـدراء بلديـة تلعفـر	
مـدراء الشـرطة فـي تلعفـر	
قائـممقامـو قضـاء تلعفـر	
جدول محلي	
المصـــادر	
الفهـــرس	

هـذا الكتاب

ما بين (تالاسار) القرية الآشورية التائهة في أعماق طريق مزدحم بالصراعات العسكرية والسياسية والتجارية و (تلعفر) البلدة الوادعة الساكنة في طرف قصيّ من الجزيرة الفراتية، كنوز من التاريخ لم تستطع الاّ أيدٍ نادرة اقتناص جواهرها الثمينة، لقد حطّ التاريخ رواحله هنا ودوّن القادة والفاتحون مآثرهم وأسماءهم فوق تربتها وعلى ألواح حجارتها، وتزينت بمئات العقود المتوهجة من العطاء .

كان من اشد الأسماء توهجاً في سماواتها ذلك الصحابي الجليل عيّاض بن غنم الفهري (رضي الله عنه) فاتح الجزيرة وما حولها من أصقاع، فانضمت تلعفر منذ ذلك الحين الى مواكب المدن الإسلامية التي ازدهرت مع ازدهارها وخبت جذوتها مع خبوّ جذوة أخواتها ولكن دون أن تنطفئ

عن تلعفر المدينة التي شهدت الشرارة الأولى لثورة العراق الكبرى وبسملتها الخالدة سنة 1920 نمضي عبر هذه الصفحات لنسلط الاضـواء على زوايا احداثها التي غيّبتها الاقـلام الغريبة - عمداً او دون عمد - سـائلين الله التوفيق

المؤلف